

**جهد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا
ضد الاستعمار الفرنسي
(١٨٥٠ - ١٩١٤)**

الدكتورة إلهام محمد علي ذهني



١٩٨٨

جهد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا
ضد الاستعمار الفرنسي
(١٨٥٠ - ١٩١٤)

© طعة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ الرياض

بَازَارُ الْمَكْرِيجِ لِلنَّشْرِ

مفرد الطبع والنشر محفوظة للنشر

لا يجوز استساخ أي جزء من
هذا الكتاب أو اختراعه بأي
وسيلة إلا بإذن خطي من
الناشر - ص . ب ١٠٧٢٠

(الرياض ١١٤٤٣)

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الإهداء

إلى زوجى

المحتويات

صفحة

المقدمة	١٥
الفصل الأول - غرب أفريقيا والمؤثرات الدولية	١٧
أولا - غرب أفريقيا قبيل التوسع الفرنسى :	
١ - دراسة جغرافية بشرية	١٩
- الأنهار	١٩
- السلاسل	٣٦
٢ - التيارات المذهبية والممالك الإسلامية	
فى غرب أفريقيا حتى منتصف القرن التاسع عشر :	
- الطرق الصوفية	٣١
- فكرة الجهاد	٣٥
- ممالك غرب أفريقيا :	٣٩
- الممالك الإسلامية :	
- الفولانى	٤١
- امبراطورية التكرور	٤٨
- امبراطورية الماندنغو	٥٢
- الإمارات الموريتانية	٥٧
ثانيا - العوامل الدولية المؤثرة على الاستعمار الفرنسى فى غرب أفريقيا .	
١ - بدايات الاستعمار الفرنسى	٥٩
٢ - الحرب السبعينية وأثرها على السياسة الاستعمارية الفرنسية	٦٢
٣ - مؤتمر برلين ١٨٨٤ / ١٨٨٥	٦٩

الفصل الثاني - الاستعمار الفرنسي للسنغال من منتصف القرن التاسع عشر

- إلى القضاء على المقاومة الوطنية ٨١
- ١ - سياسة فيدهرب التوسيع ٨٣
- (أ) حروب فيدهرب ضد القبائل الموريتانية ٨٥
- (ب) توسيع حدود المستعمرة نحو الجنوب ٨٩
- (ج) فيدهرب والحاج عمر ٩٠
- ٢ - السنغال بعد رحيل فيدهرب ١٠٠
- ٣ - السنغال في أعقاب مؤتمر برلين ١٠٥
- (أ) لات ديور في كايور ١٠٥
- (ب) محمدا لامين في سنغيبيا ١٠٩
- الفصل الثالث - غينيا الفرنسية والسودان الفرنسي ١١٥

أولا - غينيا الفرنسية

- ١ - غينيا الفرنسية قبل الحرب السبعينية ١١٧
- ٢ - تطور السياسة الفرنسية في المنطقة ١٢٢

ثانيا - السودان الفرنسي

- ١ - أحمدو شيخو وإمبراطورية التكرور ١٣١
- (أ) أحمدو شيخو وعلاقته بالفرنسيين قبل ١٨٨٤ ١٣١
- (ب) علاقة أحمدو شيخو بالفرنسيين بعد ١٨٨٤ ١٣٩
- (ج) انتهاء مقاومة أحمدو شيخو ١٤٦
- ٢ - ساموري توري وإمبراطورية الماندينجو
- (أ) ساموري توري في النيجر ١٤٦
- (ب) علاقة ساموري بالفرنسيين بعد ١٨٨٤ ١٤٩
- (ج) محاولة ساموري الاستفادة من التنافس الاستعماري .
- الفرنسي البريطاني ١٥٢
- (د) سياسة أرشيناو التوسعية وتائجها ١٥٤

صفحة

الفصل الرابع - بداية ظهور معالم أفريقيا الغربية الفرنسية	١٦٣
أولا - الاستيلاء على تمبكتو وتدعيم السيطرة الفرنسية على ثنية النيجر	١٦٥
ثانيا - الامتداد الفرنسى نحو تشاد	١٧٧
ثالثا - موريتانيا (شتقيط)	١٨٦
(ا) العلاقات الفرنسية الموريتانية حتى منتصف القرن التاسع عشر ...	١٨٦
(ب) مهادنة فرنسا للقبائل الموريتانية	١٩٢
(جـ) بعثة كوبولانى وإخضاع موريتانيا	١٩٤
الفصل الخامس - إنشاء أفريقيا الغربية الفرنسية وإدارتها	٢٠٥
١ - توحيد أفريقيا الغربية الفرنسية	٢٠٧
٢ - سياسة الفرنسة والمشاركة	٢١٤
٣ - دور الزعماء المحليين فى أفريقيا الغربية الفرنسية	٢٢٠
- الخاتمة	٢٢٥
- الخرائط	٢٣٠
- المراجع والمصادر	٢٣٩
- كشاف تحليلي	٢٥١
- المصطلحات	٣٣٨

فهرس الخرائط

الصفحة	الموضوع	الشكل
٢٣٠	١ - غرب أفريقيا فى القرن ١٩ نقلا عن هانوتو	
٢٣١	٢ - امبراطورية الفولانى نقلا عن Crowder	
٢٣٢	٣ - مناطق نفوذ التكرور وسامورى ومملكة سوكونو نقلا عن Crowder	
٢٣٣	٤ - امبراطورية الحاج عمر نقلا عن Hagreaves	
٢٣٤	٥ - امبراطورية التكرور فى عهد أحمدو شيخو نقلا عن Crowder	
٢٣٥	٦ - مناطق نفوذ سامورى زعيم الماندنغو نقلا عن Crowder	
٢٣٦	٧ - غينيا الفرنسية فى القرن ١٩ نقلا عن Ajayi	
٢٣٧	٨ - مناطق نفوذ محمدو لامين زعيم الساراكولى نقلا عن Crowder	
٢٣٨	٩ - مملكة كايور نقلا عن Forde	

مقدمة

بدأت فى السنوات القليلة الماضية بعض الدراسات الجادة القليلة عن غرب أفريقيا فى الظهور ، مما يدعو إلى مواصلة الجهود لكتابة تاريخ تلك المنطقة بأيدي كتاب عرب ، يمثلون وجهة النظر العربية ، المخالفة فى بعض الأحيان لوجهة النظر الغربية التى وردت فى كتابات الغربيين .

وقد رأيت أن أكرس بحثى هذا ، لحركة التوسع الفرنسى فى غرب أفريقيا ، مع التركيز على دور الوطنيين وموقفهم من هذا التوسع . فقد واجهت فرنسا مقاومة عنيفة فى المنطقة استمرت حتى الحرب العالمية الأولى واضطرت فرنسا إلى استخدام أعنف الوسائل للقضاء عليها . وقد اتخذت عام ١٨٥٠م بداية لبحثى ، وذلك لأنه فى الخمسينيات من القرن التاسع عشر ، بدأت الامبراطورية الثانية تنتهج سياسة توسعية فى قارة أفريقيا ، وسعى الامبراطور نابليون الثالث لربط مستعمرة الجزائر الفرنسية مع مستعمرة السنغال ، كما أن حكومته اعتمدت على العسكريين من جهة والحزب الكاثوليكي من جهة أخرى ، وكلاهما من أنصار التوسع العسكرى الاستعمارى ، وإذا كانت فرنسا قد خففت من حدة توسعها فى غرب أفريقيا بعد هزيمتها فى الحرب السبعينية ، إلا أنها سرعان ما استعادت نشاطها فى المنطقة وجاء مؤتمر برلين ١٨٨٤ / ١٨٨٥ ليزيد من حدة اندفاع فرنسا نحو القارة الإفريقية ولينظم التكالب الاستعمارى على القارة . وقد بدأت فرنسا فى أعقاب المؤتمر ، تسعى لتحقيق هدفها وحلمها ، فى تكوين امبراطورية فرنسية تمتد من غرب أفريقيا إلى شرقها .

وقد توقفت ببحثى فى عام ١٩١٤م ، أى عند قيام الحرب العالمية الأولى وذلك لأنه فى عام ١٩١٤ أنهت فرنسا خططها العسكرية فى السيطرة على الغرب الأفريقى وتوسعها العسكرى فيه .

وقد ركزت فى هذا الكتاب على المقاومة الإسلامية التى واجهتها فرنسا فى غرب أفريقيا حتى كونت ما عرف بأفريقيا الغربية الفرنسية ، ورغم أن هذا الاتحاد ضم العديد من المستعمرات مثل داهومى وساحل العاج ، إلا أننى اكتفيت فى هذا الكتاب بإلقاء الضوء على المقاومة الإسلامية التى تركزت بصورة واضحة فى كل من السنغال ، وغينيا الفرنسية ، والسودان الفرنسى ، والنيجر ، وموريتانيا ، تلك المقاومة التى كرست فرنسا جهودها من أجل إخمادها واستخدمت وسائل إنتقامية متعددة حتى تمكنت من تحطيمها ، ونجحت فى تقى وتشريد الزعامات الإفريقية المسلمة ، وقد لجأت فرنسا إلى ذلك لأنها وجدت أن الإسلام هو أكبر عقبة أمام تقدمها فى المنطقة .

أتمنى بهذا العمل المتواضع أن يتعرف القارئ على صفحات مشرقة من تاريخ المقاومة الإسلامية فى غرب أفريقيا فى العصر الحديث ولاسيما وأن الوطنيين الأفارقة لم يوفوا هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة باللغة العربية ولذلك أرجو أن يكون هذا الكتاب قد أدى ولو جزءاً يسيراً من هذه المهمة العلمية والثقافية .

وقبل أن أختم حديثى ينبغى أن أشير بأن الفضل يرجع إلى أستاذى الأستاذ الدكتور عبد العزيز سليمان نوار فى إتمام هذا العمل ، فقد أمدنى بوثائق الخارجية البريطانية التى ألفت الضوء على نشاط فرنسا الإستعمارى فى المنطقة والتنافس بينها وبين انجلترا .

كما أتوجه بالشكر إلى أستاذى الأستاذ الدكتور مصطفى كمال عبد العليم الذى شجعنى على نشر هذا الكتاب . وإليه يرجع الفضل فى إخراج هذا العمل إلى النور .

د . إلهام محمد على ذهنى

الفصل الأول

غرب أفريقيا والمؤثرات الدولية

- أولا - غرب أفريقيا قبيل التوسع الفرنسى
- ثانياً - العوامل الدولية المؤثرة على الاستعمار الفرنسى فى
غرب أفريقيا

أولا - غرب أفريقيا قبيل التوسع الفرنسى

١ - دراسة جغرافية بشرية :

الأنهار :

لا يمكن كتابة تاريخ غرب أفريقيا دون أن نلم بلمحة جغرافية لطبيعة المنطقة ، لما لها من تأثيرات واضحة على سير الأحداث خلال فترة التاريخ الحديث بصفة خاصة . فلا يمكن على سبيل المثال تجاهل تأثير الصحراء الكبرى فى سير هذا التاريخ . وذلك للعلاقة الدائمة بين أهالى الصحراء الكبرى وشعوب السودان الغربى .

تقع البلاد التى نكتب عنها فى غربى أفريقيا وتطل على المحيط الأطلنطى من الغرب والجنوب ، وتحدها الصحراء الكبرى شمالا ومن الشرق خط يكاد يمر بالحدود الشرقية لنيجيريا ، وليس من اليسير تحديد الحدود الشمالية والشرقية لغربى أفريقيا تحديداً دقيقاً وذلك لعدم وجود حواجز جغرافية طبيعية فى الشرق أو فى الشمال تعتبر علامات بارزة تحدد بجلاء اتساع الأقاليم التى تحتوى عليها أفريقيا الغربية . ولم تكن الصحراء كما لم يكن النهران الكبيران النيجر والسنغال اللذان يجريان بمحاذاة حافة الصحراء الجنوبية فى أى يوم من الأيام عائقاً يعوق انتقال الشعوب المختلفة أو يعرقل تجارتها ^(١) .

بالإضافة إلى ذلك فإننا إذا تقدمنا إلى غرب أفريقيا من الناحية الشمالية لاحظنا تغيراً جغرافياً يطرأ عليه شئ من التدرج أثناء انتقالنا من الصحراء إلى الأماكن الآهلة بالسكان ، كما نشاهد أيضاً بعض مناطق الصحراء ليست خالية تماماً من السكان ولا توجد بشريةا حواجز جغرافية إلى أن نصل إلى مستنقعات النيل الاستوائية أو المرتفعات الجبسية ^(٢) .

(١) عبد الرحمن ، زكى ، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية . (القاهرة ، ١٩٦١) ص ٧ .

(٢) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق ، ص ٧

وليس هناك أدنى شك فى أن تلك الصورة الجغرافية العامة قد أثرت تأثيرا ملحوظا فى تاريخ وفى حضارة البلاد الواقعة فى غرب أفريقيا عبر العصور .

فيما يتعلق بأنهار غرب أفريقيا فقد لعبت دوراً هاماً فى تاريخ المنطقة ، وتشمل كلا من نهر السنغال ^(٣) والنيجر ^(٤) وغمبيا ^(٥) إلى جانب وجود مجموعة أخرى من الأنهار مثل نهر الكازامانس Casamance ^(٦) ، وأنهار الجنوب Rivière du Sud ^(٧) ونهر فولتا ^(٨) وأنهار داهومى .

يعتبر نهر النيجر ثالث أنهار أفريقيا بعد النيل والكونغو ، وهو يمتد فى غرب أفريقيا على شكل قوس يتجه من الجنوب الغربى حتى الشال الشرقى وينتهى عند المصب بدلتا كثيرة الفروع ويتصل به عند مسافة غير قصيرة من المصب نهر بنوى Benoué ^(٩) ، وقد أطلق المستعمرون الأوائل على مجموعة الأنهار المتصلة بالنيجر اسم أنهار الزيت Oil Rivers ^(١٠) لأن هذه المنطقة اشتهرت بإنتاج أجود أنواع الزيوت ^(١١) .

ينبع النيجر من المنحدرات الداخلية لهضبة فوتا جالون Fouta Djallon ^(١٢) .

ويتكون عند بدايته فى جنوب باماكو Bamako ^(١٣) من عدد من المجارى التى تنتشر فى مساحات واسعة من الأرض مكونة ما يسمى بالدلتا الداخلية للنيجر حيث تتحول هذه الدلتا إلى بحيرة عظيمة فى موسم الفيضان ، ويسير النهر بعد ذلك على هذه الصورة حتى

(٣) انظر شكل (١) - (٤) - (٥) - (٨)

(٤) انظر شكل (١) - (٤) - (٧) - (٨)

(٥) انظر شكل (١) - (٤) - (٥) - (٧) - (٨) .

(٦) انظر شكل (١) - (٥) .

(٧) انظر شكل (٥) - (٧) .

(٨) انظر شكل (١) - (٤) - (٥)

(٩) انظر شكل (٢) - (٤)

(١٠) انظر شكل (١٤) .

(١١) شوقى ، الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، (القاهرة ١٩٧١) ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

(١٢) انظر شكل (٤) - (٥) .

(١٣) انظر شكل (١) - (٤) .

يصل إلى تمبكتو Tombouctou ^(١٤) وبعدها تتحد مجارية ويصنع ثنية عظيمة يتجه بعدها نحو الجنوب ليصب في المحيط الأطلنطي ^(١٥) .

وتمثل منطقة ثنية النيجر جزءاً مهماً في أفريقيا الغربية الفرنسية A. O. F. ، فقد تقاسم هذه المنطقة كل من ساحل العاج ، وغينيا الفرنسية وداهومى ، كما يعتبر نهر النيجر الذى يبلغ طوله أربعة آلاف كيلو متر شرياناً مهماً من شرايين الحياة وال عمران والمواصلات فى السودان الغربى ولا يفصله عن الأنهار الأخرى كالسنغال أو نهر شارى مرتفعات كبيرة مما سهل على الفرنسيين التوغل فى المنطقة ^(١٦) .

وقد تضاربت الأقوال بخصوص منابع نهر النيجر واتجاهه ^(١٧) وخلط الرحالة بين النيجر والسنغال وأخطأ البعض منهم فى تحديد مساره ففى القرن السادس عشر قام الحسن بن الوزان الزياتى ^(١٨) برحلة من فاس عبر الصحراء إلى سجلماسة وتغازه حتى وصل تمبكتو وجنى ومالى ، وأكد بأن النهر يسير نحو الغرب . وظلت مشكلة النيجر وتحديد اتجاهه قائمة حتى القرن الثامن عشر ، فقد اهتمت الجمعية الجغرافية البريطانية باستجلاء حقيقة هذا النهر وكانت شركة أفريقيا الغربية الفرنسية قد اتخذت لها بعض المراكز قرب غمبيا على الساحل الغربى لأفريقيا ولذا فقد اتجهت الأنظار لإتخاذ هذه المنطقة كنقطة إنطلاق نحو الداخل ^(١٩) .

(١٤) انظر شكل (١) - (٢) .

(١٥) أحمد نجم الدين فليجة : أفريقيا . دراسة عامة وإقليمية (لأقطارها غير العربية) (طبعة الاسكندرية ١٩٧٨) ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(١٦) جمال الدين ، الدناصورى : جغرافية العالم دراسة إقليمية (أفريقيا ، استراليا) (طبعة القاهرة ١٩٧١) ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

(١٧) أشار هيرودت إلى أن نهرا يسير من غرب أفريقيا إلى الشرق يقسمها كما يقسم الدانوب أوروبا ، وأكد الرحالة ابن حوقل بأن النهر يسير نحو الشرق .

(١٨) اشتهر باسم ليو الافريقى . ولد فى غرناطة فيما بين ١٤٨٩ - ١٤٩٥ لحأت أسرته إلى المغرب بعد طرد المسلمين من الأندلس وتجول فى بلاد المغرب لحساب سلطانها وقام برحلته إلى السودان من تمبكتو حتى مصر مارا ببلاد الهوسا وتصاد كلف بمهمة من قبل سلطان فاس إلى القسطنطينية لدى السلطان العثمانى وأثناء توقف سفينه فى جزيرة جربة أسر على يد قرصان صقلى ١٥١٨ قدّمه هدية إلى البابا ليو العاشر فحمله على اعتناق المسيحية وعرف باسم جان ليون غراناتينو ثم اشتهر بليو الإفريقى لكتابه عن وصف أفريقيا .

(١٩) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، ص ٩٣ .

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر^(٢٠) بدأت محاولات الوصول إلى النيجر واستمرت هذه المحاولات حتى أوائل القرن التاسع عشر^(٢١).

ففى عام ١٨٢٧ وصل ملاح فرنسى يدعى رنيه كاييه René Caillé إلى تمبكتو قادماً من غينيا الفرنسية ، ونجح كاييه فى اختراق الصحراء والوصول إلى مراکش فحققت رحلته بذلك نصراً للجمعية الجغرافية الفرنسية الناشئة^(٢٢).

وجدير بالذكر أنه على الرغم من اكتشاف مصب نهر النيجر التأكد من اتجاهه ، إلا أن محاولات الكشف لم تنته ، وذلك للتعرف على المناطق التى يمر بها وعلى جماعات السكان المقيمة حوله . ففى عام ١٨٥٤ قام ليرد Laird بتكليف من القنصل البريطانى بيكروفت Beecroft بمحاولة لاكتشاف منطقة النيجر الأدنى ، وأراد ليرد التأكد من أن نهر بنوى هو أقوى وأهم فروع النيجر وأنه صالح للملاحة والتجارة وطريق هام للمناطق الداخلية^(٢٣).

وقد اصطحب معه كل من بيكى Baikie ، وكروثر Crowther ووضع ليرد تقريراً مفصلاً عن منطقة دلتا النيجر ، وأكد بأنها تعتبر من أهم مناطق التجارة بالنسبة للأوروبيين ، ثم ما لبث ليرد أن تعرض لهجوم من قبل الوطنيين فطلب من حكومته إرسال حملة أخرى

(٢٠) فى عام ١٧٩١ نجح القائد البريطانى هوتن Houghton فى الوصول إلى النيجر من غمبيا حتى نيورو Nioro إلا أنه لقى حتفه على يد القبائل الموريتانية كما خرجت بعثة الكابتن هورنمن Horneman من القاهرة ولكن صاحبها اختفى ولم يعلم أحد مصيره . وفى عام ١٧٩٥ استطاع مانجو بارك Mungo-Park بتكليف من الجمعية الإفريقية فى لندن أن يرحل من غمبيا ويمر منطقة بوندو Bondou والسنغال حتى وصل إلى باكل Bakel وتابع سيره حتى كارتة Kaarta ولكن القبائل الموريتانية ألقت القبض عليه وسجنته لمدة أربعة أشهر ولم يستطع بارك إكمال رحلته فعاد إلى غمبيا عام ١٧٩٧ مؤكداً بأن نهر النيجر يجرى نحو الشرق وليس الغرب كما استطاع بارك تأكيد منابع نهرى السنغال وغمبيا ويرهن على أن النيجر يسير نحو الشرق بينما غمبيا نحو الغرب . وهكذا حققت رحلته أهمية كبيرة ، فقه حسمت خلافاً حول اتجاه النهر فأصبح واضحاً أن الأنهار الثلاث ليست متصلة . وفى عام ١٨٠٥ عاد بارك لتكملة رحلته ولكنه اختفى عند بوسا فى عام ١٨٠٦ .

(٢١) فى عام ١٨٢٣ - ١٨٢٥ قام كل من كلايرون وشاديه لاندن برحلة لاكتشاف مجرى نهر النيجر فوصلا إلى بوكوتو وكانو ويورنو ، ثم نجح لاندن فى الوصول إلى بوسا متتبعا مجرى النهر حتى مصبه . وفى عام ١٨٢٦ وصل جوردين لانج من طرابلس إلى تمبكتو وسجل فى عام ١٨٢٧ ملاحظاته عن المناطق التى تجول فيها .

(٢٢) Deschamps, H. : Histoire Générale de L' Afrique Noire, (paris, 1971) , Tome II, P. 12.

(٢٣) De Lanoye, F. : Le Niger et les explorations de L'Afrique Centrale depuis Mungo-Park Jusqu'au docteur Barth, (Paris 1860), PP. 573 - 581.

استكمالا لجهوده . فأرسلت الحكومة البريطانية بيكى - وهو طبيب فى البحرية البريطانية نجح فى الوصول إلى نهر بنوى ، فوصل إلى لوكوجا Lokoja^(٢٤) ، وبوسا^(٢٥) ، وأخذ يعمل على تدعيم النفوذ البريطانى فى النيجر الأدنى^(٢٦) .

وفى الوقت الذى اهتم فيه البريطانيون بتدعيم سيطرتهم فى النيجر الأدنى لم يهملوا الكشف عن نهر النيجر من جهة الشمال ، فأرسلوا أربعة من المستكشفين فى الجهات الشمالية من النهر ، ولكنهم تعرضوا لهجوم من بعض القبائل عليهم . وفى الفترة ما بين ١٨٥٢ - ١٨٥٤ استطاع هنريك بارث Henrich Barth اكتشاف المناطق الداخلية من النيجر فوصل إلى بلاد الهوسا وبنوى وتمبكتو^(٢٧) وقد تنكر بارث فى زى تاجر عربى ، وتجول فى السودان النيجر لمدة خمس سنوات زار خلالها المناطق الواقعة بين باجرمى وتمبكتو ، وقدم معلومات قيمة عن المدن التى شاهدها وثروات المنطقة الطبيعية وأثبت هذه المعلومات فى خريطة رائعة^(٢٨) .

تابعت انجلترا جهودها لاكتشاف المناطق المحيطة بالنيجر فأرسلت عام ١٨٥٧ بعثة للاتصال بالممالك الإسلامية الواقعة شمال سوكونو فقد أرادت تدعيم علاقتها بها تمهيداً للسيطرة عليها^(٢٩) .

توالى البعثات لاكتشاف المناطق الداخلية ، وقد زودتنا هذه البعثات بمعلومات قيمة عن النظم الاجتماعية والسياسية فى المنطقة ، فقد قضى بعض المكتشفين ثلاث سنوات أو أكثر فى المناطق الداخلية من أفريقيا ، وانقطعت صلاتهم بالعالم الخارجى ، وعاشوا خلال هذه الفترة مع الأفارقة فدونوا كل ما شاهده مما ساعد بعد ذلك على إستعمار هذه المنطقة^(٣٠) .

(٢٤) انظر شكل (٢) .

(٢٥) انظر شكل (٤) .

The Journal of African History, (Cambridge 1970), Vol. Xi, pp. 401.

(٢٦)

Pedler, F. J. : West Africa, (Creat Britain 1959), PP. 70-71.

(٢٧)

Deschamps, H. : oP. cit., Tome II, P. 14.

(٢٨)

Robinson , Ronald : Africa and the Victorians, (N.Y. 1961), P. 37.

(٢٩)

Zerbo, Joseph : Histoire de L'Afrique Noire D'Hier à demain, (paris 1972), p. 402.

(٣٠)

وإذا كان نهر النيجر والكشف عنه له أهمية كبيرة فى غرب أفريقيا ، فإن نهر السنغال أيضا لعب دوراً هاماً فى تاريخ المنطقة ، وينبع نهر السنغال من نفس المنطقة التى ينبع منها النيجر أى من هضبة فوتا جالون وبعدها يتجه شمالاً ثم غرباً نحو المحيط الأطلنطى ، ويمتاز نهر السنغال بأنحدار مجراه التدريجى فى المنطقة المستوية الساحلية ، وهو قليل العمق إذ لا يتجاوز عمقه ثلاث أمتار لمسافة تبلغ ٢٥٠ كم من المصب (٣١) .

أما نهر غمبيا ، فيعتبر طريقاً مهماً للمواصلات ، فهو صالح للملاحة لمسافة ٤٦٥ كم ، وتقع القرى بعيداً عن مجرى النهر ، وذلك بسبب وجود المستنقعات والغابات على ضفافه . ويتكون سطح غمبيا من وادى النهر والمناطق المحيطة به وهى سهول خصبة تستغل فى زراعة الفول السودانى (٣٢) . ويعتبر نهر غمبيا من أصلح الأنهار للملاحة ، فهو مدخل السودان الغربى ، وهو يخترق منطقة السافانا أكثر مناطق أفريقيا ارتياداً ، وقد كونت انجلترا مستعمرة فى غمبيا ، وكانت أصغر المستعمرات البريطانية فى غرب أفريقيا ، وهى تتكون من منطقة ضيقة ذات شكل شاذ على طول الجزء الصالح للملاحة من نهر غمبيا ، وقد شطرت هذه المستعمرة البريطانية السنغال الفرنسى إلى قسمين بحيث أصبح القسم الجنوبى فيها والذي يسمى كاساما منعزلاً عن قلب المستعمرة الرئيسى وهو القسم الشمالى وعن مواصلاته ومينائه الرئيسى (٣٣) .

وبالإضافة إلى نهري السنغال وغمبيا يوجد نهران صالحان للملاحة هما نهر سالوم (٣٤) ونهر الكازامانس (٣٥) .

أما فى منطقة خليج غينيا فقد وجد فى ساحل العاج عدة أنهار هى بانداما - كافالى - كومويه (٣٦) وهى جميعاً تصب فى خليج غينيا (٣٧) أما نهر فولتا فيشبه فى اتجاهه وخصائصه

(٣١) أحمد نجم الدين ، فليجة : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٣٢٢ .

(٣٣) دولت ، أحمد صادق : الجغرافيا السياسية ، (القاهرة ١٩٨٢) ، ص ٧١٥ ، ٧١٦ .

(٣٤) انظر شكل (٥) .

(٣٥) المرجع السابق ، ص ٧١٦ .

(٣٦) انظر شكل (١) .

(٣٧) يسرى ، الجوهري : أفريقيا الإسلامية ، (القاهرة ١٩٨٠) ، ص ٣٣١ .

نهر النيجر وكانت منطقة فولتا قد وضعت لفترة تحت إدارة ساحل العاج باعتبارها تمثل الأراضي الداخلية (٣٨) .

ويعيب المجارى المائية فى ساحل غينيا أنها كلها تقريبا ضحلة تسود مصباتها الكثبان الرملية بالإضافة إلى كثرة الحواجز الصخرية فى المنطقة .

يلاحظ مما سبق ، قلة أهمية الأنهار الإفريقية ، كشرابين تؤدي للداخل فهذه الأنهار ، تنتهى إلى البحر إما بدالات كثيرة الفروع والمستنقعات والسدود أو بمساقط مائية . ولعله مما يستوقف النظر أن كشف منابع الأنهار الإفريقية تم عن طريق بعثات تتبعت مجارى هذه الأنهار ، ولكنها فى أغلب الأحيان أتبع الطرق البرية لتتفادى العقبات فى مجارى الأنهار (٣٩) .

وإذا كانت بعض أنهار غرب أفريقيا ، قد عرقلت التوغل للداخل فإننا نلمس أيضا بأن سواحل غرب أفريقيا لم تساعد كثيراً على هذا التوغل ، رغم أنها تعتبر بعد الساحل الشمالى من أقرب السواحل إلى أوروبا وعلى الرغم من وصول الأوربيين إليها منذ أواخر القرن الخامس عشر ، إلا أنهم تركزوا فى تقاطع على الساحل الذى قلت فيه المناطق التى تصلح للوثوب للقارة Jipping of Points وأصلح هذه الموانئ هى الجزر ، التى تقع بالقرب من السواحل ، وبالطبع لاتخلو سواحل غرب أفريقيا من الجزر فهناك جزر الكناريا مثلا فى الشمال الغربى ولكنها قليلة الأهمية بالنسبة لاكتشاف داخل القارة ، لأنها تقابل الصحراء ولكن وجدت جزر أخرى ، فى مواجهة الأقاليم الإستوائية من القارة بعضها اتخذ فعلا كنقط ارتكاز للوصول للأجزاء الوسطى من القارة ولكن فيما عدا ذلك تكاد سواحل أفريقيا تخلو من الجزر ، كذلك تقل فى الساحل الغربى الموانئ الطبيعية الصالحة ، فهى قليلة ، ومتباعدة . أما من الناحية المناخية فإن الساحل الغربى استوائى وصحراوى ، ذا مناخ قاسى ، كما أن سواحل أفريقيا ، فى جملتها ظهيرها فقر إذ أنها تؤدي لمناطق صحراوية أو شبه صحراوية أو غابات كثيفة يصعب اختراقها (٤٠) .

(٣٨) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٣٩) المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٤٠) شوقى الجمل : المرجع السابق ، ص ١٦ ، ١٧ .

السلالات :

عند دراسة منطقة غرب أفريقيا لابد لنا من إلقاء نظرة سريعة على عناصر السكان لأن اختلافها أثر في تاريخ المنطقة . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، نلاحظ بأن فرنسا خلال فترة توسعها في المنطقة استغلت الصراع التقليدي بين كل من التكرور والبيمارا لمد نفوذها في منطقة النيجر فلجأت إلى مساعدة البيمارا الوثنيين والتحالف معهم تمهيداً للقضاء على امبراطورية التكرور .

يلاحظ في غرب أفريقيا وجود سلالتين ، السلالة الأولى هي السلالة البيضاء Race
Blanche ، والثانية السلالة السوداء Race Noire .

فيما يتعلق بالسلالة الأولى وهي السلالة البيضاء فتركز في شمال أفريقيا وفي الصحراء الكبرى الغربية ويعرف أهلها باسم المغاربة وهم خليط من البربر والعرب ويعيشون على الحافات الساحلية الممتدة على الضفة اليمنى لنهر السنغال والضفة اليسرى لنهر النيجر وفي اتجاه الصحراء ، وهم على جانب كبير من الذكاء وينقسم المجتمع لديهم إلى ثلاث طبقات . الجنود - المرابطين - الطوارق^(٤١) وقد اشتهر الطوارق بالشجاعة وبحروبهم العنيفة ضد الفرنسيين وتمسكهم الشديد بالدين الإسلامي وقد تركزوا في منطقة ثنية النيجر وتمبكتو^(٤٢) .

وتدخل ضمن هذه المجموعة القبائل العربية في جنوب موريتانيا مثل التارزة والبراكنة نبائل البربر الخاضعة لهم زناتة وهرتين وفي الحوض يقابلنا أولاد دليم والرقيات ، وطلب ومختار وجرجنكة وولاته وتنمية في شمال منحنى النيجر^(٤٣) . ومعظم هذه القبائل مسلمة اشتهر أفرادها بالحرص على أداء فريضة الحج وقد لعبوا دوراً هاماً في مقاومة الغزو الفرنسي لجنوب موريتانيا حتى بداية الحرب العالمية الأولى^(٤٤) .

Spitz, Georges : Soudan Français (Paris 1955), PP. 28-30.

(٤١)

Guy, Camille : L'Afrique Occidentale Française (Paris 1929), P. 43.

(٤٢)

(٤٣) عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا د . س ص ١٠٠

Guy, C. : op. cit., P. 40.

(٤٤)

أما عن السلالة الزنجية فتركز فيما يلي الصحراء فى بلاد السودان الغربى وفى منطقة الغابات وفى الأراضى الزراعية المكشوفة الواقعة بين الصحراء ونهر النيجر والسنغال والبلاد المطلة على خليج غينيا ^(٤٥) فإذا انتقلنا إلى شعوب السودان الشمالى قابلتنا الشعوب الآتية :

الفولانى ^(٤٦) : اختلف الباحثون فى أصلهم فمنهم من يربطهم لغويا بالنوبة ، ومنهم من يرى بأنهم عنصر من البربر استقروا فى منطقة ادارار وأعالى السنغال ^(٤٧) واستقرت طائفة منهم فى ماسينا ^(٤٨) ثم أخذوا فى التسرب شرقا حتى وصلوا إلى بورنو ووصل البعض منهم إلى الكاميرون ^(٤٩) وشمال أدماوا Adamawa ^(٥٠) .

وقد تألفت حياة الفولانى من عدة قبائل صغيرة متناثرة تحيا حياة رعوية واشتهروا بعدم الخضوع لأى ملك من ملوك البلاد التى يقيمون فيها ، رغم أنهم يعيشون فى أراضى هؤلاء الملوك وذلك لأنهم إذا أسىء إليهم هدموا منازلهم وارتحلوا إلى منطقة أخرى وقد اشتهروا بزراعة القمح والقطن ^(٥١) .

ينقسم الفولانى إلى فولانى البقرة Cow Fulani وفولانى الجيدا Fulani Gidda أى فولانى المدينة الذين يسكنون المدن ^(٥٢) وقد استقرت جماعة من الفولانى فى بلاد الهوسا شمال نيجيريا مكونة امبراطورية كبيرة بزعامة عثمان دان فوديو ^(٥٣) .

ثم تقابلنا بعد ذلك مجموعة الشعوب السنغالية وتشمل الولوف Wolof والسيرير Sérère ، والتكوروبور ^(٥٤) Toucoulor . ويعيش الولوف والسيرير فى المنطقة الساحلية بين سانت

Spitz, G. : op. cit., P. 33.

(٤٥)

(٤٦) انظر شكل (٢) - (٣) - (٤) .

Seligman, C. : Races of Africa, (London 1959), p. 48.

(٤٧)

(٤٨) انظر شكل (٤) - (٥) .

Deschamps, Hubert : Peuples et Nations D'outremer (Afrique-Islam-Asie du Sud), (Paris 1954), P. 150.

(٤٩)

(٥٠) انظر شكل (٤) .

(٥١) توماس ، ارنولد : الدعوة إلى الاسلام ترجمة حسن إبراهيم حسن (القاهرة ١٩٧٠) ، ص ٢٥٧ .

(٥٢) بوفيل أى : الممالك الاسلامية فى غرب أفريقيا وأثرها فى تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ترجمة زاهر رياض ، (القاهرة ١٩٦٨) ص ٢١٠ .

Guy, C. : op. cit., P. 50.

(٥٣)

(٥٤) انظر شكل (٣) - (٤) - (٨) .

لويس والرأس الأخضر ويعتبر الولوف من أكثر السلالات سوادا فى اللون ومعظم مسلمون^(٥٥) .

أما السرير فيعيشون بين نهري غمبيا وسالوم وجنوب الرأس الأخضر، وهم يجاورو التكرور ويكنون مع الولوف جزءاً من امبراطورية التكرور^(٥٦) ولكن يختلف السرير = التكرور والولوف فى أنهم يعتنقون المسيحية وليس الإسلام والبعض منهم بقى على وثنية حتى العصر الحديث ولكن الطبقة الحاكمة وطبقة المحاربين اعتنقت الإسلام حديثاً^(٥٧) .

أما التكرور فيسكنون أعالي السنغال وأواسط النيجر، وكانوا أسبق الشعوب للإسلام وحرفتهم الرئيسية الزراعة . وهم على جانب كبير من الذكاء والشجاعة ، وقد لعبوا دور كبيراً فى مقاومة الغزو الفرنسى للمنطقة وكون منهم الحاج عمر امبراطوريته الكبيرة التى امتدت من أعالي السنغال حتى أعالي النيجر^(٥٨) . ويمتاز التكرور عن غيرهم بأنهم نشر الإسلام وهم خليط من الزنوج يضم الفولة وقلة من المغارية وموطنهم الرئيسى فى فو السنغالية وقد استقر البعض منهم فى السنغال الأعلى ونيورو وسيجو على النيجر^(٥٩) .

وقد حرص العرب على إطلاق اسم التكرور على جميع بلاد السودان التى دخلها الإسلام وهى الممتدة من المحيط الأطلنطى حتى حدود وادى النيل وأصبحت كلمة تكرورى مراد لكلمة سودانى ، وقد تبعهم المؤرخون السودانيون الذين كتبوا بالعربية ومن أجل ذلك ظلد المصورات الجغرافية الأوربية مدة طويلة تطلق لفظ تكرورى على السودان الغربى أو الجب الجنوبي من الصحراء الكبرى^(٦٠) .

وفى منطقة الكازامانس وغينيا نجد مجموعات مختلفة من السكان ، فنجد الديو Dioula والبالنت Balantes والصوصو ، وهم من أصول زنجية يعيشون فى السهول وحو هضبة فوتا جالون^(٦١) .

ligman, C. : op. cit., P. 48.

(٥٥)

(٥٦) محمد ، عوض : السلالات والشعوب الافريقية ، (القاهرة ١٩٦٥) ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٥٧) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الاسلام) ، ص ١٠٢ .

jitz, G. : op. cit., P. 34.

(٥٨)

(٥٩) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الاسلام) ، ص ١٠٢ .

(٦٠) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الخامس بدون سنة طبع ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

eschamps, H. : op. cit., P; 149.

(٦١)

وإذا انتقلنا إلى المنطقة الواقعة بين المحيط الأطلنطي غربا حتى منحى النيجر شرقا يقابلنا الماندنغو^(٦٢) وقد كون منهم سامورى تورى إمبراطورية كبرى امتدت فى أعالى النيجر^(٦٣) .

ومن أهم شعوب هذه المنطقة البمبارا الذين خضعوا لسلطين مالى ثم ظفروا باستقلالهم فى القرن السابع عشر واستقلوا تماما عن باشوات تمبكتو والمراكشيين وأخذوا يتوسعون فى القرت الثامن عشر فاندفعوا نحو الشمال الغربى وأسسوا أمارة كارتة^(٦٤) على النيجر والتي احتفظت باستقلالها طوال القرن الثامن عشر^(٦٥) ويلاحظ بأن البمبارا تمسكوا بوثنيتهم وكونوا ممالك وثنية فى المنطقة الواقعة عند المجرى الأعلى لنهر السنغال من مدين Medine^(٦٦) حتى باقولابى Bafoulabé^(٦٧) وعند نهر النيجر من باماكو حتى سانسندنج Sansanding^(٦٨) ، وكثيراً منهم يعيش فى مستعمرات فى ماسينا وقد عرفوا بعدائهم الشديد للمسلمين وقد ظلت ممالكهم قائمة على نهر النيجر حتى قضى عليها الحاج عمر^(٦٩) .

وإذا انتقلنا إلى قبائل فولتا الشمالية نجد أن هذه القبائل ليس اديها أى استعداد لقبول الإسلام ولم يتأثروا به على الرغم من إتصالهم بالمسلمين منذ قرون عديدة ويعيش بين قبائل فولتا شعب موسى^(٧٠) الوثنى^(٧١) .

وفى ساحل غينيا بين أبيدجان والكاميرون نجد فى الغرب قبائل الأشانتى^(٧٢) التى تعيش فى الأراضى الداخلية لساحل الذهب (غانا) وقبائل الفانتى التى تسكن فى المنطقة

(٦٢) انظر شكل (٢) .

Spitz, G. : op. cit., P. 35.

(٦٣)

(٦٤) انظر شكل (٤) - (٥) .

(٦٥) حسن ، محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، (القاهرة ١٩٦٣) ، ص ٢٨٢ .

(٦٦) انظر شكل (١) - (٤) - (٥) - (٨) .

(٦٧) انظر شكل (١) - (٥) - (٨) .

(٦٨) انظر شكل (٥) .

(٦٩) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الرابع ، ص ١٧٩ .

(٧٠) انظر شكل (٤) - (٥) - (٦) - (١٢) .

(٧١) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الاسلام) ، ص ١٠٤ .

(٧٢) انظر شكل (٢) - (٤) .

الساحلية من الساحل أما فى شرق ساحل الذهب وجنوب توجو فتميش جماعة إيو Ewé أ
الفون Fon فيتركزون فى جنوب داهومى (٣٣) .

وإذا اخترقنا حدود نيجيريا الغربية فأول ما يصادفنا هو شعب اليوروبا Yorouba^(٣٤)
ويقطن غرب مصب النيجر وهو شعب من طليعة الشعوب الإفريقية وأكثرها تقدما^(٣٥)
ويتكون اليوروبا من الوافدين من البربر الذين اختلطوا بالسكان الأصليين ودخلوا فى
الإسلام (٣٦) .

أما فى المنطقة الواقعة فى إقليم رأس النخيل Cape des Palmes فى ليبيريا وفى غرب
ساحل العاج فهى منطقة غابات كثيفة وتعيش فيها جماعات الكرو Krou (٣٧) .

وأخيراً بعد أن استعرضنا أهم السلالات فى غرب أفريقيا فينبغى لنا أن نشير بأنه م
الناحية السياسية ضمت المنطقة التى نتحدث عنها ماعرف باسم اتحاد أفريقيا الغربية الفرنس
A. O. F. وتقدر مساحة غرب أفريقيا بنحو ٢,٤ مليون ميل مربع وتمثل أملاك فرنسا فى
المنطقة نحو ٢/٣ مساحة هذا الإقليم وتبدو هذه الأملاك متصلة أو شبه متصلة (٣٨) وقد كا
لفرنسا نصيب الأسد فى المنطقة ولكنها واجهت منافسة شديدة من قبل بريطانيا انته
بتركيز الوجود البريطانى فى المناطق الساحلية التى شكلت مايشبه الخلجان المتوغلة فى
داخل الرقعة التى اكتسحها الإستعمار الفرنسى (٣٩) .

eschamps, H. : op. cit., P. 151.

(٧٣)

(٧٤) انظر شكل (٢) - (١٠) - (١٦) .

ligman, C. : op. cit., P. 52.

(٧٥)

(٧٦) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية (الإسلام والدول الإسلامية جنو
صحراء أفريقيا) (القاهرة ١٩٧٢) ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .

eschamps, H. : op. cit., P. 152.

(٧٧)

(٧٨) جمال الدين ، الدناصورى : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٧٩) صلاح ، صبرى : أفريقيا وراء الصحراء ، (القاهرة ١٩٦٠) ، ص ١٥٧ .

٢ - التيارات المذهبية والممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا حتى منتصف القرن ١٩ :

الطرق الصوفية :

يرتبط معظم السودانين فى غرب أفريقيا برجال الدين بواسطة إحدى الطريقتين القادرية أو التيجانية ، ولقد كان انتشار هاتين الطريقتين ، ولاسيما التيجانية عظيما فى أثناء القرن التاسع عشر ولايمكن تفهم انتشار الدعوة الإسلامية على حقيقتها تماما ، كذلك المنافسات الداخلية ضمن المجموعات الإسلامية دون النظر إلى إرتباط الزعماء المسلمين بإحدى الطرق الدينية لأن النفوذ السياسى لإحدهما كان يرتبط إلى حد كبير بمدى الزعامة الدينية التى يتمتعون بها .

ويقول بعض الباحثين لم تكن الطرق الدينية وحدها قبل القرن ١٩ ، العامل الأوحد فى نشر الإسلام بغربى أفريقيا ، ولكن سرعان ماكان الإلتحاق بإحدى الطريقتين القادرية أو التيجانية سببا لاعتناق الإسلام وأصبح كل مسلم يتبع واحدة من الطريقتين ^(٨٠) .

وقد أعتنق الزعماء الأفارقة إحدى الطريقتين ، فعثمان دان فوديو أعتنق القادرية ، بينما الحاج عمر أعتنق التيجانية ، وأصبح زعيمها الرسمى فى أفريقيا كما لعب السنوسيون دوراً هاماً فى المنطقة وقد انتشرت كل من القادرية والتيجانية والسنوسية فى غرب أفريقيا انتشاراً كبيراً . وقد ارتبط بالطريقة القادرية عدد كبير من السكان ومؤسساها هو الشيخ عبد القادر الجيلانى ^(٨١) .

وقد انتشرت هذه الطريقة فى أفريقيا الغربية فى القرن الخامس عشر ، بواسطة المهاجرين الذين قدموا من توات Tuat وهى واحة فى النصف الغربى من الصحراء ، ثم انتقلوا إلى ولاته Walata ، ثم تمبكتو التى أصبحت مركزاً رئيسياً لهم ، كما انتشرت

(٨٠) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الاسلام) ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٨١) هو الشيخ عبد القادر الجيلانى من أشهر رجال الصوفية ويعرف بالقطب الجيلانى وهو أحد الأقطاب الأربعة الرفاعى ، الجيلانى ، البدوى ، الدسوقى . ولد بجيلان عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٧ م ، ثم انتقل إلى بغداد ١٩٠٥ م واشتغل بالوعظ والتعليم ثم مال إلى التصوف واتجه إلى الصحراء وقد عرف عنه التسامح الدينى . وقد توفى ببغداد عام ١١٦٦ م .

القادرية فى أرجاء السودان الغربى من السنغال حتى مصب النيجر ، ونهضت مراكز رئيسية لتنظيم دعوة القادرية فى كل من تمبو Timbo^(٨٢) وكنكان Kankan^(٨٣) وفوتا جالون ، وموسرودو Musrdo ، وفى بلاد الماندنغو ، وكانت هذه المدن تؤلف مراكز دينية وسط شعب وثنى رجب بالقادرية^(٨٤) .

وإذا كان الدخول فى الإسلام حالات فردية فى البداية ولكن سرعان ما أصبح حالات جماعية واستعادت القادرية قوتها فى فوتا جالون على يد السيد الكبير التارازى الذى عمل على نشرها فى غمبيا ، وغينيا الفرنسية ، وليبيريا ، وغانا^(٨٥) .

ومن أشهر دعاة القادرية محمد بن عبد الكريم التلمسانى ، الذى اتجه بجهوده إلى الجزء الأوسط من الصحراء ، وبلاد الهوسا ، وقد تسلم لواء القادرية فيما بعد عثمان دان فوريو^(٨٦) .

أما الطريقة التيجانية فتنسب إلى أبى العباس أحمد بن محمد بن مختار بن سالم التيجانى^(٨٧) الذى استقر فى فارس ، وقد علا شأن هذه الطريقة بعد وفاة التيجانى ، فقام أولاده محمد الكبير ومحمد الصغير بنقل مركز الدعوة من فاس إلى مسقط رأسه قرية عين ماضى . وتتلخص مبادئ التيجانية فى ضرورة استخدام القوة والسيوف فى محاربة الوثنيين ولهذا اختلفت عن القادرية التى عرفت بالتسامح^(٨٨) كما تميزت التيجانية بتزمتها الشديد ومناهضتها للطرق الصوفية الأخرى ، وقد انتشرت فى القرن التاسع عشر انتشاراً واسعاً بفضل اعتناق الحاج عمر لها^(٨٩) .

(٨٢) انظر شكل (٧) .

(٨٣) انظر شكل (١) - (٤) - (٥) - (٧) .

(٨٤) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الإسلام) ، ص ١١٠ .

(٨٥) المرجع السابق .

(٨٦) أحمد ، شلبى : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٢١٢ .

(٨٧) ولد التيجانى فى قرية عين ماضى عام ١٧٢٧ وتلقى علومه الدينية فى مسقط رأسه ثم انتقل إلى تلمسان وفى عام

١٧٣٨ وصل إلى مكة ثم أمضى فترة فى القاهرة واستقر فى فاس .

(٨٨) أحمد ، شلبى : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٢١٤ .

(٨٩) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الرابع ، ج ٥ ، ص ٥٩٢ .

أما عن السنوسية فلم تقتصر بأعمال العنف والحرب ولم تستخدم فى خدمة الدين إلا كل وسائل السلام والترغيب ، ففى عام ١٨٣٧ أسس سيدى محمد بن على السنوسى^(٩٠) الفقيه الجزائرى فرقة دينية تهدف إلى إصلاح شأن الإسلام ونشر العقيدة ولم يمت السنوسى عام ١٨٥٩ إلا وكان قد نجح فى تأسيس دولة دينية بقوة عبقرية دون أن يريق الدماء^(٩١) . ويدين اتباع السنوسية بالطاعة والولاء لمؤسس الدولة ولخلفائه الذين وسعوا حدودها ، وقد حرم ، اتباع هذه الطريقة التضرع بالأولياء وزيارة قبورهم تحريماً تاماً ، كذلك أوجبوا على أنفسهم الإمتناع عن شرب القهوة والتدخين ، وتجنبوا كل اتصال باليهود والمسيحيين والإسهام بنصيب معين من دخلهم يضاف إلى أموال الجماعة ، كما أوجبوا على أنفسهم أن يقفوا كل نشاطهم على تقدم الإسلام^(٩٢) .

وتنتشر هذه الطريقة فى غرب الدلتا من مصر إلى مراكش ، كما تمتد إلى الواحات والصحراء الكبرى والسودان ، ولم يقتصر امتدادها على أفريقيا الشمالية من مصر إلى مراكش وإنما امتدت إلى السودان وسنغيبيا والصومال^(٩٣) كما انتشرت زاويا السنوسى فى الطريق المؤدى إلى تشاد ، ووادى ، وباجرمى ، وبورجو وامتدت هذه الزاويا حتى نهر بنوى ، كذلك فى جات ، وتوات ، وزندر^(٩٤) .

وبالإضافة إلى الطرق الثلاث السابقة توجد بعض الطرق الأخرى وإن كانت أقل انتشاراً ، واقتصرت على مناطق معينة مثل الطريقة الفضلية^(٩٥) التى تعتبر فرع من فروع الطريقة القادرية ، اتباعها موزعون فى الصحراء الأسبانية حيث اتباع الشيخ ماء العينين ، كذلك فى شرق موريتانيا^(٩٦) .

(٩٠) ولد السنوسى سلة مستغانم بالجزائر عام ١٧٩٨ ثم رحل إلى فاس وألتحق بحاممة القرويين ورحل إلى الأزهر لتلقى العلم ثم سافر إلى الحجاز حيث التقى بكبار المشايخ فاستفاد من علمهم وقد شعر السنوسى بأن أفريقيا أولى بدعوته فعادر الحجاز عام ١٨٤٣ وأنشأ الراوية البيضاء فى الجبل الأخضر ثم نقل مركز الدعوة إلى جعوب ١٨٥٦ .

(٩١) توماس ، أربولد : المرجع السابق ، ص ٣٧١

(٩٢) المرجع السابق ، ص ٣٧١ .

(٩٣) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (تاريخ الدول) ص ٥٢ .

(٩٤) لوثرود ، ستودارد : حاضره العالم الإسلامى (دار الفكر ١٩٧١) ج ٢ ص ٤٠٢ .

(٩٥) تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ محمد الفضل (١٧٨٠ - ١٨٦٩) وكان زعيماً لأهل طالب ومختار وهم من الصنهاجة الذين يعيشون فى منطقة الحوض وهم أصلاً من البربر .

(٩٦) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الإسلام) ص ١١٢ .

وقبل أن نختم الحديث عن الطرق الصوفية وأثرها في غرب أفريقيا ، ينبغي لنا أن نشير إلى ظهور بعض الآراء التي أيدت تأثر بعض جهات غرب أفريقيا بدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب . ولعل أهم من تأثر بها من الزعماء الأفارقة عثمان دان فوديو زعيم الفولاني ، وقد انتقلت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ^(١٧) عن طريق الحج إلى أفريقيا فقد كان لإلتقاء حملة الدعوة بإخوانهم الحجاج من مختلف الأقطار الإسلامية ، دوره الرئيسي في انتشار الدعوة . كذلك دخول الحجاز تحت لواء الدولة السعودية الأولى في العقدين الثاني والثالث من القرن الثالث عشر الهجري أعطى الفرصة لسائر الحجاج من جميع البلاد الإسلامية للتعرف على حقيقة الدعوة فانتقلت هذه المبادئ إلى السودان وليبيا في أفريقيا وكان هدف الدعاة محاربة البدع والخرافات والفساد وإقامة حكومات إسلامية على أساس ديني ^(١٨) .

وقد دلل البعض على مدى تأثر عثمان دان فوديو بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، على أساس أنه أكثر الزعماء الأفارقة تأثراً بهذه الدعوة ، وأولهم تأثراً بها ، ونظراً لأهميته في المنطقة فقد حذا حذوه الكثير من الزعماء ، على اعتبار أنه أول من حاول تطبيقها في غرب أفريقيا . وقد ساق مؤيدو هذا الرأي عدة أدلة على ذلك :

- ١ - محاولة عثمان دان فوديو تثبيت التوحيد الخالص بمحاربة كل ما يؤدي إلى الشرك كالاعتقاد في قدسية بعض الأرواح ، أو الأشجار ، أو الأحجار ، وتقديم القرابين إلى الجن ، والتبرك بالقبور .
- ٢ - رجوعه إلى القرآن والسنة ومحاربته للبدع المعروف عن الوهابيين تشدهم ضد البدع .
- ٣ - اتخاذ الجهاد وسيلة لنشر دعوته بين الوثنيين وبين المسلمين ، الذين حاد إسلامهم عن الطريق الصحيح مما أدى إلى قيام دولة كبيرة في غرب أفريقيا .

(٩٧) ولد محمد بن عبد الوهاب في العينية بنجد عام ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م - وكان والده من كبار العلماء درس الفقه الحنبلي - وتأثر بمؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم . وله مؤلفات عدة في فروع الشريعة وقد دعى أتباعه إلى الجهاد ومحاربة كل ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية تحالف مع الإمام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥ - ١٨١٨) .

(٩٨) عبد الله ، الشبل : محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته (الرياض ١٣٩١) ، ص ٦٧ .

٤ - عمل عثمان على وضع الأساس الإسلامى للإدارة فى دولته الكبيرة ، وهو الأساس الذى استمر حتى نهاية الدولة على يد الإنجليز ، ونعنى به إحياء نظام الحسبة والقضاء الإسلامى وغيرها وهو نفس النظام الذى أخذت به الدولة السعودية الأولى^(١١) .

وفى الواقع اختلف الباحثون فى مدى تأثير عثمان دان فوديو بمبادئ الدعوة الوهابية فأكد لوثرروب ستودارد فى كتابه حاضر العالم الإسلامى إلتقاء عثمان بالوهابيين فى موسم الحج ، وأوضح مدى تأثيره بهم وكذلك توماس أرنولد فى كتابه الدعوة إلى الإسلام ، أكد تأثير عثمان بالوهابيين أثناء زيارته فى مكة كما أكد هذا التأثير حسن إبراهيم حسن ، فى كتابة إنتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء ولكن هذا لا يمنع من وجود آراء معارضة مثل همفرى فيشر Humphrey Fisher وموراى لاست Murray Last ، اللذين أنكرا هذا التأثير ، بل حاول لاست طمس ذهاب عثمان إلى مكة أساسا ، فى حين يعترف فيشر بأن جبريل أستاذ عثمان دان فوديو ذهب إلى مكة لأداء الفريضة مرتين وتأثر بمبادئ الوهابيين ، فإذا كان قد اعترف بتأثير جبريل أستاذ عثمان بالوهابية فما الذى يمنع من تأثير عثمان نفسه . والرأى المرجح أن عثمان تأثر بالدعوة أثناء فترة إقامته فى مكة وذلك لأنه خلال هذه الفترة كانت الدعوة الوهابية نشطة فى الحجاز حتى قبل سقوط الحجاز فى يد الدولة السعودية الأولى ١٨٠٥ ، وقد أكد شقيق عثمان عبد الله بن محمد ، فى كتابه « تزيين الورقات » بأن عثمان ذهب إلى الحجاز وعمل بعد عودته على محاربة البدع والعادات المخالفة للشرع^(١٢) .

فكرة الجهاد :

يعتبر القرن التاسع عشر مجالا خصبا للدراسات التاريخية المتعلقة بغرب أفريقيا ، ففيه ظهرت فكرة الجهاد لنشر الإسلام وتطورت تطورا كبيرا ، ولم تعد هذه الحركة قاصرة على نشر الإسلام ومحاربة الوثنيين وإنما أصبح هدف روادها التصدى للأطماع الأوربية الإستعمارية . وفى القرن التاسع عشر نمت التجارة فى أفريقيا وتطورت تطورا كبيرا وازداد الاتصال بالقارة الأوربية ، وحلت التجارة الشرعية Legitimate Trade محل تجارة الرقيق

(١١) محمد كمال جمعه : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية ، (دار الملك عبد العزيز ، الرياض ١٩٨١) ، ص ١١٤ .

(١٢) محمد كمال جمعه : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

Slave Trade كما شهد القرن التاسع عشر تأسيس ممالك إسلامية كبيرة ، مثل إمبراطورية الفولاني والتكرور ، وإمبراطورية ساموري العسكرية ، وإمبراطورية الساراكولي . وفيه أيضا تم تقسيم القارة الأفريقية بعد مؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥ بين الدول الأوربية مما ترتب عليه نشوب صراع عنيف بين الدول الغازية والزعامات الوطنية الأفريقية ^(١٠١) .

على أن أهم ما يميز القرن التاسع عشر هو ظهور فكرة الجهاد لنشر الإسلام ، وتصحيح العقيدة الإسلامية التي اختلطت في كثير من المناطق بالطقوس الوثنية . وقد امتدت هذه الفكرة في أماكن متعددة وفي أوقات مختلفة ^(١٠٢) . وكانت الفكرة الأساسية لدى روادها هي إنشاء حكومات إسلامية تحكم المسلمين في غرب أفريقيا وتعمل على نشر الدين الإسلامي ^(١٠٣) .

ويمكن تلخيص أسباب ظهور ونمو فكرة الجهاد إلى عدة أسباب منها :

١ - اختلاط العقيدة الإسلامية بطقوس الوثنية فانتشرت عبادة الموتى وتقديسهم حتى بين المسلمين في كثير من مناطق غرب أفريقيا .

٢ - تلقى بعض الزعماء الأفارقة لتعليمهم الديناالأزهر الشريف مما كان له أثر كبير عليهم ، فعادوا إلى بلادهم وكلهم حماس لنشر الدين الإسلامي وتصحيح العقيدة الإسلامية ^(١٠٤) . فمنذ تأسيس الأزهر في العصر الفاطمي ، وهو يقوم بدوره في خدمة الإسلام فقد أصبح الجامعة الإسلامية الأولى التي تطلعت إليها الأنظار من مختلف الأقطار ووفد عليه الوفود من كل صوب وخرجت أفواج العلماء والمدرسين في كل اتجاه ، ومن الطبيعي أن ينال السودان والبلاد المجاورة له مزيداً من الفكر الذي ينشره الأزهر فالأزهر لم يقف عند البلاد المتاخمة لمصر بل تخطاها إلى مراكز مختلفة بأفريقية فقد انتشر عن طريق النوبة إلى إقليم دارفور وكردفان ، ودخل مملكة كانم المتصلة ببحيرة تشاد بل تخطى تشاد إلى بلاد الهوسا . كما وفد العديد

Gann, L. H. : Colonialism in Africa (1870-1960) (Cambridge 1969), Vol.I, P. 199. (١٠١)

The Cambridge History of Africa (From 1790 to 1870), (Great Britain 1976), Vol. 5, PP. 125-129. (١٠٢)

Ajayi, J. F. A. : History of West Africa (Great Britain 1974), Vol II, P. 25. (١٠٣)

Cambridge History of Africa : op. cit., vol.,5, P. 126. (١٠٤)

من علماء الأزهر إلى تمبكتو للتدريس ، وظل الأزهر مفتوحا لعدة قرون للمسلمين من غرب أفريقيا ومن كل مكان ، فتدفق الأفارقة عليه للتعليم ، وقد غرس الأزهر في نفوس الوافدين إليه ألوانا من المعارف والاتجاهات القومية وكان الأزهر يعد القادة ليتولوا مراكز القيادة ، وكانت مصر طريقا للحجاج الوافدين من غرب أفريقيا ، وطالما انتهز هؤلاء فرصة الحج ليحطوا رحالهم في مصر فترة طويلة يتعرفون فيها على الحضارة الإسلامية (١٠٥) .

٣ - انتشار المراكز الإسلامية في السودان الغربي ، مما أدى إلى إبراز فكرة الجهاد وانتشارها ومن أهم هذه المراكز سوكوتو وحمد الله .

٤ - انتشار الطرق الصوفية ، مثل القادرية ، والتيجانية ، والسنوسية وقد حرص اتباع هذه الطرق على نشر الإسلام بين الوثنيين ، ثم نادوا بعد ذلك باستخدام القوة والعنف ضد الغزو الأوربي للمنطقة أي أن فكرة الجهاد نفسها تطورت فبعد أن كانت ضد الوثنيين شملت الأوربيين أيضا (١٠٦)

٥ - أدى قيام الزعماء الأفارقة بأداء فريضة الحج إلى تأثرهم بالدعوة الوهابية التي نادى أتباعها بالجهاد لإصلاح أحوال المسلمين والقضاء على كل ما يتعارض مع مبادئ الإسلام من البدع والخرافات (١٠٧) . وقد مثلت هذه الفريضة أهمية كبيرة لدى مسلمي غرب أفريقيا وأدرك الفرنسيون خطورتها فذكر الحاكم العام بوتنى (١٠٨) بأن هذه الفريضة تحدث تشويشا في أذهان الأفارقة وتبدل نفقة سهم إلتقاءهم بإخوانهم المسلمين فتقوى فيهم روح التضامن الإسلامى والثورة ضد الفرنسيين .

٦ - ويلاحظ أن دعوة الجهاد لم تقتصر على منطقة معينة ، بل امتدت في كل الغرب الإفريقى ، ونتج عن انتشارها ثورة عميقة ، شملت جميع جوانب الحياة السياسية ، والثقافية والدينية (١٠٩) .

(١٠٥) أحمد ، شلبى : المرجع السابق ، ج٢ ، ص١٧٧ ، ١٨٠ .

Cambridge History of Africa : op. cit., vol. 5, p. 126

(١٠٦)

Ibid., P. 126.

(١٠٧)

(١٠٨) حاكم أفريقيا العربية الفرنسية .

(١٠٩) لوثرروب ، ستودارد : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٣١٩ .

وترجع أهمية فكرة الجهاد ، إلى نجاح المسلمين فى محاربة الاستعمار الأوروبى ، فقد تطورت هذه الفكرة ، كما سبق أن ذكرنا - وخاصة فى المناطق التى سيطرت عليها فرنسا ، فظهرت بشكل أوضح ولكن ليس معنى ذلك أن فكرة الجهاد ضد الوثنيين لم تكن موجودة من قبل فى غرب أفريقيا ، ولكنها فى القرن التاسع عشر ، تطورت تطوراً كبيراً ، وكان من أهم رواد هذه الفكرة عثمان دان فوديو ، وسرعان ما انتقلت من أراضى الهوسا إلى الغرب فشملت السنغال وفوتا جالون وأعالى النيجر ، فأدى ذلك إلى اصطدام روادها بالزحف الفرنسى على المنطقة ، فقد اعتبر المسلمون أن محاربة القوات الأوروبية المسيحية هو نوع من الجهاد فى سبيل الله ولذلك اعتبروا الأوربيين أعداء لهم^(١١٠) . وربما كان لزعماء الممالك الإسلامية أطماع سياسية ورغبة فى المحافظة على دولهم ، إلا أنهم نجحوا فى إثارة الشعور الدينى لدى الأفارقة من الغزو الجديد ، ولذلك لم يكن من السهل على الأوربيين اجتياح الغرب الأفريقى ، ففرنسا على سبيل المثال والتى كان لها نصيب الأسد فى مستعمرات غرب أفريقيا ، واجهت مقاومة عنيفة فى كل منطقة تقدمت فيها بقواتها العسكرية ، والدليل على ذلك أن القواد العسكريين الفرنسيين ، اعتبروا أن الإسلام والممالك الإسلامية العقبة الوحيدة أمام تقدمهم فى المنطقة ، ونستدل على ذلك مما كتبه فيدهرب Faiderbe حاكم السنغال عن معاركه ضد مسلمى التكرور التابعين لـ مولاه بقوله : « أنهم يندفعون نحونا كما لو كانوا يريدون الاستشهاد »^(١١١) .

وهكذا مثلت القوة العسكرية الإسلامية أكبر عقبة أمام التقدم الأوروبى وكان مجرد إعلان زعيم من الوطنيين الجهاد ، أو الحرب ، معناه تكتيل الجهود واجتذاب العديد من السكان حوله ولذلك كان من المتعذر على قادة هذه الحركة التعاون مع الأوربيين أو تقبل السيادة الأوروبية ، لأنه كان من المحتم عليهم المحافظة على استقلالهم السياسى وحماية عقيدتهم . وأخيراً ينبغى الإشارة ، بأن هذه الفكرة لم تكن وليدة القرن التاسع عشر ، وإنما ظهرت قبل ذلك ولكن ترجع أهمية ظهورها فى هذا القرن إنها نبت فى الوقت الذى تطلعت فيه الدول الأوربية لغزو المنطقة ولذلك أصبح لها طابع جماعى بحيث أننا نجد أن كل زعيم وطنى كان يحذو حذو غيره فى إعلان الجهاد^(١١٢) .

Ajayi, J., F.A. : op. cit., Vol.II, p. 57.

(١١٠)

Forstner, Kanya : The Conquest of the Western Sudan, (Cambridge 1969), P. 37.

(١١١)

Crowder, Michael : West Africa resistance (London 1973), P. 53.

(١١٢)

ممالك غرب أفريقيا :

لقد تعاقبت الامبراطوريات والممالك فى السودان الغربى منذ فترة طويلة فظهرت امبراطورية غانا^(١١٣) القوية ، والتي أعقبها امبراطورية مالى^(١١٤) ، ثم امبراطورية السنغالى^(١١٥) ، التى استمرت حتى أواخر القرن الخامس عشر ، وانتهت على يد المقاربة ١٥٩١ ، الذين قادوا حملة ناجحة عبر الصحراء واستولوا فيها على تمبكتو وغيرها من المدن الهامة . ولما ضعفت الإدارة المغربية ، ولم يعد لقادة باشوات تمبكتو نفوذ سوى على تمبكتو فقط ، اضطروا فى كثير من الأحيان إلى دفع الجزية لملوك سيجو الوثنيين^(١١٦) .

وكان القضاء على امبراطورية السنغالى بداية لانهاء قيام امبراطوريات كبيرة ققامت بعد ذلك ممالك صغيرة الحجم ، وشهدت المنطقة قيام ممالك البيمارا الوثنيين فى كل من سيجو ، وكارته ، واستمر الوضع كذلك حتى القرن التاسع عشر الذى شهد من جديد امبراطوريات كبيرة على غرار تلك التى ظهرت فى العصور الوسطى من حيث كبر حجمها ومساحتها^(١١٧) فظهرت دولة الفولانى ، فى شمال نيجيريا التى أسسها عثمان دان فوديو ، كذلك امبراطورية التكرور ، التى أسسها الحاج عمر ، واستمر ابنه أحمدو شيخو فى إدارتها بعد وفاته ، ومملكة الماندنغو التى كونها سامورى تورى فى أعمال النيجر ، ثم انتقل بها إلى الأراضى الداخلية لساحل العاج وعندما ضيق عليه الفرنسيون الخناق^(١١٨) .

كذلك قويت الممالك الوثنية فى القرن التاسع عشر فى ساحل غينيا ، وعلى الأخص مملكة داهومى ، ولو أن هذه المملكة أسست منذ القرن السابع عشر إلا أنها لم تقو ويصبح لها كيان سياسى ودور بارز فى المنطقة إلا فى القرن التاسع عشر^(١١٩) .

(١١٣) ظهرت عام ٣٦٠ - ١٢٤٠ امتدت من نهر النيجر إلى ساحل المحيط الأطلنطى غربا وشالا عند حافة الصحراء .

(١١٤) قامت على انقاض مملكة غانا من ١١٣٨ - ١٤٨٨ .

(١١٥) استمرت ١٤٦٤ - ١٥٩١ امتدت فى منطقة النيجر الأوسط .

(١١٦) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(١١٧)

African Studies Review.

The Empires of Western Sudan (A Political analysis), By Horeya Megahed. 1972. V.I P. 24.

Growder, M. : op. cit. p. 144.

(١١٨)

Crowder, M. : op. cit., p. 144.

(١١٩)

وقبل أن نبدأ فى الحديث عن ممالك غرب أفريقيا ، ينبغى لنا أن نشير أولاً إلى السمات الرئيسية لزعماء وقادة هذه الممالك سواء فى الممالك الإسلامية أو الوثنية يمكن إيجازها فيما يلى :

- ١ - كون كل زعيم مملكة من أتباعه أو من عشيرته ، التى ينتمى إليها ، فعثمان دان فوديو وحد الفولانى فى دولة واحدة ، كذلك الحاج عمر جمع التكرور وجعل لهم كيافاً واحداً ، أما الماندنغو فقد كون منهم سامورى دولة واحدة ، ونلاحظ فى الممالك الوثنية أيضاً أنها تكونت من جماعات معينة . فمملكة داهومى تكونت من جماعات الفون ، ومملكة الموس تكونت من شعب الموس الوثنى (١٢٠) .
- ٢ - كان لزعماء الممالك الإسلامية قدرة على تجميع أتباعهم ومعظم هؤلاء الزعماء كانوا يمتلكون قدرة عسكرية مكنتهم من بسط سيطرتهم على جيرانهم فسامورى تورى زعيم الماندنغو على سبيل المثال لقبه الفرنسيون بونابرت السودان (١٢١) .
- ٣ - إعلان الزعماء المسلمين الجهاد كان كفيلاً بالتفاف الأتباع حولهم ، فقد رأوا فى دعوة الجهاد واجباً دينياً واستبسوا فى القتال ، سواء ضد الوثنيين لإجبارهم على اعتناق الإسلام ، أو ضد الفرنسيين الذين بدأوا فى غزو المنطقة (١٢٢) .
- ٤ - قوة شخصية الزعماء وتأثيرهم الكبير على الجماعات التى ينتمون إليها ، وفى الواقع نلمس هذا التأثير أيضاً حتى فى مملكة داهومى الوثنية فالملك كانت له السلطة المطلقة ، لا يجرو أحد على مناقشته فيها ، وكان الولاء له شخصياً فقط ، فقد اقتنع أهالى داهومى بأن الملك يملك كل شيء حتى أرواحهم كانت ملكاً له .
- ٥ - لعل السمة المشتركة لدى زعماء ممالك غرب أفريقيا هو قدرتهم على رسم الخطط العسكرية . مع التدريب العنيف لجنودهم ، ونلمس ذلك بوضوح لدى جيش السوفا الذى كونه سامورى ، كذلك نلمسه فى مملكة داهومى الوثنية ، حيث لعبت نساء الأمازون دوراً كبيراً فى الجيش الداهومى لمقدرتهن الفائقة فى الدفاع عن البلاد (١٢٣) .

Ibid., p. 144

Sik, Endre : A History of Black Africa, (U. S. A. 1970), Vol. I, p. 314.

Cambridge History of Africa : op. cit., Vol. 5, p. 126.

M. A. C. : Histoire Complète des Voyages et de Couvertes en Afrique, (Paris 1924) p. 225

(١٢٠)

(١٢١)

(١٢٢)

(١٢٣)

٦ - اشترك معظم زعماء غرب أفريقيا فى أنهم جميعاً عمدوا إلى الإتصال بجيرانهم للحصول على الأسلحة المتطورة والحديثة فكلهم لم يقنعوا بما لديهم من أسلحة ومعدات ، وعملوا على تسليح قواتهم ، فسامورى اشترى الأسلحة من تجار سيراليون ، والحاج عمر عمل على استقدام الخبراء العسكريين من سانت لويس ، وخاصة أولئك الذين عملوا فى الجيش الفرنسى فاكسبوا خبرة كبيرة ، حتى فى ساحل غينيا نلاحظ بأن ملوك داهومى ابتاعوا الأسلحة من المستعمرة الألمانية المجاورة لهم فى توجو فاشترى الأسلحة من التجار الألمان^(١٧٢) .

الممالك الإسلامية :

الفولانى :

إذا استعرضنا الوضع السياسى لغرب أفريقيا فى القرن التاسع عشر ، نلاحظ ظهور عدد من الممالك الإسلامية ، قام معظمها على أساس فكرة الجهاد لنشر الإسلام ، ولكن ليس معنى هذا أن كل الممالك التى أسست فى المنطقة كانت تدين بالإسلام ، فلقد وجدت ممالك أخرى فى ساحل غانا ، كانت بعيدة تماماً عن الدين الإسلامى واحتفظت بوثنيتها مثل مملكة داهومى ومملكة الموسيقى فى فولتا العليا .

ولعل أهم الممالك الإسلامية التى ينبغى أن نتحدث عنها هى مملكة الفولانى ، التى تأسست فى القرن التاسع عشر وظلت قائمة لمدة قرن من الزمان فى بلاد الهوسا ، حتى قضى عليها الاستعمار البريطانى . ورغم وقوع مملكة الفولانى فى مناطق نفوذ بريطانيا فى غرب أفريقيا ، إلا أننا رأينا ضرورة الإشارة إليها قبل الحديث عن غيرها من الممالك التى وقعت فى يد فرنسا ، وذلك نظراً للدور الهام الذى لعبه مؤسس الفولانى عثمان دان فوديو فى المنطقة وتأثر باقى مناطق غرب أفريقيا بدعوته بدرجة كبيرة .

تقع بلاد الهوسا في نيجيريا الشمالية ، وكان للهوسا سبع أمارات شهيرة ^(١٢٥) ، وهي إمارة دورا Daura ، وكانو Kano ، وزازاو Zazaw وزجج Zegzeg ، وجوير Gobir ، وكاتسينا Katsina ، وبيرام Biram ، ورانو Rano ^(١٢٦) .

ولا نستطيع تحديد تاريخ دخول الإسلام في أراضي الهوسا ، ولكن يرجح أنه دخل البلاد في القرن الرابع عشر عن طريق تجار الديولا وتجار مالي ولكنه لم ينتشر إلا في القرن الخامس عشر ، وكان الإسلام في البداية هو دين الصفوة وطبقة الأدباء وظلت الوثنية هي السائدة ثم اختلطت العقيدة الإسلامية بالوثنية وظل الأمر كذلك حتى ظهور عثمان دان فوديو ^(١٢٧) .

ولد عثمان في ماراته Maratta في جوير ، بالقرب من سوكتو عام ١٧٥٤ ، وتوفي في عام ١٨١٨ ، وقد تلقى تعليما إسلاميا في اجادس Agadas ^(١٢٨) في الصحراء ، ثم اعتنق الطريقة القادرية ، وعمل على إرشاد الناس إلى العقيدة الصحيحة فقد رأى اختلاط الإسلام بالوثنية في جوير فصم على ضرورة الإصلاح ^(١٢٩) وقد ساعد عثمان دان فوديو في عودته إلى أنه انضم إلى الفولاني الذين استقروا في المنطقة منذ فترة طويلة فكانوا عوناً له كما أنه قام بأداء فريضة الحج إلى مكة المكرمة وتأثر باتباع الدعوة الوهابية ومبادئهم في محاربة البدع والخرافات فعاد إلى بلاده وهو مصمم على نشر الإسلام والتخلص من البدع التي انتشرت في المنطقة ^(١٣٠) .

بدأ عثمان في نشر دعوته وأفكاره منذ عام ١٧٧٤ ، وفي عام ١٧٨٦ بدأ في إرسال البعثات ، فأرسل بعثة إلى زمفارة كما راسل العديد من قادة الفولاني شارحاً لهم أفكاره ، ومنذ عام ١٧٩٥ بدأ أنصار عثمان في التسلح لتكوين جيش قوى ^(١٣١) وقد شعر ملك جوير

(١٢٥) انظر شكل (٢) - (٤) .

(١٢٦) بوفيل ، أ . ي : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

The Cambridge History of Africa; op. cit., Vol. 5. P. 132.

(١٢٧)

(١٢٨) انظر شكل (٢) - (٣) .

(١٢٩) عبد الرحمن ، زكي : المرجع السابق (الإسلام) ص ٩٠ .

(١٣٠) عبدالله ، الشبل : المرجع السابق ، ص ٦٩٠ .

Anderson, John : West Africa, East Africa in the Nineteenth and Twentieth Centuries. (١٣١)

(London 1972), p. 58.

نفاته Nafata بخطورة الموقف بعد تسليح عثمان ولذلك عمل على التصدي لأتباعه وبعد وفاة نفاته خلفه ابنه يونفا Yunfa فاستمر في عدائه لعثمان وأمره بالرحيل من دجل Degele فأمر عثمان أتباعه بدوره بالهجرة ، وأعلن الجهاد ، وأنه سيهاجر أسوة لهجرة الرسول ، ثم اتجه نحو جودو Gudu ، ونجح في عام ١٨٠٤ في إلحاق الهزيمة بجيش يونفه (١٣٢) .

وكانت هزيمة يونفه ، نقطة تحول كبيرة فقد بدأ الهوسا يدركون مدى قوة الفولاني ، وفي عام ١٨٠٥ غزا عثمان كبي Kebbi كما أرسل ابنه محمد بللو إلى زعماء كاتسينا ، ودورا ، وكانو ، وزمفارة ، للتحالف معه فأقسموا له يمين الولاء وفي نفس العام استولى على زاريا (١٣٣) . ورغم تحالف ملوك كاتسينا ودورا وكانو وزمفارة إلا أنهم سرعان ما خشوا على مراكزهم وسلطانهم وخاصة بعد أن تلقب عثمان بلقب أمير المؤمنين وملكا على المسلمين وهو اللقب الذي حمله أسلافه السلاطين الحاكمين لسوكوتو (١٣٤) وقد أعلن هؤلاء الزعماء تقضهم للعهد وانقضوا على أنصار عثمان وقتلوهم فاشتعلت الحرب في المنطقة وأعلن عثمان استئناف الجهاد وقد أعطى عثمان لكل من يثق به من أتباعه علما دليلا على تبعيته له وأمرهم بتخليص العالم من الكفرة (١٣٥) .

وفي عام ١٨٠٨ استولى عثمان على الكلوة عاصمة جويير ، فأرسل جيشا بقيادة ابنه محمد بللو نجح في قتل حاكمها يونفه واحتلال المدينة ، وقد كان لهذا الحادث أثر كبير فقويت شوكة الفولاني وذاع صيتهم (١٣٦) وفي عام ١٨٠٩ سقطت كانو ، وتحرك عثمان نحو سوكوتو ، وبذلك نجح في الاستيلاء على المراكز الهامة في أراضى الهوسا ، ثم اتخذ من سوكوتو عاصمة لدولته (١٣٧) وفي عام ١٨١٤ ، امتدت امبراطورية الفولاني حتى نهر بنوى ، وقد نجح عثمان في اجتذاب جميع طبقات المجتمع حتى انضم إليه العبيد والنساء (١٣٨) .

Ajayi, J. F. : op. cit., Vol. II, PP. 7 - 8.

(١٣٢)

Anderson, J. : op. cit., P. 60.

(١٣٣)

(١٣٤) انظر شكل (٢) - (٣) - (٤) .

(١٣٥) بوفيل : المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

(١٣٦) عبدالرحمن ، زكى : المرجع السابق (الاسلام) ص ١٢ .

Anderson, J. : op. cit., P. 60.

(١٣٧)

Cambridge History of Africa : op. cit., Vol. 5, P. 14.

(١٣٨)

بعد الاستيلاء على كلوة عاصمة جويير ، رأى عثمان ضرورة الاستيلاء على بورنو القوية ، فهاجمها بقواته واستعان أهلها بالزعيم الدينى محمد الأمين الكانمى ، الذى نجح فى طرد الفولانى ، ورغم ذلك ظل الفولانى يغيرون على بورنو ، حتى احتلوا الجزء الغربى منها ولكنهم لم ينجحوا فى السيطرة عليها كلها (١٣٧) .

وقد ظلت بورنو على عدائها مع الفولانى نتيجة لاستيلائهم على بعض أراضيها (١٤٠) واتسمت مناطق الحدود بين بورنو وسوكوتو بالاضطراب الدائم (١٤١) .

قسم عثمان امبراطوريته إلى قسمين ، القسم الشرقى عهد به إلى ابنه محمد بللو ، والقسم الغربى عهد به إلى شقيقه عبدالله ، وشمل القسم الشرقى زمفارة ، وكاتسينا ، وكانو ، ويوشى ، وكانت سوكوتو المركز الرئيسى . أما القسم الغربى ، فشمل نوب Nupe (١٤٢) ، ودندى Dendi ، وبورجو Borgou (١٤٣) ، وإيلورين Ilorin والمركز الرئيسى جواندو فى إقليم كبرى ، وقد استمر حكم الفولانى لهذه الأجزاء لمدة قرن حتى قضى عليهم الاستعمار البريطانى (١٤٤) .

يمكن تحليل الأسباب التى أدت إلى نجاح عثمان فى بسط نفوذه الدينى والسياسى فى المنطقة لعدة أسباب :

- ١ - اعتمد عثمان على الفولانى فى تكوين امبراطوريته وقد عين الكثير منهم حكاما للأقاليم المختلفة التى استولى عليها ، كما كون منهم جيشه وقواده .
- ٢ - اتسمت حكومة عثمان بأنها كانت أكثر أمنا من غيرها من الحكومات السابقة فتوافد عليه الناس وانضموا إليه فكانت حركته حركة شعبية رائعة .
- ٣ - إعلانه الجهاد ، ونجاحه فى إثارة الحماس الدينى لقواده من أجل نشر الإسلام وتصحيح العقيدة الإسلامية فقاتلت قواته وكلها حماس لتحقيق هدفها الدينى وانتشر الإسلام فى

(١٣٦) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الإسلام) ص ٩٣ .

(١٤٠) استولى الفولانى على Missan - Katagum - Gudiru

(١٤١)

Ajayi, J. : op. cit., Vol. II, P. 60.

(١٤٢) انظر شكل (٤) .

(١٤٣) انظر شكل (٢) .

Anderson, J. : OP. cit., P. 62.

(١٤٤)

شمال نيجيريا وترتب على ذلك أن الحروب قلت بين المدن والأقاليم المختلفة مما أدى بدوره إلى انتعاش التجارة وأصبحت كانو مركزاً هاماً من مراكز التجارة (١٤٥) .

٤ - كانت حركة عثمان أشبه بثورة اجتماعية وتغير اجتماعى وثورة فى الإدارة والقضاء والقانون وتعليم النساء ونجح عن طريق القوة العسكرية فى نشر الإسلام والقضاء على الوثنية والتخلص من العادات السيئة (١٤٦) .

٥ - أثرت حركة عثمان دان فوديو تأثيراً كبيراً على الغرب الأفريقى ، وعلى الزعماء الأفارقة ، فسعوا لتقليده وتطلعوا لبناء دول وممالك على غرار مملكة الفولانى فى منتصف القرن التاسع عشر ، فنجح الحاج عمر فى تكوين امبراطورية من التكرور ووجه جهوده لنشر الإسلام بين البمبارا الوثنيين كما ظهر العديد من القادة الذين تطلعوا للقيام بنفس الدور الذى لعبه عثمان فى تكوين ممالك مماثلة (١٤٧) .

وأخيراً تمتاز امبراطورية الفولانى بأن منشئها لم يكن فقط بطلاً ، ورجل سياسة بل كان عالماً ورجلاً من كبار المفكرين المسلمين ، وله مؤلفات (١٤٨) واسعة ، فيها عمق وبحث ودراسة وقد غلبه هذا الإتجاه ، فلم يحفل بالعرش الذى كونه ، ولا بالمجد السياسى الذى أحرزه ، بل ترك هذا لابنه ، ولأخيه ، وعكف هو على البحث والدراسة ووضع قاعدة الفكر السياسى موضع التنفيذ فدان بها أبنائه من بعده ، وهى أن الملك لمستحقه لا لوارثه وأن الأمر شورى وبالإضافة إلى هذا كان القضاء مستقلاً عن السلطة التنفيذية ولم يكن للحكومة تدخل فى أمور القضاء وكان القضاء ينفذون الشريعة الإسلامية ، وقد عرف عن قضاة هذه الامبراطورية الدقة والتبحر فى العلم وفى فهم القوانين الإسلامية . ومن الناحية الاقتصادية كان هناك بيت المال ، وله موارده ومصارفه التى تتبع الفكر الإسلامى فالزكاة على التجارة والحاصلات الزراعية تدفع لبيت المال ، وكانت هناك جزية على غير المسلمين نظير إعفائهم من الخدمة العسكرية ونظير استمتاعهم بالمرافق العامة (١٤٩) .

Ibid., P. 62.

(١٤٥)

Cambridge History of Africa; op. cit., Vol. 5, PP. 144-149.

(١٤٦)

Deschamps, H. : op. cit., Vol. II, P. 124.

(١٤٧)

(١٤٨) من أهم مؤلفات عثمان دان فوديو : أصول الولاية - إحياء السنة - بيان البدع - ترغيب العباد - تهيئة المسلمين - الجهاد .

(١٤٩) أحمد ، شلبى : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

وبعد وفاة عثمان استمرت امبراطوريته قائمة ، إلا أن خلفاءه دخلوا فى صراع مع محمد الكانمى الذى نجح فى إقامة دولة إسلامية فى كانم متخذاً من كوكبة عاصمة له ، وسيطر على باجرمى وواداي كما تحالف مع حاكم فزان عام ١٨١٨ ووصل بنفوذه حتى غرب بورنو (١٥٠) .

ويرجع سبب العداء بين الكانمى ومحمد بللو بن عثمان ، أن الكانمى لم يعترف فكرة الجهاد ، كما أنه كان على صلة وثيقة ببعض الدول الوثنية فى المنطقة ولم يحاول إعلان الجهاد ضدها أو محاربتها ، ولكن بعد سلسلة من الحروب اتفق الطرفان على ضرورة تحديد الحدود فيما بينهما (١٥١) .

وإذا كان محمد الكانمى قد رفض اتباع نفس أسلوب عثمان دان فوديو رغم تقارب أراضى كل منهما ، فإن دعوة الجهاد التى أعلنها عثمان امتدت غرباً فتأثر بها أحمدو لوبر فى ماسينا التى ضمت جماعات من الفولانى والسونكة بالإضافة إلى البمبارا الوثنيين .

ولد أحمدو لوبو ١٧٧٥ م ، وقد تلقى تعليماً دينياً فى بلاد الهوسا عام ١٨٠٥ ، وهو ينتمى لعشائر من الفولانى هاجرت إلى المنطقة الواقعة بين السنغال والنيجر ، واستقرت فى ماسنه ، وعندما عاد أحمدو إلى ماسينا تولى الحكم ولقب أمير المؤمنين ، وقد ساعده عثمان دان فوديو فى تولى السلطة وقد استولى أحمدو على جنى (١٥٢) وأسر حكامها ، وفى عام ١٨١٥ أسس عاصمة دولته شرق نهر بانى (١٥٣) وهى حمدالله (١٥٤) ، وقد امتد سلطانه حتى تمبكتو فى الشمال والشرق ، وإلى فولتا السوداء فى الجنوب الشرقى ، وفى الغرب حتى كالا (١٥٥) .

وقد تأثر أحمدو بحركة التجديد التى تزعمها عثمان ، كما أنه سار على نفس نمط الحكم الذى اتبعه عثمان فاقتبس منه النظام الإدارى والعسكرى والدينى فأعلن الجهاد وهاجم الوثنيين ومنع شرب الخمر فى دولته ، كما حكم البلاد بواسطة مجلس مكون من أربعين

Anderson, J. : op. cit., P. 63.

(١٥٠)

(١٥١) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الاسلام) ص ٩٥ .

(١٥٢) انظر شكل (٤) .

(١٥٣) انظر شكل (٤)

(١٥٤) انظر شكل (٥)

(١٥٥)

Anderson, J. : op. cit., PP. 65 – 66.

عضواً ، واعتمد فى كثير من الأحيان على قوات عثمان دان فوديو لقيادة معاركه الحربية ^(١٥٦) كما أنه تلقى من أولاد عثمان أربع كتب موضح فيها أساليب الحكم وتنظيم العلاقة بينه وبين حكام الأقاليم وتعليمات خاصة لشئون القضاء وبعض أجزاء من القرآن ^(١٥٧) .

ومن أهم العوامل التى ساعدت أحمدو لوبو فى تقوية دولته :

١ - مساعدة عثمان دان فوديو له ، كذلك أبناء عثمان بعد توليهم الحكم فاستمرت الصلات بين الطرفين قوية ومتينة .

٢ - انتشار الطرق الصوفية وخاصة القادرية التى اعتنقها أحمدو أسوة بعثمان دان فوديو ، وقد أدى ذلك إلى التفاف الفولانى حوله فى ماسينا وتأيدته .

٣ - إعلان أحمدو الجهاد ضد الوثنيين أدى إلى علو مكانته بين الفولانى المسلمين الذين اعتبروا هذه الدعوة بمثابة الخلاص لهم من سيطرة البيمبارا الوثنيين ^(١٥٨) .

وأخيراً لقد نجح أحمدو لوبو فى تكوين دولة إسلامية فى منطقة النيجر الأوسط ونشر الإسلام والقضاء على حكام سيجو من البيمبارا الوثنيين وكون دولة على غرار دولة الفولانى فى أراضى الهوسا ^(١٥٩) ولكن يؤخذ عليه بأنه لم يقنع بأن يكون داعياً عادياً فأدعى الانتساب إلى البيت النبوى ثم ادعى بأنه المهدي وأخذ البيعة لنفسه من المسلمين ^(١٦٠) .

وقد توفى أحمدو لوبو عام ١٨٤٤ وخلفه ابنه أحمدو الثانى الذى توفى عام ١٨٥٢ ، فخلفه ابنه أحمدو الثالث وظلت دولته قائمة حتى منتصف القرن التاسع عشر عندما قضى عليها الحاج عمر الذى استولى على حمدالله وقتل أحمدو عام ١٨٦٢ ^(١٦١) .

Ajayi, J. : op. cit., Vol. II, P. 14. (١٥٦)

Hagreaves, J. : France and West Africa (Great Britain 1969), PP. 123 – 124. (١٥٧)

The Cambridge History of Africa : op. cit., Vol. 5, p. 153. (١٥٨)

Trimingham, J. Spencer : A History of Islam in West Africa, (Great Britain 1962), P. 180. (١٥٩)

West Africa, (Great Britain 1962), P. 180.

(١٦٠) أحمد ، شلى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

Trimingham, J. : op. cit., P. 180. (١٦١)

امبراطورية التكرور :

يعتبر الحاج عمر تل من أشهر زعماء حركة الجهاد بعد عثمان دان فوديو فقد استطاع قبل وفاته بناء امبراطورية كبيرة من التكرور امتدت فى أعالى السنغال والنيجر .

ولد الحاج عمر فى نهاية القرن الثامن عشر فى فوتا تورو (١١٣) Fouta Toro فى قرية الوار Alwar بالقرب من بودور (١١٣) Podor عام ١٧٩٧ ، وكان لأسرته نفوذ كبير فى المنطقة (١١٤) فقد كان والده ويدعى سيدو Seidou من المرابطين فحرص على تلقين ابنه وتعليمه تعليماً دينياً (١١٥) . وقد أدى الحاج عمر فريضة الحج وأقام بمكة حوالى ثلاث سنوات درس خلالها على يد زعيم الطريقة التيجانية محمد الغالى ، الذى عينه خليفة للتيجانية فى السودان (١١٦) ثم مر الحاج عمر على القاهرة وزار الأزهر الشريف حيث التقى بكبار العلماء ورجال الدين وعلماء الصوفية ، وعندما عاد إلى السودان تزوج من ابنة السلطان محمد بللو وقضى عدة سنوات فى سوكونتو (١١٧) .

ولا شك أن رحلات الحاج عمر إلى مكة والقاهرة وسوكونتو قد أفادته كثيراً فزادت ثقافته الدينية وأطلع على شئون العالم الإسلامى ولعل أهم نتيجة لهذه الرحلات هو أنه أصبح زعيماً للتيجانية فى غرب أفريقيا . وقد اتجه عمر بعد عودته من سوكونتو إلى ماسينا ومنها إلى فوتا تورو . وقد عزم على نشر الإسلام ومحاربة الوثنيين فبدأ فى إنشاء مركز له فى دياجوكو Diagouku (١١٨) بالقرب من تمبو فى فوتا جالون وقد أنفج حوله الأتباع وطلاب العلم وقد اكسبته رحلة الحج إلى مكة هيبة كبيرة فى السودان الغربى فتزايد عدد أتباعه بدرجة ملحوظة (١١٩) . وقد نجح الحاج عمر فى نشر دعوته للإسلام ومحاربة الوثنيين فى كل من فوتا جالون والسنغال كما بنى المراكز فى بودور وبأقل ودمبورا وكون جيشاً من

(١٦٢) انظر شكل (٤) .

(١٦٣) انظر شكل (١) - (٤) - (٥) .

Hagreaves, J. : op. cit., P. 128.

(١٦٤)

Magé, E. : Voyage dans le Soudan Occidental, (Paris 1877), P. 87.

(١٦٥)

Hogben, J. : An Introduction to the History of Northern Nigeria, (Ibadan 1967), p. 60.

(١٦٦)

The Cambridge History of Islam : op. cit., Vol. 5, P. 155.

(١٦٧)

(١٦٨) انظر شكل (٥) .

Crowder, M. : op. cit., P. 56.

(١٦٩)

التكرور اعتمد فى تسليحه على الأسلحة الحديثة التى حصل عليها من تجار سيراليون وغمبيا كما عمل على استغلال مناجم الذهب فى بوريه ^(١٧٠) فى أعالي النيجر لشراء ما يلزمه من الأسلحة والإنفاق على جيشه ^(١٧١) كما حرص الحاج عمر على تزويد جيشه بعناصر لها خبرة عسكرية فاعتمد على بعض من التكرور الذين عملوا لمدة طويلة فى السنغال مع الفرنسيين أمثال سامبا نديه Samba Nadiaye الذى عمل فى سانت لويس لمدة عشرين عاما مع الفرق الفرنسية ثم أصبح المسئول العسكرى عن جيش التكرور وبفضل خبرته العسكرية حققت قوات الحاج عمر مزيد من الانتصارات ^(١٧٢) .

وفى عام ١٨٤٩ ترك الحاج عمر دياجوكو واتجه إلى دينجويرى ^(١٧٣) Dinguiraye التى اتخذها مركزاً له ، وخلال عام ١٨٥٠ نشط فى فوتا جالون وجمع حوله الأتباع من فوتا تورو وغزا بامبوك Bambouk ^(١٧٤) واستطاع دخول نيورو عاصمة كارتة عام ١٨٥٤ ^(١٧٥) . وقد أعلن الحاج عمر الجهاد ضد الوثنيين منذ عام ١٨٥٢ ونجح فى شن عدة حملات عسكرية من مركزه الرئيسى فى دينجويرى نحو أعالي السنغال ^(١٧٦) وكان لإعتناقه الطريقة التيجانية أثر كبير فقد كانت هذه الطريقة ترى ضرورة استخدام القوة أو السيف ضد الوثنيين لإجبارهم على الدخول فى الدين الإسلامى واستمر الحاج عمر فى شن غزواته ضد البمبارا فى كل من سيجو وكارته ^(١٧٧) .

وينبغى لنا أن نذكر بأن الحاج عمر اتجه بغزواته شرقاً نحو النيجر وذلك منذ عام ١٨٥٩ بعدد تزايد النفوذ الفرنسى فى السنغال ففضل تركيز نشاطه بعيداً عنهم فى أعالي النيجر ^(١٧٨) .

(١٧٠) انظر شكل (٦) .

Mage, E. : op. cit., PP. 87 – 91.

(١٧١)

Hagreaves, J. : op. cit., P. 134.

(١٧٢)

(١٧٣) انظر شكل (٤) – (٦) – (٧) .

(١٧٤) انظر شكل (٥) .

Trimingham, J. : op. cit., P. 181.

(١٧٥)

Curtin, Philip : African History, London 1978, P. 385.

(١٧٦)

Gann, L., H. : op. cit., Vol. II, P. 148.

(١٧٧)

Crowder, M. : op cit., P. 57.

(١٧٨)

وقد وجه الحاج عمر جهوده فى النيجر ضد البمبارا الوثنيين فى كل من سيجو^(١٧٩) وكارته فنجح فى دخول سيجو عام ١٨٦١ ، كما استولى على ماسينا من السلطان أحمدو الثالث حفيد أحمدو لوبو عام ١٨٦٢ ودخل العاصمة حمد الله ، كما فرض الضرائب على حكام تمبكتو وبذلك امتدت سيطرته من ميدين فى السنغال حتى تمبكتو على النيجر^(١٨٠) .

كان من الطبيعى ألا يقف البمبارا مكتوفى الأيدى أمام توسع الحاج عمر وامتداد سلطانه صوب النيجر ولذلك تحالفوا مع حكام تمبكتو من الطوارق وتآمروا ضد الحاج عمر ونجحوا فى حصاره فى حمد الله . وقام البمبارا بقطع الطرق الموصلة بين ماسينا وسيجو لمنع وصول أية امدادات إليه فأضطر إلى الإلتجاء إلى إحدى المغارات التى حوصر فيها حيث قتل فى عام ١٨٦٤^(١٨١) .

وقد اختلف جهاد الحاج عمر عن جهاد كل من عثمان دان فوديو فى بلاد الهوسا وأحمدو لوبو فى ماسينا فى النقاط التالية :

١ - كانت حركة الجهاد التى أعلنها عمر فى زمن السيطرة الفرنسية مع بداية التغلغل الفرنسى فى غرب أفريقيا . فى تلك الفترة كان فيدهرب حاكم السنغال يعمل بنشاط لتثبيت النفوذ الفرنسى فى المنطقة مما أدى إلى اصطدامه بالحاج عمر - كما سنرى - ولذلك ينظر إلى حركة الحاج عمر على أنها تعبير عن المقاومة الإفريقية ضد الفرنسيين ، رغم أنه من قبيل الجهاد أيضا ضد الوثنيين ، وضد حكام المسلمين الذين رفضوا الخضوع له مثل حاكم ماسينا^(١٨٢) .

٢ - أعلن الحاج عمر الجهاد فى مسقط رأسه فى فوتا تورو مما أتاح له تكوين شعبية كبيرة فألّف حوله عدد كبير من الأنصار^(١٨٣) .

(١٧٩) انظر شكل (٤) - (٥) .

Curtin, P. : op. cit., P. 386.

(١٨٠)

Crowder, M. : op. cit., P. 60

(١٨١)

The Cambridge History of Africa : op. cit., Vol. 5, pp. 156 - 159

(١٨٢)

The Cambridge History of Africa : op. cit., Vol. 5, pp. 159

(١٨٣)

٣ - استخدام الحاج عمر العنف ضد معارضيه وكان لإعتناقه الطريقة التيجانية أثر كبير على سلوكه الحربي ورغم استخدام عثمان دان فوديو ، وأحمدو لوبو القوة لتحقيق أهدافهم إلا أن الحاج عمر كان أكثر عنفا مع معارضيه فلم يتيح لهم فرصة الخيار وشن هجمات متكررة وعنيفة ضد الوثنيين والمسلمين على السواء ^(١٨٤) .

٤ - اعتبر الحاج عمر أتباع الطريقة القادرية أعداء له ، فوجه إليهم الانتقادات واللوم واعتبرهم متهاونين في شؤون دينهم .

٥ - اعتبر أتباع الحاج عمر بأن العناية الإلهية أرسلته لهم لرفع شأنهم فأحاطوا اسمه بكثير من التقديس والتبجيل ^(١٨٥) .

٦ - نجح الحاج عمر في تحويل مسلمي غرب أفريقيا إلى اعتناق الطريقة التيجانية فتحول كثير منهم من القادرية إلى التيجانية .

ويعلل لنا جان سوريه كنال Jean Suret Canale ذلك بأن زعماء القادرية اعتبروا أنفسهم طبقة أرستقراطية فأقاموا الحواجز بينهم وبين العامة باستثناء عثمان دان فوديو - بينما نجد أن الحاج عمر تقرب إلى العامة بل إلى العبيد وعين الكثير منهم في المناصب الهامة فتدرج بعض العبيد في المناصب حتى وصلوا إلى مناصب القيادة في الجيش ^(١٨٦) .

لقد حكم الحاج عمر بواسطة أتباعه من التكرور واعتمد على ولائهم له وطاعتهم ، لقد كان الولاء له شخصا هو أساس نجاحه في تحقيق الانتصارات والإنجازات ^(١٨٧) .

لقد أصيب فيدهرب حاكم السنغال بالدهشة من تأثير الحاج عمر على مسلمي سانت لويس ولذلك عهد إلى بوا المجدد Bou El Moghdad وهو من الأفارقة الذين عملوا في خدمة حكام السنغال - بكتابة تقرير مفصل عن الحاج عمر ^(١٨٨) وقد عزا بوا المجدد إلتراف المسلمين حول الحاج عمر بسبب قيامه بأداء فريضة الحج إلى مكة مما أكسبه هبة كبيرة

Gann, L., H. : op. cit., Vol. II, P. 148.

(١٨٤)

Hagreaves, J. : op. cit., P. 123.

(١٨٥)

Ajayi, J., F. : op. cit., Vol. II, p.351.

(١٨٦)

Hagreaves, J. op. cit., p. 123

(١٨٧)

(١٨٨) نشر هذا التقرير في مجلة Revue Maritime et Coloniale في عام ١٨٦١ .

من الأفارقة كذلك لحفظه القرآن الكريم وإمامه التام باللغة العربية . ووضح بوالمجدد بأن الوسيلة الوحيدة التي تمكن فرنسا من القضاء على الحاج عمر هي إتاحة الفرصة أمام عدد كبير من مسلمى السنغال لأداء فريضة الحج نظراً لأهميتها وماتكسبه لصاحبها من هبة وشهرة وبذلك يزداد عدد من يؤدي هذه الفريضة ولا تصبح قاصرة على عدد محدود، وبذلك تزول هبة وشهرة الحاج عمر تلك الهبة التي اكتسبها بسبب حجه إلى مكة (١٨٩) .

وفى الواقع أن رأى بوالمجدد فيه جانب من الصواب ففريضة الحج اكتسبت صاحبها بالفعل هبة ومكانة فى غرب أفريقيا ولكن كان من المتعذر تنفيذ ما جاء فى تقرير بوالمجدد فليس من المعقول أو من السهل أن تنظم فرنسا رحلات جماعية للأفارقة للقيام بهذه الفريضة .

وأخيراً بعد وفاة الحاج عمر تولى ابنه أحمدو شيخو (١٩٠) حكم امبراطورية التكرور واستمر يدير شؤونها حتى قضى عليه الفرنسيون (١٩١) .

امبراطورية الماندنغو :

كون سامورى تورى Samory Touré امبراطورية إسلامية من قبائل الماندنغو التي نجح فى بوحيدها تحت زعامته . ولم تذكر لنا المراجع إذا كان سامورى قد اعتنق إحدى الطرق الصوفية التي انتشرت فى غرب أفريقيا ، ولكن من المؤكد أنه كان من ضمن الزعماء الأفارقة الذين أعلنوا الجهاد ضد الوثنيين ثم الفرنسيين بعد ذلك . وقد لعب سامورى دوراً كبيراً فى غرب أفريقيا واصطدم بالفرنسيين ودام الصراع بين الطرفين أكثر من عشرين عاماً نجح سامورى خلالها فى بث الفرع والرعب فى قلوب الفرنسيين حتى أن كثيراً من الكتاب الفرنسيين وصفوه بأنه دموى متعطش للدماء ، فألف ديبوك Duboc كتابه بعنوان Samory le Sanglant بينما وصفه بعض القادة الفرنسيين بأنه من أمهر القواد العسكريين حتى شبهه القائد الفرنسى بيروز Peroz بأنه بونابرت السودان (١٩٢) .

Hagreaves, J. : op. cit., p. 148.

(١٨٩)

(١٩٠) انظر الفصل الثالث ، الأراضي الواقعة تحت نفوذ أحمدو شيخو .

(١٩١) دائرة المعارف الإسلامية ، المراجع السابق ، ص ١٧٢ .

Sik, E. : op. cit., vol. I, p. 314

(١٩٢)

ولد سامورى فى سانتكورو Sanankoro فى جنوب شرق كنانا فى أعالى حوض نهر ميلو Milo^(١١٣) أحد روافد النيجر. / وقد اختلف الباحثون فى تاريخ مولده ولكن من المرجح بأنه يقع بين سنتى ١٨٢٠ أو ١٨٣٥^(١١٤). وقد تلقى سامورى فى صباه تعليماً دينياً على يد والده لافيا تورى Lafia Touré وأكمل تعليمه الدينى على يد أحد المرابطين. وقد وقعت حادثة لسامورى كانت لها أكبر الأثر فى نشأته العسكرية، فقد حدث أن وقعت والدته فى أسر أحد الزعماء ويدعى سيزيه Sisé عام ١٨٥١ وكان على سامورى لكى يفك أسرها أن يعمل لمدة سنوات فى خدمة جيش سيزيه فقبل سامورى^(١١٥).

أراد سامورى تكوين امبراطورية كبيرة تضم الماندنغو فى المنطقة الواقعة عند أعالى النيجر ومنابعه ولذلك بدأ فى تنفيذ هدفه منذ عام ١٨٧٢ عندما اتخذ من بيساندوجو Bissandougou^(١١٦) عاصمة لدولته وفى عام ١٨٧٣ تمكن من الاستيلاء على كنانا وبدأ يتطلع لمد نفوذه صوب باماكو وشمال النيجر. وقد أحاط بمملكته التكرور من الشمال الغربى والغرب، ومملكة كينيدوجو Kenédougou^(١١٧) فى الشرق ومن الجنوب سيراليون وليبيريا، ولم تكن علاقة سامورى حسنة مع جيرانه فأتسمت علاقته بالعداء مع مملكة كينيدوجو، كما أنه لم يحاول التحالف مع التكرور واعتبرهم منافسين له. أما فى الجنوب فقد ارتبط بعلاقة صداقة مع التجار البريطانيين فى كل من سيراليون وليبيريا^(١١٨).

وفى عام ١٨٧٤ تلقب سامورى بلقب فاما Fama أى ملك ولجأ إلى إخضاع القبائل بالقوة وبسط سيطرته على قبائل الماندنغو وكون جيشاً كبيراً منهم كذلك من أسرى حروبه وكان يتولى أسر الأطفال^(١١٩) وتنشئتهم نشأة عسكرية^(١٢٠) ولتدعيم جيشه قام ببيع الرقيق

(١١٣) انظر شكل (٧) .

Crowder, M. : op. cit., p. 113.

(١١٤)

Labouret, Henri : L'Afrique Précoloniale, (Paris 1959), p. 68.

(١١٥)

(١١٦) انظر شكل (٥) - (٦) .

(١١٧) انظر شكل (٦) .

Anderson, J. : op. cit., p. 69.

(١١٨)

(١١٩) يذكرنا هنا بالجيش الانكشارى زمن الامبراطورية العثمانية .

Fage, J. : An Introduction to the History of West Africa (Cambridge 1959), p. 58.

(٢٠٠)

إلى التجار الأوربيين فى مقابل إمداده بالأسلحة الحديثة وخصص سامورى مبالغ طائلة لشراء الأسلحة وأنشأ المصانع لتطويرها وصنع قطع الغيار اللازمة لها (٢٠١) .

وفى عام ١٨٨١ نقل سامورى عاصمته من يساندوجو إلى جيبلييه Gbéleba فى الجنوب وذلك لمحاولة الاستفادة من مناجم بوريه الفنية بالذهب والتي استغلها الحاج عمر من قبل لشراء مايلزمه من الأسلحة ، وركز سامورى نشاطه العسكرى نحو الضفة اليمنى لنهر النيجر تجاه القرى الفنية بالخيول والملح فهاجم القرى الضعيفة واستولى عليها وأسر عدداً كبيراً من أهلها وأجبرهم على العمل فى خدمة جيشه (٢٠٢) .

ويمكن تقسيم دولة سامورى إلى ثلاث مراحل ، المرحلة الأولى اتسمت ببناء مجتمع جديد ودولة جديدة وذلك قبل عام ١٨٨٤ ، والمرحلة الثانية امتدت من ١٨٨٥ إلى عام ١٨٨٨ واتسمت هذه المرحلة بالصبغة الدينية وإعلان سامورى الجهاد لنشر الإسلام بين الوثنيين وفتحه العديد من المدارس لتحفيظ القرآن والتوسع فى إنشاء المساجد ، أما المرحلة الثالثة والأخيرة فتبدأ من عام ١٨٨٩ حتى ١٨٩٨ وقد اصطبغت بالصبغة العسكرية ، وقد اصطلم سامورى بالفرنسيين طوال المراحل الثلاث ولكن اختلفت حدة هذا الصدام من مرحلة إلى أخرى فقبل عام ١٨٨٤ اقتصرت العلاقة بينه وبين الفرنسيين على مجرد المناوشات العسكرية ولكن بعد عام ١٨٨٤ هاجم سامورى الفرنسيين بعنف (٢٠٣) .

وصف القائد الفرنسى بيروز امبراطورية سامورى وصفاً دقيقاً فقد التقى بسامورى فى عام ١٨٨٧ ، وعقد معه معاهدة وذكر بيروز بأن دولة سامورى انقسمت إلى ١٦٢ إقليماً ، احتوى كل إقليم على عشرين قرية تختلف كل منها عن الأخرى من حيث المساحة وقد شملت امبراطوريته العديد من الأسواق مثل سوق الذهب والعاج والماشية ونالت بعض الأسواق شهرة كبيرة مثل سوق كمباى Cambaye ، ونورا Nora ، وكوروسا Kouroussa (٢٠٤) ، وكانت هذه الأسواق مراكز هامة ربطت بعض أجزاء الامبراطورية بسيراليون وفوتا جالون ، كما اشتهرت سنسندنج بأنها سوق كبير للحبوب ، أما كتنكان

Crowder, Michael : West Africa Under Colonial rule – (Great Britain 1968), p. 86. (٢٠١)

Crowder. M. op. cit., Colonial, p. 36. (٢٠٢)

Sik, E. : op. cit., Vol. I, p. 314. (٢٠٣)

(٢٠٤) انظر شكل (١) - (٦) - (٧) .

فكانت من أشهر المراكز التي حصل منها سامورى على الذهب والعاج ، وذاعت شهرة يساندوجو بأنها من أهم مراكز النسيج والأسلحة وعرفت كنيبا Keniéba بأنها مركز تجارى هام للتجارة مع الفرنسيين فى الملح ، وعرفت كورا بإنتاج الذهب والخيول والأرز والمنسوجات والأسلحة (٢٠٥) .

أما بالنسبة للتنظيم العسكرى فقد اعتمد سامورى على جنود السوفا فكان زعيم كل قرية مسئولاً عن الأمن وعليه تزويد الجيش بالمجندين من كل القرى وكانت فترة الخدمة فى الجيش غير محددة فيبقى المجندون فيه حتى يحل محلهم مجندون آخرون وكان على كل حاكم أن يجند جيشاً من أبناء المقاطعة التى يحكمها وفى أوقات السلم يعود الجنود الاحتياطيون إلى ديارهم مرة أخرى لمدة ستة أشهر يقومون خلالها بالأعمال الزراعية الشاقة فى الستة أشهر الأخرى يتحتم عليهم الحضور على الأقل مرتين أمام زعيمهم المباشر الذى يقرر حسب احتياج الجيش أما العودة مرة أخرى إلى الجندية أو العودة إلى ديارهم وعلى قرية زراعية مساحة من الحقول تكفى لإطعام الجيش فى أوقات الحرب (٢٠٦) .

قسم سامورى قواته إلى ثلاثة مجموعات المجموعة الأولى ذات البنادق سريعة الطلقات وهدفها محاربة الفرنسيين والتصدى لهم ، والمجموعة الثانية كانت مسئولة عن حراسة وحماية المواطنين ، أن المجموعة الثالثة فكانت مسئولة عن ضم أراضى جديدة تجاه الشرق وكانت هذه المجموعة تعمل على مدى حدود الامبراطورية سنة وراء الأخرى (٢٠٧) .

ومما يسترعى الانتباه فى أسلوب سامورى الحربى أنه كان يلجأ إلى تخريب المدن والقرى التى يهجرها عند تتبع الفرنسيين له فكان لا يخلف وراءه سوى الدمار وقد أفاده هذا الأسلوب فأدى إلى طول مقاومته ، تلك المقاومة التى استمرت سنوات عديدة بعد أن قدرها الفرنسيون بعدة أسابيع فقط. وقد سخر سامورى قواته العسكرية للقضاء على الوثنيين ومحاربة الفرنسيين وساعده فى ذلك براعة جنوده ومقدرتهم القتالية العالية (٢٠٨) .

Hagreaves, J. : op. cit., pp. 134 – 136.

(٢٠٥)

Ibid., p. 140.

(٢٠٦)

Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 70.

(٢٠٧)

Hanotaux, Gabriel : Histoire des Colonies Françaises et de L'expansion de la France dans le monde, (paris 1929), tome IV, p. 204.

(٢٠٨)

أما عن النظام المالى فى امبراطورية الماندنغو فالواقع أنه لم يكن لها نظام مالى محدد فالإمام اعتمد على ثروته الخاصة ، وعلى الهدايا التى يحصل عليها وينفق على الامبراطورية من حصيلة بيع المحصولات الخاصة بأراضيه والحقول المزروعة فى كل قرية أو عن طريق الإتجار بالأسرى وكانت حصيلة إنتاج ذهب واسولو Wassulu^(٢٠٩) تستخدم لشراء الأسلحة .

أما عن النظام الدينى فالإمام هو قائد المؤمنين يحرص على بناء المساجد وإرسال الأطفال إلى المدارس بانتظام ، وكان سامورى يشرف بنفسه على الدراسة حتى أنه كان يختبر أولاده شخصيا مرتين فى الأسبوع^(٢١٠) .

وجدير بالذكر أننا عند دراستنا لسامورى نلاحظ أنه لم يكن له برنامج محدد أو خطة معينة فيما يتعلق بحركة الجهاد التى أعلنها فكل مانلاحظه هو حماسه الشديد لنشر الإسلام وبناء المساجد ولذلك اختلفت حركته عن كل من عثمان دان فوديو ، والحاج عمر بالإضافة إلى أنه لم يعتنق أى طريقة صوفية كغيره من الزعماء الأفارقة .

وقبل أن نختم الحديث عن سامورى ينبغى أن نشير بأن امبراطوريته تميزت بأنها كانت متحركة Mobile empire فكان سامورى يتحرك فراراً من التقدم الفرنسى ولذلك كف عن بناء الحصون الكبيرة منذ أن عجز عن التصدى لنييران المدفعية الفرنسية فبعد أن استولى الفرنسيون على بيساندوجو اتجه سامورى نحو الغرب إلى الأراضى الداخلية لساحل العاج ١٨٩٣ مكونا دولته الثانية الجديدة التى قضى عليها الفرنسيون فى عام ١٨٩٨^(٢١١) .

لقد وصف بيروز امبراطورية سامورى وصفاً دقيقاً فوصف بيساندوجو العاصمة الأولى بالنظافة والإشراق ، كما كتب عن سامورى القائد الفرنسى باراتيه Baratier مؤكداً بأنه من الصعب تدميره ، فقد كان استراتيجياً وسياسياً وقائداً يملك القوة والقدرة على وضع الخطط الحربية^(٢١٢) .

(٢٠٩) انظر شكل (٤) - (٦) .

Hogben, J. : op. cit., p. 161 .

(٢١٠)

Anderson, J. : op. cit., p. 70.

(٢١١)

Forstner, K. : op. cit., P. 218.

(٢١٢)

يلاحظ مما سبق أن تنظيم امبراطورية الماندنغو من الناحية الحربية وإدارية كان أكثر دقة مما صادفناه فى امبراطورية التكرور، ولعل ذلك هو السبب الذى جعل مقاومة سامورى للفرنسيين أكثر عنفاً إلى جانب الممالك السابقة التى ظهرت فى غرب أفريقيا فى القرن التاسع عشر، فإننا نصادف دولاً إسلامية كان لها تأثير فى المنطقة وإن لم تكن بنفس قوة وتنظيم الممالك السابقة وأقرب مثال لهذه الدول دولة الولوف فى كايور Cayor^(٢١٣) . ودولة الساراكولى التى كونها محمدو لامين فى سنغيبيا ، كما ظهر بعض الحكام المسلمين الذين حكموا فى بعض المناطق مثل أئمة فوتا جالون الذين كانوا يلقبون أحياناً كaramako وقد غلب على هؤلاء جميعاً الحماس الدينى والرغبة الصادقة فى نشر الإسلام والدفاع عنه ولكن الغزو الفرنسى العسكرى لم يمهل هذه الدولة لتحقيق أهدافها .

كما ينبغى أن نشير إلى وجود إمارات صغيرة لعبت دوراً هاماً فى المنطقة وإن لم يكن لها طابع الدولة ومنها الامارات الموريتانية .

تعتبر موريتانيا همزة الوصل بين العالمين العربى والأفريقى ، وتمثل الصحراء الجزء الأكبر من الأراضى الموريتانية وهى ليست خالية من السكان ، وإنما تقطنها قبائل عديدة ويرجع اسم موريتانيا أصلاً إلى الكلمة اليونانية Mauros بمعنى الأسمر واللاتينية Mauritania وجمعها Mauritaniae بمعنى السود ، وقد أطلقت الكلمة على المنطقة بمعنى أرض السود . وقد أسست شنقيط^(٢١٤) فى عام ١١٢٣ عندما اتفقت بعض القبائل الموريتانية على بناء عاصمة تكون بمثابة سوق تجارية وأديبة وتم بناؤها فى منطقة ادرار^(٢١٥) .

يعتبر القرن السابع عشر الميلادى هو عصر تأسيس الإمارات الموريتانية وقد أسست فيه إمارة الترازة والبراكنة ثم أسست إمارة ادرار وتجانت والحوض خلال القرن الثامن عشر، ورغم تأسيس تلك الإمارات إلا أنها لم تأخذ شكل دول بالمعنى المعروف وكل ما هنالك أنها تكونت من جماعة من شيوخ القبائل وضعوا نظام قانونى مستمد من الشريعة الإسلامية .

(٢١٣) انظر شكل (٥) - (٩) .

(٢١٤) معنى كلمة شنقيط باللهجة البريرية (عين الخيل) ولعل ذلك ما يرجح بأنها كانت رباطاً للجيش التى تقدم من الشمال لفتح السودان أو أنها كانت محطة للتوافل التجارية التى كانت تجوب الصحراء .

(٢١٥) صلاح المقاد وآخرون - الجمهورية الإسلامية الموريتانية ، (معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٨) ، ص ٢ .

ولعل أشهر أمراء الترازة محمد الحبيب ١٨٢٧ - ١٨٦٠ لأن اسمه اقترن بمقاومة التدخل الفرنسي ، وقد امتدت هذه الإمارة فشملت الأراضي التي وجدت فيها المنشآت الأوروبية من برتغالية وهولندية وأسبانيا وفرنسية ابتداء من أرجوين حتى السنغال . أما إمارة البراكنة فقد امتدت من تجانت حتى المحيط الأطلسي وكان يقع شرق بلاد الترازة وفي أقصى شمال الامارات الموريتانية تكونت إمارة ادرار التي امتدت من واداي حتى حدود البراكنة والترززة جنوبا ، وقد لعب بعض أمراء هذه الإمارة دوراً كبيراً في انعاش تجارة الصحراء واتسمت العلاقة بين هذه الامارات بالتوتر ونشوب الحروب الداخلية بينهم . وحرص كل أمير على أن يحكم إمارته بشكل مستقل وبعضهم أطلق على نفسه لقب الملك كما هو الحال في إمارة ادرار والبراكنة . وقد فرض هؤلاء الأمراء والملوك الجزية والأتاوات على التجار الفرنسيين والبريطانيين الذين تسابقوا على إرضائهم ودفع المكافآت المالية لهم مقابل السماح لهم بالتجارة (٣١٦) .

وقد وصلت هذه الامارات في فترة متأخرة من تاريخها إلى درجة كبيرة من التنظيم السياسي إذ تبادلت فيما بينها المبعوثين وعقدت معاهدات فيما بينها والبعض الآخر ، كما أن المعاهدات والاتفاقيات التي عقدتها مع الدول الأجنبية تنوعت من حيث مضمونها من معاهدات صداقة إلى تنظيم تجارة إلى عدم التدخل في شؤون الامارة (٣١٧) .

(٢١٦) صلاح ، العقاد : المرجع السابق ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢١٧) المرجع السابق : ص ٢٤ .

ثانياً - العوامل الدولية المؤثرة على الاستعمار الفرنسى فى غرب أفريقيا :

١ - بدايات الاستعمار الفرنسى :

استطاعت فرنسا فى تاريخها الإستعمارى فى العصر الحديث أن تكون امبراطوريتين :
الامبراطورية الأولى بدأت فى القرن السابع عشر وتقوضت أركانها بعد هزيمة فرنسا على أثر حروب نابليون بونابرت ١٨١٤ وكان ميدان نشاط الفرنسيين فى هذه المرحلة :

١ - العالم الجديد كندا ، وجزر البحر الكارىبى .

٢ - فى الهند ، وجزر المحيط الأطلنطى (موريشيوس بوريون) .

أما الامبراطورية الثانية فتبدأ باحتلال الجزائر عام ١٨٣٠ واستطاع الفرنسيون خلال هذه المرحلة أن يمدوا نفوذهم فى شمال أفريقيا إلى الجزائر وتونس وأخيراً المغرب ، وفى غرب القارة إلى ما أطلق عليه اسم أفريقيا الغربية الفرنسية (السنغال - موريتانيا - السودان الفرنسى - غينيا الفرنسية - ساحل العاج - داهومى - النيجر - فولتا العليا) . وهى مناطق تبلغ مساحتها نحو سدس مساحة القارة الإجمالية . كما مدت فرنسا نفوذها إلى ما سعى بأفريقيا الاستوائية (تشاد - وسط أفريقيا - الكنفو - جابون) ، وفى الساحل الشرقى للقاره ثبتت فرنسا أقدامها فى الصومال الفرنسى بالإضافة إلى جزيرة مدغشقر^(٢١٨) .

تبدأ الامبراطورية الثانية باحتلال فرنسا للجزائر ، ولكن يلاحظ أن نشاط فرنسا فى الجزائر منذ عام ١٨٣٠ لم يقابله نشاط مماثل فى غرب أفريقيا . وظلت الجزائر محط أنظار الفرنسيين فبعد عام ١٨١٥ وبمقتضى مبدأ مونرو أقلتعت فرنسا عن أية محاولة للتوسع فى

(٢١٨) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، ص ٤٥٠ .

أمريكا ، وألتمست التوسع فى القارة الإفريقية^(٣١١) وقررت حكومة شارل العاشر إنشاء مستعمرة فى شمال أفريقيا حيث يستطيع الأسطول الفرنسى أن يجد بعض القواعد على الساحل الأفريقى المقابل ، تكفل له حرية التنقل فى البحر المتوسط كما كان الغرض من ذلك أيضا لفت أنظار الفرنسيين إلى خارج بلادهم ، بدلا من التركيز على مشاكلهم الداخلية ، فصرح رئيس الوزراء الفرنسى بوليناك Polignac فى مجلس الوزراء بأن الحملة على الجزائر ستجعل أنظار الشعب الفرنسى متجهة إلى الخارج وأن النصر الخارجى سيساعد على تقوية الملكية^(٣١٢) .

يعتبر استيلاء فرنسا على الجزائر عام ١٨٣٠ أول فتح لأفريقيا فى العصر الحديث وكان السبب المباشر لذلك أنه بعد الحروب النابوليونية مرت فرنسا بفترة من الضعف ، كادت فيها أن تفقد هيبتها الدولية وكان الشعب الفرنسى فى حالة قلق داخلى ، فاحتلت الحكومة الفرنسية الجزائر لتحويل نظر الشعب إلى الناحية الخارجية ولإظهار مقدرتها على الخروج من ضعفها وأنها أصبحت من جديد قادرة على أن تسلك سلوكا امبراطوريا^(٣١٣) .

وقد حاولت الحكومة الفرنسية تبرير استعمارها باتخاذ شعار نقل الحضارة إلى الشعوب الأخرى وكانت تلك الحضارة فى نظرهم تعنى تحويل السكان إلى الديانة المسيحية ونشر الثقافة الفرنسية^(٣١٤) واعتبر الفرنسيون بأن لهم واجبا حضاريا عليهم الإلتزام به . Remplir notre mission Civilisatrice ولم يقبل الفرنسيون أنفسهم هذا التبرير وأدركوا بأنه كان للتضليل ولإلباس الاستعمار ثوبا جذابا^(٣١٥) . وقد عارض إرسال حملة الجزائر رأى العام الفرنسى ، وشن أعضاء المعارضة حملة شعواء على الحكومة الفرنسية . وتأكدت الدول الأوروبية من نوايا فرنسا تجاه الجزائر ، فذكر مترنيخ ، بأن فرنسا سوف تقيم على ساحل الجزائر مستعمرة دائمة ، كما أكد دوق ولنجتون بأن روح التوسع والفتح عاطفة قوية فى

(٢١٦) أ . ج . جرات : أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ / ١٩٥٠) (القاهرة ١٩٧٨) ، ج-٢ ، ص ٢٢ .

(٢٢٠) شوقى ، الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث ، (القاهرة ١٩٧٧) ، ص ٢٥٧ .

(٢٢١) على إبراهيم عبده : المنافسة الدولية فى أعالي النيل ، (القاهرة ١٩٥٨) ، ص ٤٧ .

(٢٢٢) Guernier, E. : *Aigue Occidentale Française* (Paris 1949), tome I, p. 50.

(٢٢٣) على إبراهيم عبده : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

فرنسا ، ولم تكتف فرنسا باحتلالها الجزائر فمضت فى فتوحاتها حتى كونت الإمبراطورية الفرنسية فى شمال أفريقيا (٢٢١) .

أما فى غرب أفريقيا فقد ظل تقدم فرنسا حتى ١٨٥٠ ببطء وبعد احتلال الجزائر ظل رأى العام الفرنسى منقسما بين المؤيدين للتوسع الإستعمارى والمعارضين له وبين أنصار الملكية والجمهورية ولكل فريق رأيه الخاص فأنصار الجمهورية يحترمون مبادئ الحرية والمساواة والإخاء ، ورأوا بأنه ليس من حق فرنسا السيطرة على غيرها من الأمم أما أنصار الملكية ، فكانوا يريدون عودة أمجاد لويس الرابع عشر ، ونابليون بونابرت ، ورأوا ضرورة امتداد الحضارة الفرنسية إلى الأمم الأخرى (٢٢٥) .

ورغم أن غزو الجزائر لم يلاق نجاحاً كبيراً بين الناس ولكن فكرة إنشاء إمبراطورية فرنسية نشطت خلال فترة حكم نابليون الثالث (١٨٤٨ - ١٨٧٠) ولاقت قبولا كبيرا (٢٢٦) .

إذا حاولنا تلخيص السياسة الفرنسية فى غرب أفريقيا حتى منتصف الخمسينيات من القرن التاسع عشر ، سنجد بأن السنغال التى أسست منذ عام ١٦٢٦ كانت هى المستعمرة الرئيسية ، ولذلك بذلت الجهود لتطويرها والاهتمام بها دون غيرها من المناطق ، وكانت الفكرة الرئيسية هى العمل على تأمين المستعمرة وعدم التوسع فى ضم المزيد من الأراضى (٢٢٧) .

أما فى منطقة غينيا الفرنسية فقد تركز النشاط الفرنسى فى الخمسينيات فى المنطقة الساحلية التى عرفت باسم أنهار الجنوب ، حيث تم إنشاء الوكالات والمراكز التجارية أما المناطق الداخلية لهذه المنطقة وهى فوتا جالون فلم يتم تدعيم السيطرة الفرنسية عليها خلال هذه الفترة (٢٢٨) .

(٢٢٤) أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث (بيروت ١٩٧٠) ص ٣٩٨ .

Fage, J. : op. cit., p. 141. (٢٢٥)

Molard, Richard : *Afrique Occidentale Française* (Paris 1949), p. 136. (٢٢٦)

Hagreaves, John : *Prelude to the partition of West Africa*, (London 1963), p. 129. (٢٢٧)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 260 (٢٢٨)

وإذا انتقلنا إلى ساحل غينيا سنجد بأن فرنسا وطدت نفوذها في ساحل العبيد عن طريق عقد المعاهدات التجارية مع حكام هذه المنطقة كذلك اتبعت نفس السياسة والأسلوب مع زعماء منطقة ساحل العاج في كل من جران بسم ، واسيني ، ولكن ينبغي أن نشير بأن اهتمام فرنسا بساحل غينيا حتى الخمسينيات كان أقل من غيرها من المناطق^(٢٢٩) وهكذا نلاحظ أنه حتى الخمسينيات لم تتخذ فرنسا سياسة توسعية في غرب أفريقيا إلا بعد مجيء نابليون الثالث ١٨٤٨ - ١٨٧٠ (٣٠) .

٢ - الحرب السبعينية وأثرها على السياسة الاستعمارية الفرنسية :

اضطربت أحوال فرنسا السياسية بعد الحرب السبعينية فطمعت القوى السياسية المختلفة في السلطة والنفوذ واعتقد كل فريق بأنه أحق وأصلح من غيره في إدارة شئون البلاد^(٣١) وعندما وصلت إلى باريس أنباء تسليم سيدان ووقوع الامبراطور نابليون الثالث أسيراً في يد الألمان أعلن على الفور فريق من الجمهوريين إقامة جمهورية في ٤ سبتمبر ١٨٧٠ وتأليف حكومة مؤقتة لاستئناف القتال ولكن لم تلبث المقاومة الفرنسية أن انهارت واضطرت باريس إلى التسليم للجيش الألماني ووضعت الحرب أوزارها (٣٢) .

وفي عام ١٨٧٥ وضع دستور الجمهورية الثالثة وتم انتخاب جول جريفى Jules Grévy رئيساً للجمهورية عام ١٨٧٩ (٣٣) .

Jornevin, Robert : Histoire du Dahomey (Paris 1962) , p. 382. (٢٢٩)

Juerner, E. op. cit., tome p. 63. (٢٣٠)

The Cambridge Modern History, (Cambridge 1920), Vol. XII, p. 22. (٢٣١)

(٢٣٢) عبد العزيز ، نوار : التاريخ المعاصر أوروبا من الحرب البروسية حتى الحرب العالمية الأولى (القاهرة ١٩٧٩) ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٢٣٣) انتخبت جمعية وطنية في فبراير عام ١٨٧١ لاختيار مندوب فرنسا لمؤتمر الصلح واختير تيير Thiers رئيساً للحكومة المؤقتة فوق صلح فرانكفورت ولكنه واجه بعد ذلك أعباء كثيرة فقد مزقت فرنسا الفتن الداخلية وضربت النفوس أطنابها في حياتها الاقتصادية ، فوجه تيير جهوده لانتعاش البلاد وحرص على تنظيم الجيش الفرنسي على النمط الروسي واقتبس نظام الخدمة العسكرية الاجبارية ولكنه اضطر للاستقالة عام ١٨٧٣ بعد أن رفضت الجمعية الوطنية اختيار النظام الجمهوري الذي اقترحه ، خلفه المرشال مكماهوب الذي اشتهر بميله إلى أسرة البوريون ، فقام بمحاولة أخيرة لإعادة الملكية ولكن الجمعية الوطنية عام ١٨٧٥ ألغت الجمهورية ووضعت دستور للجمهورية الثالثة .

وقد أثرت الحرب السبعينية على المصالح الفرنسية في غرب أفريقيا ،
وانعكس ذلك بوضوح على النفوذ الفرنسى وقد تمثل ذلك فى هجر فرنسا
لمنشأتها وسحب فرقها العسكرية منها على النحو التالى :

١ - انسحبت الفرق الفرنسية من مستعمرة السنغال والمستعمرة الرئيسية فى غرب أفريقيا
مما شكل خطراً للمنطقة بأسرها (٣٣١) .

٢ - هُجرت المنشآت الفرنسية فى منطقة خليج غينيا ، إذ انسحبت الفرق الفرنسية من
المنطقة ولكن استمر الوجود الفرنسى فيها بفضل جهود بعض التجار الفرنسيين ،
وبفضل جهود هؤلاء استطاعت فرنسا أن تستعيد حقوقها وتدعى حقها التاريخى فى
المنطقة ، وفى منطقة ساحل العبيد استمرت وكالة ريجى فى العمل والتجارة حتى
بعد انسحاب الفرق الفرنسية (٣٣٢) ، كذلك فى ساحل العاج نشط التاجر الفرنسى فرديه
Verdier وزميله لابلين Laplène ونجحا فى بناء العديد من المراكز التجارية واستمر
لابلين فى المنطقة لمدة عشرين عاما مد خلالها نشاطه نحو الأراضى الداخلية لساحل
العاج (٣٣٣) .

٣ - فى منطقة غينيا الفرنسية انكمش النفوذ الفرنسى فى المنطقة الساحلية منها أى فى
منطقة أنهار الجنوب ولكن بفضل جهود سندرفال استمرت التجارة الفرنسية فى
المنطقة (٣٣٤) .

٤ - نتج عن إنسحاب الفرق الفرنسية من ساحل غينيا وخاصة فى منطقتى ساحل العبيد ،
وساحل العاج ، إن بدأت بريطانيا تمد نفوذها فى هذه المناطق . وعندما استأنفت
فرنسا نشاطها الاستعمارى فيها ، أدى ذلك إلى حدوث تنافس بين الدولتين ، فأكدت
بريطانيا بأن هذه الأراضى لم تعد فى حوزة فرنسا طالما انسحبت منها بعد الحرب
السبعينية بينما تمسكت فرنسا بحقوقها فيها على نحو ما سنرى (٣٣٥) .

Guernier, E. : op. cit., Tome IV, p. 55.

(٢٣٤)

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, P. 168.

(٢٣٥)

Avic, Emmanuel : La Côte D'Ivoire (Paris 1951), P. 38.

(٢٣٦)

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, P. 267.

(٢٣٧)

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, P. 168.

(٢٣٨)

ورغم ما نتج عن الحرب السبعينية من انسحاب الفرق الفرنسية فى غرب أفريقيا وتعرض المنشآت الفرنسية للخطر إلا أن فرنسا عادت إلى التوسع بعد انتهاء الحرب السبعينية ويعتبر عصر الجمهورية الثالثة (١٨٧٠ - ١٩١٤) من أزهى عصور فرنسا الاستعمارية فبعد توقف التوسع أثر هزيمة ١٨٧١ عادت فرنسا عام ١٨٧٩ إلى السعي الاستعمارية مع قوة تزيدها الرغبة فى التعويض عن فقدان الألزاس واللورين وكان هذه السياسة جول فرى Jules Ferry (٣٩) .

وقد اختلفت الآراء فى كيفية تعويض فرنسا عن فقدان الألزاس واللورين فرأى كليم Clemenceau بأن خير وسيلة لمحو هذا العار هو الانتقام من ألمانيا ، أما فرى فرأى التوسع الاستعماري سيفيد الأمة الفرنسية من الناحيتين النفسية والمعنوية وسوف يعيد هيبتها المفقودة وقد وجدت آراؤه قبولا من الساسة الفرنسيين (٤٠) وذلك لأن الألزاس واللورين كانت مشكلة كبيرة بالنسبة للشعب الفرنسي ، وكان مفكرو فرنسا ، وقادو يبحثون عن كل وسيلة تمكن أن تسترد بها دولتهم كرامتها باستعادتهما ، ولم يكن فرنسا سوى القوة لاستردادهما ، ولكن كان عجز الحكومة الفرنسية خلال السبعين والثمانينات من القرن التاسع عشر عن تحديد زمن معين لتحقيق هذا الهدف القومي ، قد بلبلت فى نفوس الشعب واضطرابا فى تفكيره السياسى ، وشعر الشعب الفرنسى بحالة الضياع السياسى ، لدرجة أنه ظهرت آراء نادت أن استرداد الألزاس واللورين ، أهم المرتبة الأولى من المحافظة على الامبراطورية الفرنسية الواسعة . ورأوا بأن توزيع الجزر الفرنسية على المستعمرات الفرنسية فى الشمال الأفريقى يقضى على أمل فرنسا فى الاستقلال الإقليمى ، وأنه من الأجدى لفرنسا أن توقف امبراطوريتها وتركز جيوشها ضد ألمانيا (٤١)

وفى نفس الوقت ظهرت آراء أخرى نادت بأن المجال المناسب لتعويض فرنسا الألزاس واللورين هو التوسع الاستعماري فى أفريقيا ، وذلك لصرف نظر الشعب الفرنسى عن القارة الأوروبية ، وعن الانتقام وشجعت ألمانيا هذا الاتجاه وذلك لكى تشعل العداوة بين فرنسا وإنجلترا وفى هذا صالح لها كذلك لكى تصرف الشعب الفرنسى عن التفكير فى الثأر (٤٢) .

(٣٩) صلاح ، العقاد : مغرب الاستعمار الفرنسى بدون سنة طبع ، ص ٥٤ .

(٤٠) James : New French imperialism (1880 - 1910), (London 1973), P. 15. (٢٤٠)

(٤١) عبد العزيز ، نوار : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٤٢) شوقى الجمل : المرجع السابق ، تاريخ كشف ، ص ٤٩٧ .

ورأى جمبىتا Gambeta ضرورة أن تقوم فرنسا بتعويض كارثة الراين عن طريق خلق مستعمرة كبيرة فى أفريقيا ، وأصبح التوسع الفرنسى فى غرب أفريقيا من أهم أهداف السياسة الفرنسية بالإضافة إلى هدف آخر ، وهو تجميع الممتلكات الفرنسية فى الجزائر مع ممتلكات فرنسا فى غرب أفريقيا^(٢٤٣) ولذلك كان الاستعمار أمراً حيويًا بعد هزيمة الألزاس ، وأرادت الحكومة الفرنسية فتح مناطق جديدة ونشر الثقافة الفرنسية والحضارة ، فقد كلفت هذه الحرب فرنسا الكثير من الأموال والرجال كما حطمت طموح فرنسا فى السيادة على أوروبا^(٢٤٤) .

وجدير بالذكر أن فرنسا عندما أرادت استئناف نشاطها الاستعماري من جديد بعد الحرب السبعينية لم يعد هذا النشاط قاصراً على السنغال والمناطق الداخلية فيها ، وإنما شمل معظم الغرب الأفريقى وساحل غينيا . وقد لاقت فكرة التوسع التشجيع من قبل الكتاب فنشر البروفيسور الفرنسى بول جفارييل Paul Gaffarel كتابه عن المستعمرات الفرنسية ١٨٨٠ ، ذكر فيه بأن لابد لفرنسا من التوسع وإيجاد المستعمرات الجديدة وعودة روح الغال القديمة إليها ، أى عودة الحماس الاستعماري لها^(٢٤٥) .

كما سجل الكاتب الفرنسى دارسى Darcy بأنه بعد عام ١٨٧٠ ، اتسعت السياسة الاستعمارية الفرنسية اتساعاً حقيقياً فبدأ الناس يدركون أن اتساع الدولة خارج حدودها يعتبر شرطاً أساسياً لبقائها وبدأ الناس يفهمون الشكل الحديث للكفاح من أجل الحياة ، فى الوقت الذى تنتشر فيه المنافسة العالمية فمن لا يتقدم يتقهقر ومن يتقهقر يفقره الطوفان^(٢٤٦) .

ومن الملاحظ أن المواطن الفرنسى العادى لم يبد أى اهتمام بالقارة الافريقية إلا بعد عام ١٨٧٠ ، فلم يكن يهتم كثيراً معرفة أخبار ، أو أحوال أقاليم غرب أفريقيا التى كان يجهل أسماءها ، وإنما ركز اهتمامه على تتبع أخبار بلاده ونشاطها فى الهند الصينية وجزر الانتيل ورينون^(٢٤٧) .

(٢٤٣) - Johnston, Harry; A History of the Colonization of Africa (Cambridge 1913), p. 208

(٢٤٤) - The Cambridge Modern History : op. cit., Vol.XII P. 128.

(٢٤٥) - Gann, L. H. : op. cit., Vol I, P. 140.

(٢٤٦) - على إبراهيم عبده : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٢٤٧) - Gann, L. H. : op. cit., Vol. I, P. 136.

وقد جاءت فترة الاهتمام بأفريقيا فى الوقت الذى بدأت تظهر فيه مشاريع كبيرة وعظيمة ، فخلال تلك الفترة جذبت الانتباه بعض المشروعات الكبرى مثل مشروع قناة السويس فى مصر ، الذى افتتح عام ١٨٦٩ ولقب دى ليسبس De Lesseps بلقب الفرنسى الأعظم نتيجة لهذا العمل ، وكان لهذا أثره على رأى العام الفرنسى الذى شجع إقامة المشروعات الكبرى فى أفريقيا (٢٤٨)

كما كان اكتشاف الماس فى كمبرلى Kimberly منذ عام ١٨٦٧ واكتشاف النحاس فى كاتنجا Katanga له أثر كبير بالنسبة لأفريقيا ، فبدأ الأوروبيون يستعيدون الأساطير القديمة عن ثروة وذهب السودان التى ألهمت حماس الشباب الأوربى ، كذلك كان إنشاء خط حديدى بين نيويورك وسان فرانسيسكو والانتهاى منه عام ١٨٧٢ ، بعث الأمل فى إمكانية قهر الطبيعة وتحقيق التقدم فى بناء طرق كبيرة ، ومد الخطوط الحديدية ، بالإضافة إلى جهود ليوبولد الثانى فى الكونغو وكتابات الأدباء والمفكرين لتشجيع الكشف والاستعمار (٢٤٩) فشهدت القارة فى الفترة ما بين ١٨٧٥ - ١٨٩٠ تدفق الرحالة عليها فى محاولة لتحقيق مشاريع كبرى . وقد كتب بول سوليه عام ١٨٧٩ عن رحلته إلى سيجو قائلًا بأن العصر يشهد غزواً صناعياً وتجارياً أكثر منه غزواً عسكرياً . ولكن ليس معنى ذلك بأن كل المشروعات التى عرضت كانت قابلة للتنفيذ فبعضها كان خيالياً ولا يصلح (٢٥٠) ولكن هذه المشاريع ظهرت احتذاء بالمثل الأعلى للفرنسيين فى ذلك الوقت وهو دى ليسبس (٢٥١) .

ولكن لا ينبغي بأن نعتبر هذه المشروعات الاستعمارية هى الدافع وراء اهتمام فرنسا بالقارة الأفريقية ، ففرنسا اندفعت نحو القارة بدافع إظهار الهيبة السياسية ، ولا ننسى ما ذكره جمبتا بعد احتلال تونس عام ١٨٨١ بأن فرنسا فى طريقها لتأخذ دورها الكبير كما نشر بول سوليه فى مقدمة كتابه بأن الدافع لغزو أفريقيا ليس من أجل أغراض عسكرية

Meynier, O. : *Les Conquistadors du Tchad* (Paris 1923), P. 71.

(٢٤٨)

Le Mois en Afrique, Paris 1981. Vol VII P. 403.

(٢٤٩)

(٢٥٠) اقترح Roudaire زراعة الصحراء ، وإنشاء بحيرة داخلية فى تونس لتغيير المناخ ، كذلك كتب ديس دى ريفوى Denis De Rivoye مؤكداً بأنه من السهل تحويل مجرى النيل وتحويل مصر إلى صحراء إذا ما حاولت إنجلترا الاستيلاء عليها .

(٢٥١)

Gann, L. H. : *op. cit.*, Vol. I, P. 137.

إنما لمصالح صناعية واقتصادية . وذكر بأن دى ليسبس أسدى الكثير من أجل مجد فرنسا
يهو فى نظره لا يقل شأنها عن بونابرت (٢٥٦) .

وجدير بالذكر أن المشاريع الخيالية ، والصعبة التنفيذ استمر ظهورها حتى بعد فترة
الحرب السبعينية ، فنجد أن سوليه اقترح عام ١٨٩٣ بناء خط حديدى عبر الصحراء يمتد
من الجزائر حتى اجادس ، حيث ينقسم إلى قسمين قسم يصل شرقاً إلى اويوك ، والثانى
غرباً حتى وادى ، ومنها يتفرع نحو تشاد ، ثم جوهانسبرج . وذلك من أجل الاستفادة من
ثروات القارة . وفى الواقع استمر ظهور مثل هذه المشروعات الصعبة التنفيذ حتى الحرب
العالمية الأولى ، ولعل أصحابها أرادوا تحقيق مجد شخصى لهم وتخليد أسمائهم أسوة
بدي ليسبس (٢٥٧) .

وجاء تعيين جول فرى فى رئاسة الحكومة بمثابة مرحلة جديدة فى السياسة الاستعمارية
الفرنسية ، فقد كان له أثر كبير فى تنشيط عملية التوسع الاستعمارى فقد آمن بفكرة
التوسع ، وأعلن فى ٢١ نوفمبر ١٨٨١ لمجلس النواب الفرنسى بأن ظهور الثورة الصناعية
والتطور الصناعى فى أوروبا قد أوجد مشكلات كثيرة منها إيجاد أسواق لتصريف المنتجات
وإيجاد أسواق لكل دولة أوروبية ولذلك فإن سياسة الاستعمار سياسة ضرورية وهامة (٢٥٨) .

وقد لاقت آراء فرى قبولا من بعض أعضاء البرلمان الفرنسى مثل أوجين اتيان ، مما
كان له أثر كبير على السياسة الفرنسية ، ورأى فرى ضرورة التوسع لإثراء فرنسا ، وعبر عن
رأيه بالنسبة للتوسع الفرنسى بقوله « لسنا فلاسفة وإنما رجال عمل نريد لمستعمراتنا التوسع
والقوة ولذلك يجب علينا التصرف عمليا وفعليا » (٢٥٩) .

وهكذا نرى أن تعيين فرى فى الوزارة كان بمثابة مرحلة جديدة فى السياسة
الاستعمارية الفرنسية ، فأخذت الوزارة الفرنسية تتطلع إلى تطبيق سياستها التوسعية فى

The journal of African History

(٢٥٢)

(Cambridge 1970), PP. 406 – 407. Vol. XI Number I.

(٢٥٣) فى عام ١٩١٤ ظهر مشروع القائد الفرنسى Roumens الذى اقترح مد خط حديدى من الجزائر حتى الكاب ،
وخط ثانى من بيزرته حتى الكونفو وقد لاقت هذه المشروعات التأييد والحساس من قبل الرأى العام فقط . ولكن لم يكتب
لها النجاح .

(٢٥٤) صلاح العقاد : المرجع السابق (مغرب) ، ص ٦٥ .

Cook, J. : op. cit., P. 115.

(٢٥٥)

غرب أفريقيا . وأكد جورجيجيرى Jauréguiberry وزير البحرية الفرنسية ضرورة توسع بلاده فى منطقة النيجر وبأن السودان يمكن أن يكون نواه لامبراطورية فرنسية واسعة (٢٥٦) .

وحتى عام ١٨٨٠ كانت الحكومة الفرنسية تسعى لتغلغل نفوذها فى غرب أفريقيا ، وإذا كانت الحكومة الفرنسية قد أقرت غزو تونس عام ١٨٨١ وتوقيع معاهدة مع الباي ، إلا أن الوضع اختلف بالنسبة لتونس فقد أرادت فرنسا إظهار سيطرتها على البحر المتوسط وهيبتها فى الجزائر (٢٥٧) وإذا كان احتلال تونس ضمن خطة خاصة لمد النفوذ الفرنسى فى غرب البحر المتوسط ، فإن احتلال إنجلترا لمصر عام ١٨٨٢ أدخل بموازين القوى فى شرق هذا البحر فثارت فرنسا لهذا العمل ثورة كبيرة (٢٥٨) .

لقد كانت تونس دوما محط أنظار الفرنسيين ولقيت المسألة التونسية اهتماما من الساسة الفرنسيين ورغم هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية إلا أنها حرصت على تدعيم نفوذها فيها واحتفظت فرنسا بهذا النفوذ بفضل جهود قنصلها فى تونس روستان ، كما نجحت فرنسا بمساندة ألمانيا فى أن تصل إلى اتفاق مع إنجلترا بعدم معارضتها للتدخل الفرنسى فى تونس (٢٥٩) . ولكن استيلاء إنجلترا على مصر ، والتهديد الذى شعرت به فرنسا من قبل إيطاليا ، منذ استيلائها على تونس ، دفع الحكومة الفرنسية إلى ضرورة اتخاذ سياسة توسعية وتكوين مستعمرات عبر البحار وخاصة فى غرب أفريقيا (٢٦٠) كذلك ينبغى ألا نغفل هزيمة فرنسا فى الشرق الأقصى ، وتقهقر الحملة الفرنسية من لانج سون Lang-Son قد أطاح بوزارة فرى الثانية ، ولذلك أصبحت أفريقيا هى المجال المناسب للنشاط الاستعمارى الفرنسى فيها (٢٦١) .

لقد عمل قادة الجمهورية الثالثة الفرنسية على تحقيق سياسة فرنسا التوسعية على النحو التالى :

FORstner, K. : op. cit., P. 99.

(٢٥٦)

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, P. 279.

(٢٥٧)

FORstner: op. cit, p 4

(٢٥٨)

(٢٥٩) شوقى الحمل : المرجع السابق ، (المغرب) ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

Ajayi, J.F. : op. cit., Vol. II, P. 410.

(٢٦٠)

Forstner, K. : op. cit., p. 4.

(٢٦١)

- ١ - ربط السنغال بالنيجر .
- ٢ - اكتشاف الأراضي الداخلية لكل من داهومي ، وساحل العاج مع تحقيق الاتصال بينهما وبين النيجر .
- ٣ - العمل على ربط غرب أفريقيا بكل من أفريقيا الشمالية وأفريقيا الاستوائية أى مد النشاط الفرنسى من البحر المتوسط حتى الكونغو .

ورغم أن فرنسا بدأت فى تحقيق هذه السياسة الجديدة التى اتسمت بالتوسع والتوغل فى راضى جديدة مجهولة تمهيداً للسيطرة عليها ، إلا أن تحقيق هذا الهدف لم يكن سهلاً ميسراً ، إذ استتبع ضرورة الاصطدام مع القرى الوطنية المختلفة (٣٣) .

ورغم هذا التطور فى السياسة الفرنسية إلا أن التوسع العسكرى الفرنسى فى غرب أفريقيا لم يتم بصورته الكبرى إلا بعد عام ١٨٨٤ أى بعد انعقاد مؤتمر برلين (٣٤) .

٢ - مؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥ :

يرجع إلى ليوبولد الثانى ملك بلجيكا الفضل فى إلقاء الضوء على مناطق كثيرة من القارة الأفريقية فقد أرسل البعثات الكشفية والمستكشفين فبدأ يتضح للعالم أن هناك قارة جديدة وسلالات جديدة تأخذ دورها فى الحضارة العالمية وسوف تغير موازين القوى الدولية (٣٥) .

وكان للملك ليوبولد أطماع استعمارية فى الكونغو ، تقابلت مع أطماع الدول الأوربية ولذلك عمل على إرسال عدة حملات كشفية إلى الكونغو برئاسة المكتشف المشهور ستانلى ، أسفرت عن توقيع عدة معاهدات مع زعماء القبائل والحكام الوطنيين الذين تنازلوا عن سيادتهم نظير بعض الهدايا (٣٦) .

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, P. 273.

(٣٢)

Ajayi, J. : op. cit., Vol. II, P. 404.

(٣٣)

Betta, Raymond : The scramble for Africa (U.S.A. 1966), p. 4.

(٣٤)

(٣٥) تميرلى ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

وكان هدف ليوبولد من هذه الحملات هو الحصول على إعراف بدولة الكونغو الحرة ولذلك حاول إغراء رجال الأعمال البريطانيين بممارسة نشاطهم التجارى فى المنطقة وعمل على إقناعهم بأن تجارتهم ستكون أكثر أمانا تحت إدارته مما لو كانت تحت إدارة البرتغال أو فرنسا كما حرص فى الوقت نفسه على ضرورة إقناع بسمارك بالاعتراف بدولة الكونغو الحرة (٣١).

وكان للبعثات الكشفية التى أرسلها ملك بلجيكا إلى أفريقيا ، بالإضافة إلى انعقاد مؤتمر بروكسل عام ١٨٧٦ وإلقاء سبعة من أشهر المكتشفين فيه ، قد ألقى الضوء على الاكتشافات التى تمت فى القارة ، كما كان لعودة ستانلى عام ١٨٧٧ من رحلته الشهيرة من أفريقيا الاستوائية وإعلان اكتشافاته فى أعالي الكونغو أثرا كبيرا على القارة الإفريقية (٣٢).

وكان من أهم نتائج المؤتمر تكوين الهيئة الدولية لكشف أفريقيا ، وإدخال الحضارة فيها ، وتقرر أن تقوم فى كل دولة شعبة محلية تابعة لهذه الهيئة فبادرت بلجيكا بتكوين الشعبة البلجيكية ، أما فرنسا فقد كانت الشعبة الفرنسية على رأسها دى برازا De Brazza (٣٣) الذى نجح فى توقيع عدة معاهدات مع كل من حكام Ogooué – Batéké ، وأصبح نهر الكونغو هو الحد الفاصل بين أطماع كل من فرنسا وبلجيكا وقد قامت منافسة بين كل من ستانلى ودى برازا وخاصة وأن ليوبولد أراد احتكار تجارة الصمغ والعاج فى حوض الكونغو وأثار نشاط ستانلى الشركات التجارية الفرنسية التى كانت تعمل فى الضفة الشمالية من النهر (٣٤) ، فقد نجح ستانلى فى تأسيس اثنتين وعشرين محطة على نهر الكونغو وفروعه وعقد عدة اتفاقيات مع الزعماء المحليين وأسس مدينة ليوبولد فيل عام ١٨٨١ (٣٥).

أدى تسابق فرنسا وبلجيكا على الكونغو إلى لفت أنظار الدول الأوروبية فبدأت البرتغال هى الأخرى تطالب بحتها على أساس أن مكتشفها اكتشفوا مصب الكونغو فى

Anene, J. : A FRica in The 19 and 20 Centuries (ioadan 1966), P. 121 (٣٦)

Albrecht – Carrié, René : The Concert of Europe (U. S. A. 1968), p. 310. (٣٧)

(٣٨) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، كشف ص ٢٩٦ .

Williams, B. : Modern A Frica 1972. P. 140 (٣٩)

(٣٧٠) شوقى الجمل : المرجع السابق (كشف) ص ٢٩٨ .

القرن الخامس عشر ووقفت بريطانيا مع البرتغال كخطوة تمهيدية لفرض السيادة البريطانية على الكونغو واعتزضت إنجلترا عام ١٨٨٤ بادعاءات البرتغال القديمة على شواطئ الكونغو في المنطقة الواقعة بين خطي عرض ١٢ ، ٨ من جهة الجنوب وضمنت إنجلترا بذلك لنفسها أن تمنع بلجيكا من الوصول بسيطرتها نحو الساحل وضمنت أيضا مراقبة النهر بفضل إنشاء لجنة مختلطة في ٢٦ فبراير ١٨٨٤ ولكن قرار إنجلترا قوبل بالإستياء الشديد من قبل الدول الأوروبية وذلك لتدخلها واضطرت إنجلترا إلى التراجع وقبلت أن تعرض مسألة الكونغو على مؤتمر دولي يعقد في برلين (٣٧١) .

سعى بسمارك لعقد مؤتمر برلين لبحث مشكلة الكونغو ، وكان المؤتمر محاولة منه ومن جول فرى وزير خارجية فرنسا لاستخدام الطرق الدبلوماسية لاقتطاع القارة الإفريقية ، وقد عقد المؤتمر في الفترة ما بين ١٥ نوفمبر ١٨٨٤ إلى ٢٦ فبراير ١٨٨٥ . وحضر المؤتمر أربع عشرة دولة منها خمس دول كان لها النصيب الأكبر في الاهتمام بالقارة الإفريقية ، والدول الخمس هي : ألمانيا ، وبريطانيا ، والبرتغال ، وفرنسا ، وبلجيكا . ولعب بسمارك دوراً كبيراً في الموازنة الدولية بين الدول (٣٧٢) فقد أدرك بأنه لابد من منع تصادم الدول الأوروبية وأن استعمار أفريقيا لابد وأن يتم دون صدام مسلح ، ويجب أن يتم في إطار مؤتمر دولي لذلك كانت الدول الأوروبية مقتنعة إلى حد كبير بجديوى هذا الأسلوب الدولي ونجحت فكرة عقد المؤتمر (٣٧٣) .

وإذا كان المؤتمر قد عقد لبحث مشكلة الكونغو إلا أنه ما لبث أم امتد وشمل عدة مشكلات أخرى وأخيرا تم الاتفاق في المؤتمر على الآتى :

- ١ - حياد إقليم الكونغو وحرية الملاحة والتجارة فيه .
- ٢ - حرية الملاحة والتجارة في حوض الكونغو والنيجر وحرية التجارة لكل الأمم .
- ٣ - عدم فرض أية دولة حمايتها أو سيطرتها على المناطق الساحلية في أفريقيا دون أن تعلن ذلك إلى الدول الأخرى التي وقعت على هذا الاتفاق .

(٣٧١) المرجع السابق ، ص ٢٩٩ .

Albrecht - Carrié, R. : op. cit., P. 310.

(٣٧٢)

(٣٧٣) عبد العزيز ، نوار : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

٤ - عدم إعلان أية دولة الحماية على منطقة من القارة الأفريقية دون أن تكون هذه الحماية مؤيدة باحتلال فعلى .

٥ - فيما يتعلق بالكونغو فقد تكتلت الدول الأوروبية ضد الاتفاق البريطانى البرتغالى إذ أنها أدركت أن بريطانيا تريد إعطاء الكونغو إلى البرتغال كخطوة أولى فى تصفية ممتلكات البرتغال واستيلاء بريطانيا عليها واضطرت بريطانيا تجاه التكتل الدولى للموافقة على قيام دولة الكونغو الحرة Congo Free State وعلى إدارة هيئة الكونغو الأعلى التى يرأسها الملك ليوبولد (٣٧١) . وقد امتازت دولة الكونغو الحرة بالاتساع الكبير فقد امتدت من الشرق إلى الغرب ومائلت مساحتها المسافة من باريس إلى كيف (٣٧٢) .

وجدير بالذكر أن فرنسا كانت حريصة خلال انعقاد المؤتمر على متابعة قراراته وتطور المناقشات فيه فقد أرسل دى كورسل De Courcel السفير الفرنسى فى برلين إلى جول فرى فى أول ديسمبر ١٨٨٤ يخبره بأن هناك نوايا لإضافة مادة هامة فى المؤتمر وهى حرية الملاحة فى نهر الكونغو وإنشاء لجنة دولية لمراقبة الملاحة فيه (٣٧٣) .

وقد وافقت بريطانيا على حرية الملاحة فى نهرى الكونغو والنيجر ولكنها رفضت تكوين لجنة مراقبة فى النيجر على غرار اللجنة التى تكونت فى أوربا بالنسبة لنهر الدانوب (٣٧٤) .

كذلك كان من أهم توصيات المؤتمر بأن كل القوى الأوروبية التى تقرض نفوذها على الأراضى الإفريقية عليها مراقبة الوطنية والعمل على تحسين أوضاعها وأحوالها الثقافية وصناعاتها ومساعدتها فى التخلص من تجارة الرقيق وعليها إرسال البعثات التبشيرية والعلمية والاستكشافية وأن تكون حرية العمل مكفولة لهذه البعثات (٣٧٥) .

(٣٧٤) شوقى : الجمل : المرجع السابق (كشف ١ ص ٣٠٣ .

Davidson, Basil : Guide to African History, (London 1963), p. 76. (٣٧٥)

Documents Diplomatiques Français 1er Serie Tome V D^e n° 215, p. 495. (٣٧٦)

Deschamps, H. : op. cit., Tome II, P. 46. (٣٧٧)

Moore, Clarck : Africa Yesterday and Today (N. Y. 1970), p. 124. (٣٧٨)

إذا حاولنا تقييم مؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥ سنجد أنه كان أول مؤتمر استعماري عقد بين الدول الأوروبية المعنية بالاستعمار ، لإقرار الوضع القائم في أفريقيا ولتنظيم مابقي من أراضي القارة . لقد كان انعقاد المؤتمر لتنظيم التجارة . في حوض الكونغو ، وإقرار حرية الملاحة في النيجر ، ووضع مبادئ عامة لمنع اصطدام القوى الإستعمارية بعضها ببعض^(٢٧٩) . ولذلك فهو يعتبر عملا دوليا لتنظيم السلب والنهب في القارة الافريقية . لقد أضفى المؤتمر الشرعية الدولية لالتهم القارة ، وكان معنى نصوصه أن التملك بوضع اليد جائز في الأراضي غير التابعة لدولة أخرى من الدول الموقعة على الاتفاقية سواء أكانت مسكونة بالقبائل أو الأمم ، ولم يكن رؤساء القبائل يقدرعون معنى المعاهدات التي وقعوها ووضعت بلادهم تحت الحماية الاستعمارية على اعتبار أنهم لا وجود لهم في نظر القانون الدولي^(٢٨٠) .

وجدير بالذكر أنه عند عقد المؤتمر لم يمثل الأفارقة أى مندوب إنما تركت شئون أفريقيا ومصيرها الغامض في يد الدول الأوروبية وكان تقسيم أفريقيا إلى وحدات هو الأساس الذي صارت تعرف به حدود الدول الحديثة^(٢٨١) كما أن المؤتمر لم يهتم بحقوق الوطنيين ولا أملاكهم وإنما عنى فقط بضمان سلامة الدول الأوربية المستعمرة^(٢٨٢) .

وقد ترتب على النص الأخير من المؤتمر بأن كل دولة أرسلت تجارها وشركاتها وجواسيسها ليجوبوا أفريقيا ، وليحصلوا على توقيع ، أو بصة الزعماء أو الرؤساء الأفارقة . على معاهدات الحماية . وخلال الخمسة عشر سنة التالية لعقد المؤتمر كانت أفريقيا قد تم تقسيمها بين الدول الأوروبية ، وتم رسم الحدود وتعيين الفواصل السياسية بين حكم رجل أبيض وحكم رجل أبيض آخر^(٢٨٣) .

وبعد المؤتمر كان مجرد وصول التجار والإرساليات التبشيرية هو الخطوة الأولى عادة للاستعمار ، لأن يتبع ذلك تكوين شركات أو فرض حماية ، أو فرض السيطرة السياسية ،

Betts, R. : op. cit., p. 23.

(٢٧٩)

(٢٨٠) أحمد ، شلبى : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٤٣٦ .

Crowder, M. : op. cit., (Colonial), p. 62.

(٢٨١)

(٢٨٢) محمد قاسم ، أحمد هاشم التاريخ الحديث والمعاصر (القاهرة د . س .) ص ٢٠٧

(٢٨٣) عبد الملك ، عودة : السياسية والحكم في افريقيا ، (القاهرة ١٩٥٩) ص ٩٦

والاقتصادية ، وكم من الحالات أدى فيها شره شركة أو إقدام فرد أو تصميم ضابط بحرى ، أو برى ، على رفع العلم الذى أدى إلى تقرير مصير أقطار وأمم^(٢٨٤) .

إذا فندنا آراء الكتاب الغربيين حول المؤتمر ومدى ما حققه من نجاح نرى أن إميل باننج Emile Banning فى تقييمه للمؤتمر رأى ، بأنه حقق هدفين رئيسيين :

- ١ - أقر المؤتمر دولة حرة كبرى فى قلب أفريقيا الاستوائية تكون من الناحية التجارية مفتوحة لكل الشعوب ، بينما من الناحية السياسية بعيدة عن المنافسات الدولية .
- ٢ - وضع المؤتمر أسس التنظيمات الاقتصادية المتعلقة بالمناطق الداخلية فى القارة .

وثبت المؤتمر مبادئ الحرية والمنافسة الشريفة كما أتاح الفرصة لتقسيم القارة شمالي وجنوبى خط الاستواء بطريقة سليمة دون سفك للدماء ولا خلافات طاحنة كذلك التى صاحبت استعمار الأمريكتين فتقسيم أفريقيا تم بتخطيط سليم .

يلاحظ مما سبق أن رأى باننج فيه الكثير من المغالطات والروح الاستعمارية فبالنسبة لدولة الكونغو الحرة لم تستمر تحمل هذه الصفة طويلا فقد أصبحت فى عام ١٩٠٨ مستعمرة بلجيكية^(٢٨٥) .

أما ما ذكره الكاتب بالمنافسة الشريفة فلم تكن كما أطلق عليها شريفة بين الدول الأوروبية بإحار السكان على توقيع معاهدات لا يدركون طبيعتها ولا يفهمون نصوصها لا يدل على الشرف أبدا ، كذلك اختلاف نصوص المعاهدات بين الطرفين كان أمرا مألوفا ففرنسا على سبيل المثال فى كثير من الأحيان عندما كانت تعقد معاهدة مع القوى الوطنية كانت تحرص على وضع كلمة الحماية فى النص الفرنسى وتغفل كتابته فى النص العربى .

كان من نتيجة تسليم حوض الكونغو الشاسع إلى هذه المنظمة الجديدة التى أطلق عليها دولة الكونغو الحرة ، أن حكم ليوبولد بنفسه شخصا دولة مترامية الأطراف أما الشروط

(٢٨٤) تمبرلى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

(٢٨٥) شوقى ، الجمل ، المرجع السابق ، (كشف) ص ٣٠٤ .

لتى وضعت للرقابة الدولية ، والتجارة الدولية ، فقد حرفها ليوبولد فقد ابتدع أساليب من لاحتكار حالت دون المنافسة الدولية وأحل الرقابة البلجيكية محل الرقابة الدولية (٢٨٦) .

ولدينا أيضا تحليل سيبل كرو Sybil Crowe وهى أستاذة العلوم السياسية بجامعة اكسفورد وقد ذكرت ما يلى :

١ - ذكر الذين دعوا لعقد المؤتمر بأن من أهدافه تحقيق حرية الملاحة والتجارة فى أحواض النيجر والكونغو ولكن فى الحقيقة فإن الأمر أسفر فى النهاية إلى احتكار الدول الكبرى للتجارة فى المناطق التى خضعت لنفوذها فى هذه الجهات (٢٨٧) .

٢ - كان القرار الإنسانى الوحيد الذى اتخذ هو المتعلق بمحاربة تجارة الرقيق ومع ذلك فإن حوض الكونغو أصبحت تمارس فيه أبشع أعمال الوحشية التى شهدتها تاريخ الإستعمار .

٣ - حاول المؤتمر أن ينظم العلاقات بين الدول الإستعمارية على أسس قانونية محددة ، ولكن كل ما نجح فيه هو أن يدفع عجلة التكالب الإستعمارية على القارة الإفريقية .

والنتيجة التى أشارت إليها الكاتبة صحيحة فمن يلقى النظرة على خريطة أفريقيا قبل مؤتمر برلين وبعده يدرك بوضوح رد الفعل الحقيقى لقرارات المؤتمر فقد سارعت الدول الأوروبية بإلتهايم القارة (٢٨٨) .

ويمكن القول بأن خريطة أفريقيا السياسية أصبحت بعد مؤتمر برلين على النحو التالى :

١ - صار الكونغو البلجيكى أول المستعمرات الداخلية التى استولت عليها القوى الأوروبية فعقب توقيع اتفاقية برلين بفترة وجيزة أعلن الملك ليوبولد قيام دولة الكونغو الحرة . وفى أغسطس ١٨٨٥ ، وهكذا ثبتت بلجيكا أقدامها فى حوض الكونغو على الرغم من أنها أصغر الدول الأوروبية وأقلها إمكانات وأحدثها كوحدة سياسية متكاملة (٢٨٩) .

(٢٨٦) تميرلى : المرجع السابق ج ٢ ، ص ٥٠ .

(٢٨٧) شوقى ، الجمل : المرجع السابق (كشف) ، ص ٢٠٥ .

(٢٨٨) شوقى الجمل : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

(٢٨٩) صفى الدين ، محمد : أفريقيا بين الدول الأوروبية القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٢٠ .

وما كاد ليوبولد يحصل على الاعتراف العالمى به كحاكم على دولة الكونغو حتى ألقى جانباً المبادئ السامية التى كانت المبرر الذى استند عليه ليكسب موافقة الدول إلى جانبه . ووضع بدلاً من ذلك سياسة قائمة على احتكار التجارة ، بالإضافة إلى تسخير الأهالى بطريقة غير إنسانية لتحقيق سياسة الإستغلال التى رسمها . فأصدر عدة قوانين أصبحت الكونغو بموجبها ضيقة تستغل وتستثمر لحساب التاج البلجيكى ، وأصدر أمراً ملكياً عام ١٨٨٥ باعتبار جميع دولة الكونغو ملكاً خاصاً للحكومة (٢٩٠) .

وقد أساءت بلجيكا استقلال سكان المنطقة وأمعنت فى السخرة حتى تحرك الرأى العام الأوروبى عام ١٨٩٠ وخاصة فى إنجلترا ضد الأعمال غير الإنسانية واضطر ليوبولد إلى قبول إرسال بعثة للتحقيق فى المنطقة (٢٩١) .

٢ - استغلت كل من فرنسا وبريطانيا بدايتهما المبكرة فى ميدان الإستعمار واستطاعتا بفضل قوتهما البحرية الاستيلاء على أكبر مساحة فى القارة .

٣ - استطاعت البرتغال الاحتفاظ بمستعمراتها فى كل من موزمبيق وأنجولا .

٤ - احتفظت أسبانيا بمناطق نفوذها المحدودة الأهمية فى ريودى أورو مضافاً إليها الجزر المجاورة للسواحل الإفريقية .

٥ - تلقت إيطاليا تأييداً كبيراً من بريطانيا لاحتلالها عصب ثم مصوع واستطاعت أن تثبت أقدامها فى بقعة هامة من الساحل تبدو أهميتها فى مركزها الاستراتيجى فقط فهى جافة قليلة الإنتاج شبه صحراوية لا يساعدها مناخها على الاستقرار واقتنعت فترة ما بهذه المناطق التى تفصل هدفها الأكبر الحبشة عن البحر (٢٩٢) .

٦ - أما ألمانيا فقد سارعت بالاستيلاء على الكاميرون وتوجولاند وعلى جنوب غرب أفريقيا (٢٩٣) .

(٢٩٠) شوقى ، الجمل : المرجع السابق (كشف) ، ص ٢٢٢ .

(٢٩١) المرجع السابق : ص ٢٢٢ .

(٢٩٢) صفى الدين ، معمد : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(٢٩٣) شوقى ، الجمل : المرجع السابق (كشف) ، ص ٣٠٦ .

يلاحظ أن أساليب الدول الأوروبية في استعمار القارة تعددت واختلفت فلم تعد قاصرة على التسلط العسكرى أو الاقتصادى بل لجأت الدول الأوروبية إلى لآتى :

١ - ضم بعض المناطق إلى الدولة المستعمرة ضما كاملا مثلما فعلت فرنسا فى مستعمراتها وخاصة فى الجزائر .

٢ - كان مجرد رفع علم الدولة الاستعمارية على أرض شعب مختلف معناه قبول هذا الشعب لحماية الدولة صاحبة العلم .

٢ - إغراء شيوخ القبائل الإفريقية بتوقيع أوراق تنص على فرض الحماية دون أن يدرك هؤلاء حقيقة ومفهوم كلمة حماية .

٤ - استخدام الأساليب الإنسانية لتحقيق أهداف وتوسعات استعمارية مثل مكافحة الرقيق ونمو الدعات إلى تنشيط العمل الأوربى فى أفريقيا باسم رسالة الرجل الأبيض وقد نجحت الدول الأوروبية فى استغلال هذين المبدأين فى السيطرة على الكثير من البلاد الافريقية (٢١٤) .

٥ - نشاط الجمعيات التبشيرية فكان كثير من رجال الدين من دعاة الاستعمار اشتهر منهم أسماء متعددة فى هذا المجال نذكر منها الكاردينال لافيجيرى La Vigerie الذى ألف منذ ١٨٦٨ جماعة الآباء البيض وكانت تعمل لمساندة نشاط فرنسا الإستعمار ، كذلك نشطت البعثات التبشيرية فى الكونغو ، وفى شرق أفريقيا وكثر فى كتابات الأوروبيين وأقوالهم الحديث عن النظريات الإنسانية وعن عبء الرجل الأبيض أو الأخ الأكبر نحو أفريقيا (٢١٥) .

وعلى سبيل المثال كان أنصار العصر الفيكتورى يرون أنفسهم بأنهم قادة الحضارة الأوروبية وأنه لابد للجنس الأنجلو ساكسونى من أن يأخذ مكانه فى التقدم (٢١٦) ، وعبر

(٢١٤) عبد العزيز ، نوار : المرجع السابق ، ص ٩٤ ، ٩٦ .

(٢١٥) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، (كشف) ، ص ١٢٧ .

Hogben, J. : op. cit., p. 63.

(٢١٦)

دزرائيلي عن ذلك المبدأ عام ١٨٦٣ فدعا إلى ضرورة استخدام القوة لنشر النفوذ البريطاني التجاري والسياسي والديني (٣١٧) .

٦ - نشاط الشركات الاستعمارية تعطينا صورة واضحة عن الوسائل التي استخدمتها هذه الشركات للتوسع لحساب الدولة التابعة لها ، فقد كانت هذه الشركات مقدمة للإستعمار وإن كان بعض الرأسماليين ينادون بما سموه الاستغلال للمصالح المشترك أى صالح الأفارقة والأوروبيين حتى أطلقوا على أفريقيا اسم يورو أفريقيا Euro Africa ولكن أفريقيا لم تخرج فى الحقيقة أن تكون ظلًا للقارة الأوروبية (٣١٨) .

ولعل أهم هذه الشركات شركة النيجر الملكية التي عملت فى منطقة النيجر الأدنى وقد نجح قناصل ومديرو هذه الشركة فى إقصاء النفوذ الفرنسى منه هذه المنطقة ثم عملوا على تثبيت النفوذ البريطاني (٣١٩) .

وجدير بالذكر أن الفكرة القديمة التي تقول بأن التجارة تأتى فى أعقاب الاستعمار قد انعكست فيما يتعلق بأفريقيا فأصبح من الأنسب أن تقول بأن العلم هو الذى يتبع التجارة لأن الشركات البريطانية كانت رائدة لحكومتها فى ميدان الاستعمار (٣٢٠) .

يقدمت الحكومة البريطانية (٣٢١) شركة النيجر الملكية الكثير من الامتيازات والسلطات حتى أصبح من حقها عقد المعاهدات مع الزعماء المحليين فكانت فى وضعها تشبه شركة الهند الشرقية التي عملت على إدارة الهند وأصبحت الشركة هى الحكومة الفعالة فى المنطقة فأصبح من حقها فرض الضرائب على الوطنيين والمحافظين على النظام وسن القوانين (٣٢٢) .

Robinson, J. : op. cit., pp. 4-5.

(٢٩٧)

(٢٩٨) شوقي ، الجمل : المرجع السابق (كشف) ، ص ١٤١ .

Bory, Paul : A l'Assaut de L'Afrique, p. 222.

(٢٩٩) .

(٣٠٠) شوقي ، الجمل : المرجع السابق (كشف) ، ص ١٤١ .

(٣٠١) لمزيد من التفاصيل عن الصراع الفرنسى البريطانى فى غرب أفريقيا وتحديد الحدود بين مستعمرات الدولتين انظر رسالة الهام ذهنى (سياسة فرنسا التوسعية فى غرب أفريقيا من منتصف القرن ١٩ حتى الحرب العالمية الأولى الباب الخامس) .

Coleman, James : Nigeria (LOS Angelous 1960) p. 140.

(٣٠٢)

وأخيراً فقد نشطت فرنسا نشاطاً كبيراً بعد مؤتمر برلين وأتم توسعها في غرب أفريقيا بالصيغة العسكرية وقد اتخذت فرنسا من السنغال قاعدة لها للانطلاق والتوسع نحو المناطق الداخلية ووفر لها نهر السنغال والنيجر طريقاً للتوغل داخل القارة . كذلك تمكنت فرنسا من اتخاذ ساحل غينيا قاعدة لانطلاقها نحو المناطق الداخلية لكل من داهومي وساحل العاج وبذلك نستطيع أن نلخص الغزو العسكري الفرنسي لغرب أفريقيا بعد مؤتمر برلين عن طريقين .

الطريق الأول : من السنغال المستعمرة القديمة التي اتخذت قاعدة للانطلاق والتوغل نحو تشاد والنيجر .

الطريق الثاني : عن طريق ساحل غينيا حيث توغلت فرنسا في المناطق الداخلية لداهومي وساحل العاج وبذلك أمكنها ربط مستعمراتها في الغرب الإفريقي بعضها ببعض الآخر (٣٠٢) .

الفصل الثاني

الإستعمار الفرنسى للسنگال من منتصف القرن
التاسع عشر إلى القضاء على المقاومة الوطنية

- سياسة فيدهرب التوسعية
- السنگال بعد رحيل فيدهرب
- السنگال فى أعقاب مؤتمر برلين

١ - سياسة فيدهرب التوسعية :

أجمع المؤرخون على أن فيدهرب هو أول حاكم فرنسي حقق لفرنسا أطماعها الاستعمارية في غرب أفريقيا ، ويلور أهدافها التوسعية ^(٣٠٤) فقد أرسى دعائم الوجود الفرنسي الاستعماري في المنطقة وذلك قبل فترة الصراع الاستعماري على القارة . فلم تمض فترة طويلة على رحيله ، حتى بدأت فترة التكالب الأوروبي على القاهرة في أعقاب مؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥ ولكن كانت فرنسا قد أمنت نفسها ووجودها في المنطقة بتكوين قواعد لها في غرب أفريقيا ، وبدعيم سيطرتها على السنغال التي اتخذت منها محوراً للانطلاق نحو الداخل ^(٣٠٥) .

عين ليون فيدهرب Léon Faidherbe حاكماً على السنغال في عام ١٨٥٤ ^(٣٠٦) وجاء تعيينه بعد فترة من الاضطرابات التي شهدتها المنطقة فقد ألزمت فرنسا خلال الفترة السابقة لوصوله بسياسة التهدئة والسلام دون التورط في عملية غزو مع تطوير المنطقة دون احتلالها ، ولكن سرعان ما تغيرت هذه السياسة كلية بمجيء فيدهرب إلى المنطقة ^(٣٠٧) .

فقد وضع فيدهرب سياسة عامة للتعامل مع القوى الوطنية المختلفة تلخصت في سياسة السلام أو الحرب Peace of Powder أي أن على القوى الوطنية المختلفة التعاون معه والاستسلام للنفوذ الفرنسي ، فإذا لم ترضخ له فليس أمامها سوى الحرب ^(٣٠٨) وعمل فيدهرب على تطبيق هذه السياسة منذ وصوله إلى السنغال ، فقد آمن بأنها الطريق الوحيد لتحقيق

Molard, R. : op. cit., p. 150.

(٢٠٤)

Rooney, D. : *The Building of Modern Africa*, (London 1967) pp. 103 - 104.

(٢٠٥)

(٢٠٦) حكم فيدهرب فترتين في السنغال وامتدت فترة حكمه الأولى من ١٨٥٤ إلى ١٨٦١ والثانية من ١٨٦٢ إلى ١٨٦٥ . وقد عمل من قبل في الجزائر وفي منطقة السنغال فاشترك ١٨٥٢ مع حملة الحاكم يودان لإنشاء حصن بودور وقد إفادته خبرته السابقة في الجزائر وفي السنغال في تعلم اللغة العربية كذلك أكن لغة الولوف مما ساعده على تفهم عقلية الوطنيين .

Adloff, R. : *West Africa*, (N.Y 1964), p. 145.

(٢٠٧)

Anderson, J. : op. cit., p. 136.

(٢٠٨)

آماله وطموحه فى تكوين امبراطورية فرنسية تمتد من السنغال حتى المناطق الداخلية من القارة (٣٠٩) .

وجاء تعيين فيدهرب مواكبا لطموح فرنسا وسياستها التوسعية الجديدة فى المنطقة ، فقد انتهجت الامبراطورية الثانية سياسة أكثر نشاطا فى أفريقيا منذ منتصف القرن التاسع عشر (٣١٠) فتميزت سياسة نابليون الثالث بأنها سياسة عسكرية وتوسعية فى القارة ، فقد سعى لربط المستعمرات الفرنسية فى الجزائر مع مستعمرات السنغال فى غرب أفريقيا ، أى أنه أراد تحقيق الاتصال بين ممتلكات فرنسا فى الشمال الإفريقى مع مستعمرتها فى غرب أفريقيا (٣١١) كما أن حكومته اعتمدت على العسكريين من جهة والحزب الكاثوليكي من جهة أخرى ، وكلا الحزبين من أنصار التوسع العسكرى وقد وجهت هذه العناصر سياسة فرنسا من ١٨٥٢ حتى ١٨٧٠ (٣١٢) .

كان أهم عمل بالنسبة لفيدهرب هو تأمينه لحدود المستعمرة ضد هجمات القبائل الموريتانية التى هددت المستعمرة من جهة الشمال ، كذلك ضد التكرور من الشرق ويمكن تلخيص الوضع السياسى فى السنغال وقت مجيء فيدهرب إلى المنطقة على النحو التالى :

١ - إمارة اوالو Oualo فى الضفة اليسرى لنهر السنغال وقد امتدت من مصب النهر حتى داجنا .

٢ - مملكة كايور التى امتدت من سانت لويس حتى جوريه .

٣ - مملكة السرير فى جنوب كايور ، وفى منطقة بئول

٤ - ممالك سين وسالوم فى أقصى الجنوب .

٥ - فوتا السنغالية التى امتدت من داجنا حتى نجيرير Nguérer وانقسمت فوتا السنغالية التى عدة مناطق أهمها ديمار Dimar (وتمتد من جايه Gaé إلى دوفيه Dové) وتورو Toro (تمتد من دوفيه Dové إلى بوكى Boki) (٣١٣) .

(٣٠٩) Beslier, G. : le Sénégal, (Paris 1925), P 135.

(٣١٠) زاهر ، رياض : الاستعمار الأوروبى لأفريقيا فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٥٨ .

(٣١١) Boahen, Adu: Britain the Sahara and the Western sudan (1788 – 1861), (Great Britain 1970) p. 222.

(٣١٢) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (مغرب الاستعمار) ص ٤٨ .

(٣١٣) Cultrù, p. : Histoire du Sénégal du xv siècle à 1870 (Paris 1910) p. 322.

ولما كانت نظرية فيدهرب تقوم على أساس السلام أو الحرب فقد ترتب على ذلك دخوله فى منازعات مع القوى الوطنية المختلفة التى تمثلت فيما يلى :

(أ) حروب فيدهرب ضد القبائل الموريتانية :

وجد فيدهرب بأن الخطر الأكبر الذى يهدد مستعمرة السنغال جاء من الشمال ، أى من إغارات القبائل الموريتانية المتكررة . وقد وصلت إحدى هذه الغارات إلى سانت لويس نفسها ، وازداد الموقف سوءاً بنشوب الحرب الأهلية بين القبائل الموريتانية مما أثر على اقتصاد وتجارة السنغال ^(٣١٤) وبالإضافة إلى خطر قبائل الترازة الموريتانية فى الشمال واجه فيدهرب خطراً آخر من جهة الشرق تمثل فى الحاج عمر زعيم التكرور ، هذا بالإضافة إلى تهديد مابا Mabâ للفرنسيين على الساحل ^(٣١٥) وقد خشى فيدهرب تحالف القوى الثلاث وخاصة وأن كلا منهم أعلن الجهاد ضد الفرنسيين فألهبوا حماس السكان وازداد عدد اتباعهم بدرجة ملحوظة ، ولذلك رأى فيدهرب ضرورة القضاء على كل قوة من القوى الثلاث على حدة قبل أن تتاح لهم فرصة التعاون ضد الفرنسيين فبدأ بتوجيه جهوده وحملاته العسكرية ضد القبائل الموريتانية فى الشمال من أجل تأمين حدود المستعمرة الشمالية ^(٣١٦) .

وجه فيدهرب جهوده ضد قبائل البراكنة والترازة ، التى دعمت سيطرتها على منطقة أوالو الممتدة خلف سانت لويس فأرسل العديد من الحملات العسكرية طيلة أربع سنوات ، حتى تمكن فى النهاية من إخضاعها وقد شن فيدهرب هجوماً عنيفاً على القرى الموريتانية ، كما هاجم منطقة أوالو وأوقع الهزيمة بالموريتانيين فى ديولبودو Dioulboudou ^(٣١٧) ثم أقدم فيدهرب على خطوة خطيرة أدت إلى مزيد من التوتر بين الطرفين إذ قام بتحسين حصون بودور ، وداجنا وباقل فاعتبر الترازة هذه الإجراءات موجّهة ضدهم . وقد أعلن محمد الحبيب زعيم الترازة عن رغبته فى العيش بسلام مع الفرنسيين ، وذهب بنفسه إلى سانت لويس لتأكيد حسن نواياه ، ولكن الوزير الفرنسى دوكاس Ducas لم يكن يثق فيه ، فكتب إلى فيدهرب عدة مرات بأنه لا بد وأن يسيطر على القبائل الموريتانية وأن يحتكر

Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 60.

(٣١٤)

(٣١٥) كانت منطقة سين وسالوم وريب من أهم مناطق عبود مابا فى الجنوب .

Beslier, G. : op. cit., p. 138.

(٣١٦)

Adoloff, R. : op. cit., p. 147.

(٣١٧)

لنفسه تجارة الصمغ ، كما حثه على إلغاء الضرائب التي كانت تدفعها فرنسا لهذه القبائل ، وطالبه بضرورة السيطرة على نهر السنغال وحماية سكان الضفة اليسرى من إغارات الموريتانيين المتكررة (٢١٨) .

عمل محمد الحبيب على منع السفن الفرنسية من الإبحار في نهر السنغال فشن الهجمات عليها وأرسل يهدد بتدمير الحصون الفرنسية في كل من بودور وباقل ويمكن تعليل تغير موقف محمد الحبيب الفرنسيين بعد أن أكد لهم من قبل حسن نواياه ، بأنه وجد أن دعوته السلمية مع فيدهرب لم تحقق نتيجة حاسمة . وقد اضطر فيدهرب إلى تكوين قوة عسكرية للدفاع عن المنطقة متخذاً من داجنا مركزاً لعملياته العسكرية ، وأرسل إلى محمد الحبيب قوة بقيادة الكابتن كنار Canard نجحت في دفع خطر الرارزة ، وإبعادهم عن النهر (٢١٩) .

وجدير بالذكر أن محمد الحبيب حاول التفاوض مرة أخرى مع فيدهرب بالطرق السلمية فأرسل إليه بشروطه لوقف إغاراته ، والتي تلخصت في النقاط التالية :

- ١ - زيادة الضرائب السنوية التي تدفعها فرنسا للقبائل الموريتانية .
- ٢ - هدم الحصون الفرنسية التي أقيمت على نهر السنغال .
- ٣ - تعهد الفرنسيين بعدم إنشاء أية منشآت جديدة وتعددهم بدفع ضرائب جديدة في منطقة جات ندار المواجهة لسان لويس ، كذلك في منطقة بوب نكيور Bop Nkior في مقابل تزويد الفرنسيين بالماء والأخشاب .

ولكن فيدهرب لم يوافق على شروط زعيم الترارزة الذي استمر في إغاراته على المنطقة فشن عام ١٨٥٥ هجوماً عنيفاً على السنغال ، ووصل إلى القرب من سان لويس واستمرت هجماته حتى ١٨٥٧ حتى نجح فيدهرب في إلحاق الهزيمة به على شواطئ كيور في ١٣ مايو ١٨٥٧ وفي ديمار Dimar (٢٢٠) وقد أرهبت هذه الهزائم بقية القبائل الموريتانية فقبل زعيم الدويش Dowich ويدعى Batax توقيع معاهدة مع الفرنسيين في أول نوفمبر ١٨٥٧ .

Beslier, G. : op. cit., p. 138.

(٢١٨)

Beslier, G. : op. cit., p. 139.

(٢١٩)

Cultru, p. : op. cit., p. 29.

(٢٢٠)

وقد نصت المعاهدة بأن الموريتانيين لهم ٢ ٪ من أرباح تجارة الصمغ فى الضفة اليمنى لنهر السنغال ، وبذلك حدد فيدهرب أماكن بيع الصمغ وقصره على الوكالات التجارية الفرنسية فقط . وأعقبت هذه المعاهدة معاهدة أخرى مع قبائل أولاد على ، وكانت لهم سيطرة على المنطقة الواقعة بين سلدیه Saldé وكيدى Kaedi (٣٣١) .

أما بالنسبة للترارزة فعلى الرغم من هزيمة محمد الحبيب إلا أنه استعد لمهاجمة الفرنسيين مرة أخرى ساعده على ذلك أن الحاج عمر بدأ فى إثارة الاضطرابات للفرنسيين فى أعالي السنغال ، فى منطقة خاسو كما اقترح الحاج عمر على محمد الحبيب التعاون معه لقتال الفرنسيين ووجه رسالة إلى مسلمى السنغال ، دعاهم فيها إلى الاتحاد معه لمحاربة الفرنسيين المسيحيين وحثهم على عدم التعاون معهم . ولكن فيدهرب سارع بمعالجة الموقف قبل استفحاله ف عقد معاهدة مع محمد الحبيب (٣٣٢) .

وقعت المعاهدة فى مايو ١٨٥٨ اعترف فيها محمد الحبيب بالحماية الفرنسية على أوالو وعلى جود يول Gaudiole (٣٣٣) كما تعهد بعدم عبور قبيلته لنهر السنغال وهم مسلحون . وعدم مهاجمة الضفة اليسرى لنهر السنغال كما وافق على احترام التجارة الفرنسية ، وتدعيم العلاقات بين الطرفين مع عدم اعتراض طرق التجارة والإبقاء على الأسواق . وفى المقابل تعهدت فرنسا بدفع مبلغ سنوى له (٣٣٤) .

حققت معاهدة ١٨٥٨ مع محمد الحبيب زعيم الترارزة الاستقرار للفرنسيين فبمقتضاها تنازل محمد الحبيب عن الأقاليم الواقعة جنوب نهر السنغال ، واعترف بالحماية الفرنسية على منطقة أوالو (٣٣٥) كما اطمأن فيدهرب على تأمين الحدود الشمالية لمستعمرة السنغال مما أتاح له الفرصة لتوجيه جهوده وعملياته الحربية ضد كل من الحاج عمر ومابا ، وضمن عدم تعرض قواته لأى هجوم مفاجئ من الشمال (٣٣٦) . أما محمد الحبيب فكان الدافع لقبوله

Poulet, Georges ; *Les Maîtres de L'Afrique Occidentale Française* (Paris 1904), (٣٣١)

Beslier, G. : op. cit., p. 141. (٣٣٢)

Gann, L. H. : op. cit., Vol I, p. 133. (٣٣٣)

Cultru, p. : op. cit., p. 333. (٣٣٤)

(٣٣٥) صلاح المقاد : المرجع السابق ، الجمهورية الموريتانية ، ص ٤٠ .

Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 63. (٣٣٦)

المعاهدة أنه أدرك مدى قوة الفرنسيين ، وشعر بأنه لا يقوى على التصدى للقوات الفرنسية وخاصة وأن فيدهرب ركز حملاته خلال الأربع سنوات الأولى من حكمه ضد الترابزة وغيرها من القبائل . ولعل أهم خطوة اتخذها فيدهرب لإحتكار تجارة الصمغ وقصرها على الفرنسيين فقط دون غيرهم من الدول الأوروبية هو توقيع معاهدة مع انجلترا عام ١٨٥٧ وافقت بمقتضاها على التخلي عن حقوقها في التجارة في منطقة بورتنديك ذلك الحق الذي احتفظت به بمقتضى معاهدة باريس ١٨١٤ (٣٢٧) .

لقد اعتمد فيدهرب على الحملات العسكرية لتأمين مستعمرة السنغال فشن الاغارات على الإمارات الموريتانية بين الحين والآخر ، فقد اعتبر أن الأتاوات والضرائب التي تدفعها فرنسا سنويا لزعماء هذه القبائل تعتبر مهينة لمكانة وهيبة فرنسا في المنطقة . كما أراد في الوقت نفسه اقتلاع نفوذ القبائل الموريتانية على مسلمى السنغال (٣٢٨) .

وقد بقيت المعاهدات التي عقدها فيدهرب مع القبائل الموريتانية هي أساس تعامل الفرنسيين مع هذه القبائل ، وحددت العلاقة بين الطرفين خلال الخمسين سنة التالية (٣٢٩) .

وأخيرا لم تقتصر جهود فيدهرب على إرسال الحملات الحربية وإخضاع القبائل الموريتانية ، فقد أرسل بعض البعثات لاكتشاف المنطقة فأرسل الكابتن فسان Vincent إلى منطقة ادرار فخرج من سانت لويس واتصل بالترابزة ووصل إلى آبار تيفورنو ثم إلى بورتنديك ، ودخل ادرار وشنقيط وعاد إلى سان لويس ووضع تقريرا مفصلا عما شاهده في المنطقة (٣٣٠) .

كذلك أرسل كل من بوريل Bourrel واليونسال Aliounsai إلى قبائل البراكنة الموريتانية ، وكلف الملازم ماج Mage بزيارة واحة تاجنت وكتابة تقرير عنها (٣٣١) .

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 100.

(٣٢٧)

(٣٢٨) صلاح ، المقاد : المرجع السابق ، الجمهورية الموريتانية ، ص ٤٠ .

(٣٢٩) المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٣٣٠)

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 100.

(٣٣١)

Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 70.

(ب) توسيع حدود المستعمرة نحو الجنوب :

لإقرار الأمن في السنغال أقام فيدهرب حاميات عسكرية في كل من روفسك وبور تداك وجوال ، كما عمل على إعادة الاستقرار لجزيرة الرأس الأخضر عام ١٨٥٩ وقد أراد فيدهرب ضم سين وسالوم إلى السنغال وذلك لتوسيع حدود المستعمرة من جهة الجنوب فأرسل يهدد ملك منطقة سين ، ثم اتجه بقواته صوب فاتيك Fatike في قلب مملكة سين وهزم ملكها بحجة أنه يسيء بمعاملة التجار الفرنسيين ، ثم أخذ فيدهرب في القيام ببعض العمليات العسكرية في منطقة سين وسالوم لإجبار حكامها على توقيع معاهدة حماية مع الفرنسيين ، واستطاع عن طريق استخدام القوة أن يحصل على هذه المعاهدات (٣٣٣) .

وفي مارس ١٨٦٠ اتجه فيدهرب نحو منطقة الكازامانس الأدنى (٣٣٤) وذلك لوضع حد لآغارات بعض القرى على التجار الفرنسيين وتهديدهم للتجارة في المنطقة ، فقام لابراد Laprade والكابتن دي فريجات De Fregate بإحراق قرى كارون Caronne وتيونج Thiong وتم إخضاع المنطقة للنفوذ الفرنسي ، وفرضت الحماية الفرنسية عليها (٣٣٥) .

وهكذا عن طريق القوى العسكرية استطاع فيدهرب مد حدود مستعمرة السنغال من جهة الجنوب بإجباره القوى الوطنية على توقيع معاهدات حماية مع الفرنسيين واستكمالاً للتوسع نحو الجنوب ، تطلع فيدهرب إلى مد النفوذ الفرنسي في منطقة هامة هو، التي عرفت باسم منطقة أنهار الجنوب (٣٣٦) فبنى حصناً في يونيو ١٨٦٠ وعين مندوباً فرنسياً في بونجو وذلك بحجة تأمين وحماية التجار الفرنسيين ، كما حاول مد نشاطه نحو المناطق الداخلية من الساحل أي نحو فوتا جالون وأرسل الملازم لامبير Lambert عام ١٨٦٠ إلى المنطقة ولكن وزير المستعمرات شاسلوب لم يسمح له باتخاذ خطوة إيجابية في هذه المنطقة وذلك خوفاً من تشتيت جهود فرنسا ورأى شاسلوب ضرورة التركيز أولاً على تدعيم السيطرة الفرنسية على السنغال ولذلك لم تتخذ فرنسا سياسة إيجابية تجاه المنطقة إلا بعد

Cultru, p. : op. cit., p. 369.

(٣٣٢)

(٣٣٣) شملت منطقة الكازامانس الأراضي الجنوبية لمستعمرة السنغال وقد فصلها عن شمال السنغال مستعمرة غينيا البريطانية وقد أثر هذا الفصل على هذه المنطقة فتأخرت عن الجزء الشمالي من السنغال

Cultru, p. : p. 350.

(٣٣٤)

(٣٣٥) شملت هذه المنطقة الشاطئ الأيمن لنهر الكازامانس وكلميني وتونيه ويونجو وقد ألفت الأراضي الساحلية لما عرف باسم مستعمرة غينيا الفرنسية فيما بعد .

عام ١٨٦٣ ورغم ذلك انتشرت الوكالات التجارية في منطقة أنهار الجنوب على الساحل في كل من نوتيه ويونجو وميلاكوري وحقق التجار مكاسب كبيرة بفضل تجارة الفول السوداني (٣٣٦) .

وهكذا اقتصر نشاط فيدهرب في منطقة أنهار الجنوب على التجارة فقط ، ولم يسمح له بالقيام بأية عمليات عسكرية . أما عملية التوسع في منطقة أنهار الجنوب فجاءت على يد بينيه لايراد الذي خلف فيدهرب (٣٣٧) .

(ج) فيدهرب والحاج عمر :

عمل فيدهرب على إخضاع منطقة فوتا السنغالية ، ساعده في ذلك رحيل معظم ات الوطنية من المنطقة نحو الشرق ، وذلك للالتحاق بقوات الحاج عمر ومشاركته الجهاد التي أعلنها في المنطقة (٣٣٨) .

وفي ١٨ يوليو ١٨٥٨ عقد فيدهرب معاهدة سلام مع زعيم ديمار تعهد فيها الأخير بمنع ممال السلب والنهب من قبل رعاياه على الأراضي التابعة للنفوذ الفرنسي وذلك في ١٠ أبريل ١٨٥٩ ، وقع معاهدة مماثلة مع زعيم تورو تعهد فيها بضمان حرية التجارة في المنطقة . وفي عام ١٨٦٠ ضمت تورو ودامجا إلى السنغال ثم أعلن أمام فوتا قبوله النفوذ الفرنسي في الأراضي التابعة له عام ١٨٦٣ .

وبذلك استطاع فيدهرب تأمين حدود السنغال ، وضم أراضي فوتا السنغالية إليه ، وإن كان هذا الضم جاء تدريجيا ففي البداية وقع معاهدة سلام مع زعماء المنطقة أعقبها معاهدة الحماية (٣٣٩) .

على الرغم من ضم منطقة فوتا السنغالية ووقف إغارات القبائل الموريتانية اضطر فيدهرب إلى فتح جبهة أخرى للقتال ضد الحاج عمر زعيم التكرور . وكان لابد من حدوث صدام بين الطرفين فالحاج عمر تزداد قوته يوما بعد يوم ، ويزداد عدد أتباعه ، وفيدهرب يعمل

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 100.

Gann, L., H. : op. cit., Vol. I, p. 135.

Ajayi, J. : op. cit., Vol. II, p. 364.

Cultru, p. : op. cit., pp. 346 – 347.

(٣٣٦)

(٣٣٧)

(٣٣٨)

(٣٣٩)

من ناحية أخرى على توسيع حدود المستعمرة ، وإحكام السيطرة الفرنسية على المنطقة^(٣٤٠) .

إذا تتبعنا العلاقة بين الطرفين سنجد أنها كانت طيبة فى بداية الأمر لأن الحاج عمر ركز جهوده ضد الوثنيين لنشر الإسلام . ففى عام ١٨٤٧ قابل عمر دى جرامون De Grammont مدير الشؤون الخارجية للمستعمرة ومعه بول هول وأكد عمر خلال هذه المقابلة بأنه حريص على الإبقاء على العلاقات الودية مع الفرنسيين وهو مستعد لتوفير الحماية للتجار الأوربيين ، ولكنه اشترط عليهم بيعه الأسلحة وأعلن لهم بأنه صديق للأوربيين يريد العيش فى سلام معهم ، ولا يبغي سوى أن يدفعوا له الضرائب لكى يتمكنوا من التجارة بحرية^(٣٤١) .

وفى ما بين ١٨٥٢ - ١٨٥٤ أصبح للحاج عمر نفوذ كبير على مسلمى سنغيبيا وبامبوك وخاسو وبوندو^(٣٤٢) ، ولم يقتصر تأثيره على مسلمى السنغال وما حولها وإنما امتد حتى غمبيا ، فعمل على إثارة أهالى المنطقة ضد القوات البريطانية ، ونظم حملة عسكرية اتجه بها صوب بتهورست Bathurst فى غمبيا لولا مسارعة الفرق الفرنسية لإتخاذ الموقف^(٣٤٣) .

بدأ الفرنسيون يدركون مدى قوة الحاج عمر وخاصة وأن مسلمى قوتا السنغالية تطلعوأ إلى الاتحاد معه ، ولذلك كان لابد لفيدهرب من الاعتماد على قوة أخرى يواجه بها التكرور فلجأ إلى التحالف مع البمبارا الوثنيين الذى مثلوا ألد أعداء الحاج عمر ، وفى نفس الوقت رحب البمبارا بهذا التحالف على أمل أن يمكنهم من استعادة نفوذهم ومركزهم السياسى الذى سلبهم منهم التكرور^(٣٤٤) .

وحتى عام ١٨٥٧ كان الحاج عمر مازال على علاقة طيبة بالفرنسيين ، ولكن سرعان ماتبدلت هذه العلاقة عندما أرسل لهم يطلب منهم تزويده بالأسلحة الحديثة ولكنهم رفضوا وذلك خوفاً من تزايد قوته العسكرية ، فى الوقت نفسه عملوا على تسليح البمبارا ولذلك

Ajayi, J : op. cit., Vol. II, pp. 359 – 360 .

(٣٤٠)

Cultru, p. : op. cit., p. 334.

(٣٤١)

Ajayi, J. : op. cit., Tome II, p. 361.

(٣٤٢)

Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 52.

(٣٤٣)

Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 64.

(٣٤٤)

تغير موقفه من الفرنسيين ، وأخذ اتباعه يهاجمون المراكز الفرنسية ويهددون التجارة فى منطقة باقل . ثم أقدم الحاج عمر على خطوة خطيرة إذ أعلن عن نواياه فى محاربة الفرنسيين حتى يدفعوا له الجزية كما دعا أتباعه فى سانت لويس إلى عدم التعاون والاتفاق مع الخونة الفرنسيين على حد تعبيره ، وكتب إلى فيدهرب بأنه لا يريد إقامة أية منشآت فرنسية فى أراضيه كما أنه يعارض إرسال أى سفينة حربية فرنسية (٢٤٥) .

والواقع أن طلب الحاج عمر الجزية من الفرنسيين راجع إلى اقتناعه خلال هذه الفترة بقدرته العسكرية وإمكانه هزيمتهم وذلك يرجع إلى أن فيدهرب ركز جهوده خلال هذه الفترة نحو المناطق الشمالية من السنغال لإخضاع الموريتانيين ومنعهم من الإغارة على المستعمرة ، كذلك حتى هذه الفترة لم يدخل الحاج عمر فى صراع حقيقى مع القوة الفرنسية (٢٤٦) .

ونتيجة لتحالف الفرنسيين مع البمبارا قام الحاج عمر بطرد التجار الفرنسيين العاملين فى المنطقة الواقعة من باقل إلى بودور فى أعالي السنغال كما هاجم سمبالا Sambala حاكم خاسو لترحيبه بالفرنسيين فى أراضيه واضطره إلى الفرار إلى ميدين (٢٤٧) .

وقد قبل سمبالا بناء حصن فرنسى فى ميدين ففى خلال هذه الفترة أراد فيدهرب توسيع حدود المستعمرة إلى ماوراء باقل وإعادة النشاط التجارى للمنطقة ، فرأى إنشاء حصن فرنسى يساعد على رد هجمات الحاج عمر ، وقد عقد فيدهرب عدة اتفاقيات مع زعماء خاسو ومنحهم الهدايا مقابل ولائهم له . وبعد أن تم بناء الحصن ترك فيه خمسين رجلاً تحت قيادة بول هول (٢٤٨) وزود الحصن بأربع مدافع (٢٤٩) .

مثل إنشاء حصن ميدين تهديداً كبيراً للحاج عمر ، فقد توسع فى فتوحاته حتى وصل إلى شمال غرب السنغال ، ولذلك عزم على مهاجمته (٢٥٠) وانتهاز فرصة الجفاف وعدم وصول

Forstner, K. : op. cit., p. 38.

Cultru, p. : op. cit., p. 335.

Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 59.

Bealier, G. : op. cit., p. 140.

Crowder, M. : op. cit., p. 244.

(٢٤٥)

(٢٤٦)

(٢٤٧)

(٢٤٨) أحد الخلاسين عمل فى خدمة الجيش الفرنسى .

(٢٤٩)

(٢٥٠)

السفن الحربية إلى المنطقة وقام بحصار الحصن لمدة ثلاث أشهر من أبريل ١٨٥٧ حتى يوليو ، وصمد بول هول طوال هذه الفترة حتى وصلت إليه الإمدادات من فيدهرب بعد أن عانى سكان الحصن من المجاعة وتقص المؤونة مما اضطر سببالا حاكم ميدين إلى الفرار^(٢٥١) .

وقد أظهر حصار عمر لحصن ميدين مدى قوته وعدم تقبله لإنشاء حصون فرنسية فى المنطقة أو فى عام ١٨٥٨ اتجه الحاج عمر إلى بامبوك وذلك للسيطرة على مناجمها الغنية بالذهب ، كما حاول الاستيلاء على تورو وأوالو ولكن فيدهرب نجح فى إيقاف مخططات عمر للاستيلاء على الأقاليم الغربية من السنغال^(٢٥٢) .

ثم هاجم عمر حصن ماتام ومركز جيمو Guémou^(٢٥٣) عام ١٨٥٩ الواقع على الضفة اليمنى لنهر السنغال فأرسل فيدهرب القائد فارون Faron الذى رفع الحصار عن جيمو ، وقد فشل الحاج عمر فى التصدى للفرنسيين وأدرك أنه لا قبل له بمواجهتهم ، ولذلك فضل الاتجاه بفتوحاته صوب النيجر لاستكمال بناء امبراطوريته ، وأصبح نهر السنغال هو الحاجز والفاصل بين امبراطورية التكرور والفرنسيين^(٢٥٤) . واعتبرت الأراضى الواقعة فى بافنج Bafing^(٢٥٥) من بافولابى حتى ميدين تابعة للنفوذ الفرنسى ، أما الضفة اليمنى لنهر بافنج فهى تحت نفوذ الحاج عمر ، واعتبرت الضفة اليسرى لنهر الفالين تحت النفوذ الفرنسى بمقتضى الاتفاق، الذى عقد بين الطرفين عام ١٨٦٠^(٢٥٦) .

ونجحت فكرة فيدهرب فى بناء الحصون ، فحقق بفضل هذه الحصون الانتصارات ، كما تم تدعيم مركز فرنسا فى المناطق التى بنيت فيها الحصون ومنعت هذه الحصون الحاج عمر من توسيع دائرة نفوذه^(٢٥٧) .

(٢٥١) دائرة المعارف : المرجع السابق ، المجلد الخامس ، ص ٤٢٢ .

Cultru, P. : op. cit., p. 344.

(٢٥٢)

(٢٥٣) انظر شكل (٥) .

Ajayi, J. op. cit., Vol. II, P. 362

(٢٥٤)

(٢٥٥) انظر شكل (٦) - (٧) - (٨) .

Cultru, p. : op. cit., p. 346.

(٢٥٦)

Fage, J. : op. cit., p. 149.

(٢٥٧)

اتجه عمر بفتوحاته صوب النيجر فنزا سيجو وحارب البمبارا واستولى على ماسينا وحقق نجاحاً كبيراً فى المنطقة (٢٥٨) .

وعندما عاد فيدهرب إلى السنغال خلال فترة ولايته الثانية ١٨٦٣ وجد بأن امبراطورية الحاج عمر قد اتسعت بدرجة كبيرة حقيقة أن عمر اتجه بفتوحاته نحو النيجر وأوقف نشاطه فى السنغال ، إلا أن فيدهرب اعتبر امتداد التكرور على هذا النحو خطراً كبيراً على النفوذ الفرنسى وخاصة وأنه كان يتطلع لإقرار الوجود الفرنسى فى المناطق الداخلية ، ولذلك أصدر تعليماته إلى الضابط البحرى أوجين ماج Eugène Mage للتوجه فى بعثة إلى سيجو عاصمة عمر عام ١٨٦٣ (٢٥٩) .

وكان هدف فيدهرب من هذه البعثة هو التعاون مع الحاج عمر فى المستقبل القريب على الأقل ، طالما كانت الفرق الفرنسية مشغولة بتدعيم سيطرتها على الساحل وقد وافق وزير البحرية دى شاسلوب على إرسال هذه البعثة لأهميتها السياسية والتجارية . وكان هدف البعثة أيضاً اكتشاف خط يربط بين الممتلكات الفرنسية فى أعالي السنغال وأعالى النيجر ، وخاصة باماكو وهى أقرب نقطة للفرنسيين على نهر النيجر كذلك إيجاد مراكز تجارية للقوافل ومراكز لها . وكان هدف فيدهرب بعد ربط السنغال بالنيجر أن يتم ربط السودان بالجزائر فى المستقبل البعيد (٢٦٠) .

وقد وصل ماج إلى سيجو مصطحباً معه أفراد البعثة ومنهم الدكتور كوتتان Quintin الذى لعب دوراً هاماً أثناء المباحثات ، ولكن أحمدو.شيخو ابن الحاج عمر الذى استقبل البعثة وأبقى أفرادها لمدة عامين فى سيجو ومنعهم من مغادرة المنطقة وظلت البعثة فى سيجو حتى وفاة الحاج عمر ، وتولى أحمدو الحكم (٢٦١) . وقد أوضح أفراد البعثة رغبتهم فى التفاوض مع الحاج عمر للسماح لهم بإنشاء مراكز تجارية فى المنطقة الواقعة بين بافولابى وباماكو ولكن أحمدو رفض قبول إنشاء مراكز أو حصون فى أراضى التكرور (٢٦٢)

Crowder, M. : op. cit., Resistance, P. 60.

(٢٥٨)

Hagreaves, J. : op. cit., France, p. 151.

(٢٥٩)

Hagreaves, J. : op. cit., France, pp 151-152.

(٢٦٠)

Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 366.

(٢٦١)

Hagreaves, J. : op. cit., France, p. 152.

(٢٦٢)

وكانت التعليمات الصادرة من فيدهرب إلى ماج تقضى باكتشاف المنطقة الواقعية بين السنغال والنيجر لإنشاء سلسلة من الحصون فيها تمهيدا للسيطرة عليها . وقد نشر فيدهرب فى جريدة *Le Revue Maritime et Colonial* مقالا بعنوان مستقبل الصحراء كتب فيه عن أهمية ربط السنغال بالنيجر وإنشاء الحصون على طول المنطقة الممتدة من مدين على السنغال حتى باماكو على النيجر ولتحقيق هذا المشروع لابد من استكشاف هذه المنطقة ، كذلك اكتشاف أقاليم النيجر والمناطق الداخلية الغامضة (بالنسبة للفرنسيين) لكى يتمكنوا من السيطرة على التجارة الداخلية وتنظيمها ومنافسة انجلترا وقد دعا فيدهرب وزارة البحرية الفرنسية إلى ضرورة استخدام القوة العسكرية لمد النشاط الفرنسى صوب المناطق الداخلية للنيجر ، مؤكداً بأنها الوسيلة الوحيدة للسيطرة على المنطقة (٣١٣) .

وقد انتهى الصراع بين فيدهرب والحاج عمر بوقاة الأخير بعد المؤامرة التى دبرها له البمارا وتولى ابنه أحمدو شيخو الحكم ليوصل جهود والده ضد الفرنسيين كما سئرى فى الفصل الثالث .

عند تقييمنا لأعمال فيدهرب فى السنغال نلاحظ أنه كان أول من حقق لفرنسا أهدافها الاستعمارية بطريقة فعلية ولذلك ظلت خطته ومشاريعه نواة التغلغل الفرنسى فى غرب أفريقيا لعدة سنوات طويلة (٣١٤) فقد اهتم بإرسال البعثات إلى المناطق الداخلية وذلك بغرض تدعيم السيطرة العسكرية عليها ، فقد كان يؤمن بأن الكشف يجب أن يعقبه الغزو العسكرى ، فقد أرسل البعثات إلى كل من بامبوك وكينيبا فى أعالي النيجر واشتهرت هاتان المنطقتان بمناجم الذهب وكان غرضه من هذه البعثات هو استغلال ثروة المنطقة تمهيدا لغزوها . كذلك لانفعل أن اكتشاف مناجم الذهب فى مناطق العالم المختلفة (فى كاليفورنيا وأستراليا) كان له تأثير فى جذب أنظار الفرنسيين أيضا إلى محاولة اكتشاف مناجم وثروات مماثلة فى أفريقيا (٣١٥) .

يلاحظ بالنسبة للبعثات الكشفية التى أرسلها فيدهرب ، أنها اتخذت طرقا جديدة مختلفة عن البعثات السابقة فقبل قدوم فيدهرب كانت معظم البعثات الكشفية تتجه من

Mage, E. : op. cit., pp. 1 – 2.

(٣١٣)

Cultru, p. : op. cit., p. 354.

(٣١٤)

Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 69.

(٣١٥)

خليج غينيا نحو الشمال ولكن هذا الطريق كلف فرنسا الكثير من الأموال بالإضافة إلى صعوبة عبور منطقة الغابات الكثيفة ، ولكن منذ مجيء فيدهرب إلى السنغال قرر أن يكون تقدم البعثات شرقاً انطلاقاً من سانت لويس في السنغال (٣٦١) .

ورغم استخدام فيدهرب العنف لإقرار السلام في السنغال ضد القبائل الموريتانية والحاج عمر إلا أنه اضطر إلى الاعتماد على القوى الوطنية المحلية في تحقيق أهدافه التوسعية فكون فرقاً عسكرية من الرماة السنغاليين ، ضمت عدداً كبيراً من الرقيق المحرر (٣٦٢) وكان الغرض من هذه الفرق هو القتال إلى جانب الفرنسيين ، وذلك نظراً لقدرة الأفارقة على تحمل طقس بلادهم ، ودرائتهم بالمناطق الداخلية فيها . أما الأوربيون فكان من الصعب في ذلك الوقت تكوين فرق عسكرية منهم لعدم قدرتهم على تحمل طقس المنطقة والقتال في أماكن نائية مجهولة بالنسبة لهم ، كذلك أوجد فيدهرب في فرق الفرسان وظيفة جديدة هي Saphis أى ملازم ثانى من الوطنيين (٣٦٣) .

ولم يقتصر اعتماد فيدهرب على القوى الوطنية في المجال العسكري فحسب وإنما اعتمد عليهم أيضاً في النواحي الإدارية ، فخلال فترة حكمه عاونه بو المجدد في إدارة شئون المستعمرة وكان من ضمن أعضاء المحكمة الإسلامية التي ألفها فيدهرب في السنغال (٣٦٤) .

اهتم فيدهرب بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية في مستعمرة السنغال ولكن يلاحظ أن ذلك الاهتمام كان بدافع خدمة أهدافه الإستعمارية ، فخلال فترة حكمه الأولى اهتم بتطوير الزراعة ، وإنعاش التجارة ، وشجع زراعة الفول السوداني الذي اعتبر من أهم المصادر الاقتصادية في السنغال فتم زراعته بكميات كبيرة في ساحل بئول وكايور ، أما الصنع فقد جمع من داجنا وبودور وبائل وماتام وميدين (٣٦٥)

وفى عام ١٨٥٧ تم بناء داكار وفى عام ١٨٦٠ أصدر وزير المستعمرات أمراً بضم جوريه إلى السنغال التي قسمت بدورها إلى ثلاث دوائر بأقل - جوريه - سانت لويس . وتم بناء

Adloff, R. : op. cit., p. 145. (٣٦٦)

Cultru, p. : op. cit., p. 357. (٣٦٧)

Anderson, J. : op. cit., p. 136. (٣٦٨)

Hagreaves, J. : op. cit., France, p. 148. (٣٦٩)

Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 69. (٣٧٠)

جسر ربط بين كل من سانت لويس وجزيرة جات ندار ، كما شيد جسرا آخر ربط بين سانت لويس وجزيرة سور^(٣٣) كذلك تم رصف الطرق بين روفسك وThiès^(٣٤) وبين كل من داكار وسانت لويس^(٣٥) .

اهتم فيدهرب بإصدار جريدة بعنوان *Le Moniteur du Sénégal* وكانت تحوى تقارير عسكرية وجغرافية ومالية ومثلت هذه الجريدة صوت الحاكم كما حوت إرشادات زراعية لمزارعى السنغال ، ومعلومات تجارية^(٣٦) . كذلك أولى فيدهرب المدارس اهتمامه ، فاهتم بإنشاء المدارس الإسلامية وأصدر أمراً عام ١٨٥٧ بإنشاء هذه المدارس ، كما سمح أيضا للمرابطين بإنشاء المدارس فى ١٦ أكتوبر ١٨٥٧ ، وفى الوقت نفسه انتشرت البعثات التبشيرية فى السنغال ، وتم فتح مدارس فرنسية فى كل من سانت لويس وباقل وداجنا^(٣٧) .

نلاحظ أن فيدهرب اهتم بإنشاء المدارس الفرنسية لخدمة أغراضه العسكرية ولنشر النفوذ الفرنسى ، كذلك نشطت فى فترة حكمه البعثات التبشيرية ولكنه فى نفس الوقت كان حريصا على احتواء الوطنيين والعمل على إرضائهم ولو مؤقتا فسمح لهم بإنشاء المدارس الإسلامية ورغم استخدامه العنف ضد الوطنيين إلا أنه اهتم بدراسة العادات والتقاليد السائدة فى المنطقة ، حتى أنه طلب من البعثات الكشفية التى أرسلها ضرورة كتابة وتدوين تقارير عن النواحي الاجتماعية فى المناطق التى يصلون إليها^(٣٨) .

لقد تشابهت آراء فيدهرب إلى حد كبير مع آراء سيسل رودس Cecil Rodos الذى تطلع لمد النشاط البريطانى من الكاب حتى القاهرة أما فيدهرب فقد كان أمله هو إنشاء امبراطورية فرنسية تمتد من السنغال فى غرب أفريقيا حتى شرق القارة أى إن رودس أراد أن تشطر الممتلكات البريطانية القارة الإفريقية رأسيا ، بينما أراد فيدهرب أن تقسم الممتلكات الفرنسية القارة أفقيا^(٣٩) .

Cultru, P. : op. cit., p. 358.

(٣٧١)

(٣٧٢) انظر شكل (٩) .

Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 69.

(٣٧٣)

Ibid., p. 69.

(٣٧٤)

Cultru, p. : op. cit., Histoire, p. 360.

(٣٧٥)

Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 73.

(٣٧٦)

Anderson, J. : op. cit., p. 136.

(٣٧٧)

كذلك شبه فيدهرب بالحاكم العام الفرنسى فى الجزائر راندون Randon الذى عين من عام ١٨٥١ حتى ١٨٥٩ فكلاهما عمل على تحقيق مشاريع الامبراطورية الثانية ونابليون الثالث عن طريق استخدام القوة العسكرية فى أفريقيا ، فالأول وسع حدود مستعمرة السنغال وقضى على الأخطار التى هددتها شمالا وشرقا وعمل على بناء الحصون العسكرية فى المنطقة ، واهتم بإرسال البعثات إلى مختلف أنحاء البلاد ، فدعم بذلك سيطرة فرنسا على السنغال . أما الثانى فقد تصدى لنشر النفوذ الفرنسى ويفضل جهوده تقدمت فرنسا نحو الجنوب حتى وصلت بقواتها إلى حافة الصحراء ، حيث مركز الطوارق ، كما تولى راندون بنفسه تطوير ثروات البلاد وأعاد للجزائر علاقتها التجارية مع الصحراء ، ومع غرب أفريقيا وركز جهوده فى جنوب الجزائر منذ ١٨٥٦ وأرسل البعثات إلى الصحراء لفتح المجال لإقامة علاقات تجارية مع توات وجات (٣٧٨) .

لقد نجح فيدهرب فى تحقيق أهدافه الاستعمارية فوضع الملامح الرئيسية لمستعمرة السنغال ، بعد أن وسع حدودها وضم إليها أراضى جديدة ، وأصبحت السنغال تمثل مستعمرة فرنسية بعد أن كانت مجرد وكالات تجارية منتشرة فى كل مكان (٣٧٩) .

وأخيرا يلاحظ أن معظم المؤرخين الغربيين أجمعوا على وصف فيدهرب بأنه باعث النهضة فى السنغال ، وأنه حقق الكثير من أجل تطوير الأفارقة وتعليمهم وأسدى إليهم الكثير من الخدمات ، ولكن فى الواقع أن كل إصلاحات فيدهرب اتسمت بالصيغة الاستعمارية ، فما قيل عن تطوير المستعمرة ، ورصف الطرق وإنشاء الجسور كان فى الواقع الهدف منه استغلال موارد المنطقة ، وتيسير الاتصال مع المناطق المنتجة ولتحقيق أكبر قدر ممكن من الفوائد الاقتصادية كذلك اعتماده على القوى الوطنية وخاصة الرماة السنغاليين لم يكن الهدف منه إنسانيا بقصد تعليم الأفارقة القتال أو استخدام الأسلحة الحديثة ، وإنما أراد به فيدهرب الاستفادة من خبرتهم ودرايتهم بالمنطقة للحصول على نتائج سريعة فى حملاته وإدراكه كذلك ضعف قدرة الأوربيين على احتمال طقس المنطقة التى كانوا مازالوا يجهلونها والدليل على ذلك عندما تعارضت مصلحته مع مصلحة الوطنيين كما حدث مع الحاج عمر كشف عن وجهه الحقيقى . كما أننا لانغفل له تدميره وإحراقه للقرى التى

Boahen, A. : op. cit., p. 223.

(٣٧٨)

Gann, L. H. : op. cit., Vol. I, p. 133.

(٣٧٩)

رفضت الخضوع لسلطاته وإجباره الزعماء الوطنيين في منطقة سنغيبيا توقيع معاهدات حماية معه .

ولذلك فإن فكرة تصويره بأنه كان محباً للسلام وللعدل فكرة مبالغ فيها من قبل المراجع الأجنبية ، فهو أول من استخدم نظرية السلام أو الحرب وأول من سعى لتطبيق نظرية التوسع الفرنسي في المنطقة بطريقة فعلية وعملية .

٢ - السنغال بعد رحيل فيدهرب :

خلف بينيه لابراد Pinet Laprade فيدهرب فى حكم السنغال ويعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقى لمستعمرة أنهار الجنوب وذلك لما بذله خلال فترة حكمه من تدعيم السيطرة الفرنسية فى هذه المنطقة كذلك اشتهر لابراد بعملياته العسكرية ضد الولوف فى كايور ، من أجل إخضاعهم للنفوذ الفرنسى (٣٨٠) .

عمل لابراد على عقد المعاهدات مع الزعماء المحليين فى منطقة أنهار الجنوب ، كما أسس مراكز عسكرية فى كل من بوكيه Boké (Nunez) وبوفا Boffa (Pongo) وينتى Penty (Mellacorée) (٣٨١) وكان غرضه الرئيسى من تدعيم النفوذ الفرنسى فى هذه المنطقة هو ضمان استقرار مستمرة السنغال من ناحية حدودها الجنوبية بالإضافة إلى رغبته فى منافسة النشاط التجارى البريطانى فى سيراليون فى منطقة الميلاكورى (٣٨٢) وعند نهر سكرسيس Scarcies وفوريكاريا Forécarich (٣٨٣) .

وبالإضافة إلى اهتمام لابراد بمنطقة أنهار الجنوب ، إلا أن هذا الاهتمام لم يمنعه من التركيز على المنطقة المتاخمة للسنغال لمنطقة سين وسالوم التى عمل فيدهرب من قبل على فرض السيطرة الفرنسية عليها . ولكن هذه المنطقة شهدت حركة إصلاح دينى بزعامة أحد المرابطين وهو مابا الذى أعلن الجهاد ضد الوثنيين ، متأثراً بحركة الجهاد التى أعلنتها الحاج عمر من قبل ، وأخذ مابا ينشر الإسلام فى المنطقة ، وقد ساعد فى علو شأنه أن الحاج عمر أعلن فى عام ١٨٥٠ بأن ماباهو نائبه فى منطقة سنغمبيا ، فحقق بذلك نجاحاً كبيراً وتزايد أتباعه بدرجة ملحوظة أفزعت الفرنسيين (٣٨٤) كذلك امتد نشاط مابا إلى منطقة

Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 55.

(٣٨٠)

(٣٨١) انظر شكل (٥) - (٧)

Gann, L. A. : op. cit., Vol. I, p. 135.

(٣٨٢)

(٣٨٣) انظر شكل (٥) - (٦) - (٧) .

Zerbo, J. op. cit., p. 417.

(٣٨٤)

الريب Rip ، فقام أتباعه بقتل ملكها الوثنى فى عام ١٨٦١ ، وأسس مدينه نيورو^(٣٨٥) كما قام بغزو باؤول وسالوم وأحرق الحاصلات ، الزراعية فيها وأخذ فى تحريض السكان على الثورة ضد الفرنسيين^(٣٨٦) .

ولم يكتف مابا بتهديد المصالح التجارية الفرنسية فى المنطقة ، وإنما هدد أيضا التجارة البريطانية فى غمبيا وخاصة فى المنطقة الواقعة على الضفة اليمنى لنهر غمبيا ، وقد استاء الحاكم البريطانى فى غمبيا دارس D'Arcy من جراء الاضطرابات التى سببها اتباع مابا فى المستعمرة ، وخاصة وأنهم أخذوا فى الإغارة على عدة قرى تابعة لمناطق النفوذ البريطانى فهاجموا قرية نيومى Niomi واسان Essan فى ٢٦ مايو ١٨٦٢ وتحركت الفرق البريطانية لنجدة سكان المنطقة ، ويرجع هجوم مابا على هذه القرى وخاصة نيومى التى كانت محل للنزاع بينه وبين جماعات السونكة ، فحاول دارسى إتقاذ الموقف من التدهور وأجرى مصالحة بين الطرفين . ولكن جميع الجهود التى بذلها فشلت فكتب إلى حكومته يقترح عليها حلا للنزاع أن تبادر بريطانيا وتعلن حمايتها على قرية نيومى ولكن الحكومة البريطانية رفضت اقتراحه فى ١٦ يونيو ١٨٦٢^(٣٨٧) .

وهكذا نلاحظ أن مابا فى فترة قصيرة أصبح بمثل عدواً مشتركاً لكل من الفرنسيين فى منطقة سين وسالوم وللبريطانيين عند الضفة اليمنى لنهر غمبيا وترتب على ذلك ضرورة تعاونهما ضده لإحساسهما بالخطر المشترك وينبغى أن نشير بأن هذا التعاون لم يكن الأول من نوعه ، ففى عام ١٨٦١ أرسل حاكم السنغال بعض الفرق العسكرية الفرنسية لمساعدة حاكم غمبيا فى وضع حد للحروب الأهلية فى المنطقة^(٣٨٨) .

وقد بذل دارسى جهوداً كبيرة لمنع انتشار الفوضى فعاود الاتصال بمابا والسونكة فى محاولة للإصلاح بينهما من جديد ، وأخيراً تعهد مابا فى ٢٤ فبراير ١٨٦٣ بعدم التدخل فى شئون القرية أو سكانها ، ثم تحول بقواته لمحاربة السرير والولوف استكمالاً لفرواته^(٣٨٩) .

Ibid., p. 417.

(٣٨٥)

Beslier, G. : op. cit., p. 149.

(٣٨٦)

Gay, J. : A History of Gambia (Cambridge 1940), pp. 420 – 422.

(٣٨٧)

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 107.

(٣٨٨)

Gay, J. : op. cit., pp. 423 – 424.

(٣٨٩)

وظلت عمليات مابا العسكرية ضد الوثنيين تثير الرعب فى المنطقة وتسبب الاضطرابات للفرنسيين فى السنغال ، ونظراً لتزايد قوته اضطروا إلى عقد معاهدة معه فى ١٦ أبريل ١٨٦٤ اعترفوا فيها بسيادته على منطقة سالوم ، وكان الهدف الحقيقى من وراء هذه المعاهدة هو منعه من إثارة الوطنيين ضد الفرنسيين ، كذلك عدم التعاون مع لات ديور فى منطقة كايور مما قد يؤدى إلى تهديد مستعمرة السنغال تهديداً خطراً من جراء هذا التعاون (٣٠) .

وقد انتهز السونكة فرصة ابتعاد مابا بقواته عنهم وتركيزه لنشاطه ضد السرير والولوف فشنوا هجوماً على قواته وألحقوا بها خسائر فادحة واضطروه إلى الفرار إلى التكرور ورغم ذلك ظل يحارب السرير لنشر الإسلام بينهم وقد قتل ١٨٦٣ فى سومب Somb فى إحدى معاركه ضدهم (٣١) .

أما الحكومة الفرنسية فقد أرسلت إلى لابراد بضرورة وقف عملياته العسكرية فى منطقة أنهار الجنوب وجنوب السنغال ، وذلك لأنها كلفت الدولة الكثير من الأموال فبدأ لابراد فى إحلال السلام فى المنطقة ساعده على ذلك مقتل مابا فعقد سلسلة من المعاهدات مع الحكام الوطنيين تعهدوا فيها بعدم إثارة الاضطرابات للفرنسيين (٣٢) .

وهكذا نلاحظ أن بعد رحيل فيدهرب ، تركز الاهتمام الفرنسى على منطقة جنوب السنغال وتأمين الحدود الجنوبية للمستعمرة ، ولكن رغم هذه الجهود لم يستطع خلفاء فيدهرب تحقيق أن تقدم ملموس فى المنطقة خلال الخمسة عشر عاماً التالية .

فى عام ١٨٦٩ عين الكولونيل فالير Valière حاكماً على السنغال وقد اتبع نفس سياسة لابراد وهى إحلال السلام ، وعدم الاصطدام مع القوى الوطنية وقد تلخصت سياسة الحكومة الفرنسية خلال هذه الفترة بعدم التوسع والتزام سياسة أكثر هدوءاً ، بعد فترة التوسع التى شهدتها المستعمرة فى عهد فيدهرب ولكن ليس معنى ذلك التخلى عن الأراضى التى ضمتها فرنسا ، وإنما المحافظة عليها وعدم التوسع أو التورط فى أية عمليات عسكرية جديدة بدون مبرر (٣٣) .

Forde, D. : *West African Kingdoms in the Nineteenth century* (L. 1969)

(٣٠)

Zerbo, J. : *op. cit.*, p. 417.

(٣١)

Guernier, E. : *op. cit.*, Tome I, p. 55.

(٣٢)

Deschamps, H. : *op. cit.*, Tome II, P. 64.

(٣٣)

وجدير بالذكر أن التجار الفرنسيين فى المنطقة كان لهم رأى آخر مخالف لسياسة الحكومة الفرنسية ، لأنهم كانوا يشجعون خطوات فرنسا الاستعمارية فى المنطقة ويؤيدون سياسة فيدهرب وأسلوبه فى الحكم وذلك لأنها خدمت مصالحهم التجارية وفتحت أمامهم الطرق المؤدية إلى المناطق الداخلية ، كما وفرت لهم أسواقاً جديدة للاستغلال . ولكن رغم ذلك فإن فترة السياسة السلمية المؤقتة التى اتخذها خلفاء فيدهرب ازدهرت فيها التجارة أيضاً وحقق التجار أرباحاً كثيرة ، وخاصة من تجارة الفول السودانى الذى أقبل الزنوج على زراعته على الضفة اليسرى للسنگال وفى كايور وسالوم وغمبيا بالإضافة إلى تجارة الصمغ (٣٦٤) .

إذن يمكننا أن نلخص السياسة الفرنسية فى غرب أفريقيا بأنها فى منتصف القرن التاسع عشر تغيرت تماماً بمجئ فيدهرب إلى السنگال الذى كان أول من اتخذ سياسة اتسمت بالجرأة فى التوسع ، وتنفيذ المشاريع واضعاً بذلك أسس استعمار غرب أفريقيا متخذاً من السنگال محوراً للانطلاق أما خلفاؤه فلم يستطيعوا أن يكونوا بمثل قوته ، أيضاً الحكومة الفرنسية كانت تنظر إلى التوسع بعين الحذر وكذلك اتسمت أحوال المستعمرة وحتى الحرب السبعينية بالهدوء والاستقرار وعدم التورط فى ضم أية أراضى جديدة .

وعندما هزمت فرنسا فى الحرب السبعينية وصلت أنباء هذه الهزيمة وانهايار الامبراطورية الثانية إلى سانت لويس ونشر فى إعلان رسمى فى الجريدة الرسمية فى ١٤ أكتوبر ١٨٧٠ خبر تكوين الجمهورية الثالثة . وكان رد الفعل لدى الأفارقة هو الابتهاج لهزيمة فرنسا التى مثلت فى نظرهم المسيحية . وكان للحرب السبعينية أثرها على المستعمرة ، فقد سارعت فرنسا بسحب فرقها منها كذلك من حصون ساحل غينيا فى جران سام واسينى وقد شعر الفرنسيون فى المستعمرة بأثر هذه الهزيمة فذكر بول هول بأن الإسلام سيقوى بعد الآن (٣٦٥) .

ولكن فرنسا بدأت فى استعادة نشاطها فى المستعمرة عام ١٨٧٩ فبدأت تتخذ سياسة أكثر نشاطاً فى المنطقة تلخصت فى رغبتها فى ضم ممتلكاتها فى غرب أفريقيا وتكوين حزام من المستعمرات الإفريقية يمتد من الغرب عبر السودان حتى الساحل الشرقى الإفريقى عابراً

Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 64.

(٣٦٤)

Guernier, E. : op. cit., Tome IV, p. 55.

(٣٦٥)

الكونغو والحبيشة حتى مدغشقر ، ولكن هذه الخطة قطعها كشنر وأنهاها في فاشودة ومنعت انجلترا فرنسا من تحقيق هذا الحلم وأجبرتها على التوقف بزحفها حتى تشاد فقط (٣٦١) .

وجاء تعيين بريير دي ليل Brière De L'isle خلفا لفالير فحكم من عام ١٨٧٦ إلى ١٨٨١ ، وركز اهتمامه في كل من غمبيا وفوتا ونجح في القضاء على بعض الثورات البسيطة والتي لم يكن لها خطر كبير على الوجود الفرنسي فقد ثار توديه كابا Todé Kaba في غمبيا وأرسل إليه بريير حملة بقيادة ريبان Reyband الذي نجح في إلحاق الهزيمة به ، واعتلاف السرير في سين بالحماية الفرنسية على بلادهم عام ١٨٧٧ . كذلك ثار ضد الفرنسيين في فوتا عبد الله بوبكر زعيم البوسيه Bosseya وقام بتحطيم الخطوط البرقية لإظهار عدائه لهم فحطم الخطوط بين كل من سلديه وباقل فذهب دي ليل بنفسه إلى سلديه وضم مقاطعة ايرلابه Irlabé ولاو Lao إلى السنغال . في ٢٤ أكتوبر ١٨٧٧ ، كما عقد معاهدة مع امام فوتا محمد أحمد الذي سلم له المقاطعتين السابقتين واحتفظ لنفسه بنجومار Nguomar وبوسيه ولكن عبد الله بوبكر ظل على عدائه مع الفرنسيين حتى هزمه دي ليل ، واضطر في النهاية إلى إعلان خضوعه عام ١٨٨١ (٣٦٢) .

ركز دي ليل اهتمامه على مد النفوذ الفرنسي صوب النيجر فوضع عدة مشروعات لمد الخطوط الحديدية من السنغال صوب النيجر ، وفي عام ١٨٧٨ وضع مشروعا لمد خط حديدى يصل بين سانت لويس وداكار وخط آخر يصل ميدين إلى كاييس والثالث يصل حتى النيجر قرب باماكو وقد وافق جور جيبيرى وزير البحرية على مد خطوط السكك الحديدية ، وافتتح الخط الأول من سانت لويس إلى داكار عام ١٨٨٥ وأمتد الخط الثانى من كاييس حتى بافولانى وفي عام ١٨٩٠ تم افتتاح خط داكار ركاييس (٣٦٣) .

Reeve, Henry, Fenwick; The Cambia (London 1912) p. 100.

(٣٦١)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 164.

(٣٦٧)

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, P. 254.

(٣٦٨)

٣ - السنغال فى أعقاب مؤتمر برلين :

بعد انعقاد مؤتمر برلين نشطت السياسة الفرنسية فى غرب أفريقيا واتخذت فرنسا من السنغال قاعدة لها للانطلاق نحو المناطق الداخلية ولتحقيق هذا الهدف أو بمعنى آخر لإحكام السيطرة الفرنسية على الأراضى الداخلية ، كان لابد أولاً من تثبيت النفوذ الفرنسى فى المستعمرة الرئيسية وهى السنغال بصفتها قاعدة للانطلاق ومركزاً للتوغل ، ولكن استتبع ذلك الاصطدام مع القوى الوطنية التى تمثلت فى ذلك الوقت فى كل من لات ديور فى كايور ومحمدو لامين زعيم الساراكولى .

(١) لات ديور زعيم كايور :

اشتهرت مملكة كايور^(٣٩١) بثروتها الزراعية ولذلك أثارت مطامع الكثيرين وخاصة القبائل الموريتانية التى دخلت فى نزاع معها بزعماء محمد الحبيب . أما عن علاقة كايور بالفرنسيين فقد بدأت عندما سمح لهم ملك كايور بيرما Bairaima عام ١٨٥٩ بإنشاء خط تلغرافى يربط بين سانت لويس وداكار ، ولكن تولى خليفته ماكودو Macodou الحكم رفض تنفيذ ذلك الاتفاق فأرسل إليه فيدهرب قوة عسكرية نجحت فى دخول العاصمة وكتب ماكودو إلى فيدهرب محتجاً على هذا الغزو ، إلا أنه اضطر فى النهاية إلى توقيع معاهدة مع الفرنسيين فى أول فبراير ١٨٦١ وافق فيها على مد الخط التلغرافى ، كذلك وافق على بناء حصون فرنسية فى أراضيه فى كل من مبورو M'boro ولامبول Lompoul ، ومبيديجيم Mbidjem^(٤٠٠) وجميع هذه الحصون تقع على الطريق الموصل إلى داكار ، كذلك وافق الملك على السماح للأوروبيين بحرية التجارة والمرور فى أراضيه وفى مقابل هذه المعاهدة تعهد فيدهرب للملك بمساعدته ضد أعدائه ومعاونتيه فى الاحتفاظ بعرشه فى كايور^(٤٠١) .

(٣٩١) كايور الآن محافظة من محافظات السنغال ولكنها فى القرن ال ١٩ كانت مملكة يسكنها الولوف وقد امتدت ١٥٠٠ ميلاً من الجنوب الغربى حتى الشمال الغربى و٨٠ ميلاً من الشمال إلى الجنوب وتقع بين سانت لويس فى الشمال وروفسك فى الجنوب وأهم أقاليمها ديمبور Diambour ومابور Mabawqr - سنيكور Sanyokor ديدندر Dyander وجات Ghet وكان زعماء الترى من المرابطين يعينهم الملك بنفسه وقد لقب الأخير بلقب دامل Damel أى ملك .
(٤٠٠) انظر شكل (٩) .

Cultru, p. : op. cit., p. 351.

ولكن ما لبث الملك ماكودو أن حنث بوعده ورفض تنفيذ شروط المعاهدة فأصدر فيدهرب أوامره إلى فرقة فرنسية بالتقدم في أراضي كايور حتى وصلت نجيجي Nguigui فلجأ الملك بدوره إلى التحالف مع الترابزة ضد الفرنسيين ، ولكن القوات الفرنسية نجحت في إلحاق الهزيمة به واضطر إلى الفرار إلى سالوم^(٤٠٦) وعين فيدهرب ماديوديو Madiodio بدلا منه ، فقبل توقيع معاهدة مع الفرنسيين إلا أنه سرعان ما انقلب عليهم ، وذلك بعد رحيل فيدهرب وانتهاء فترة ولايته الأولى في السنغال^(٤٠٧) .

ثم نجح لات ديور^(٤٠٨) في انتزاع الحكم من ماديوديو وألحق الهزيمة به في نجولجول Ngolgole عام ١٨٦٢ وقد لعب لات ديور دوراً كبيراً في منطقة كايور ضد الفرنسيين فقد رفض منذ توليه الحكم التعاون معهم ، ولذلك عملت إدارة السنغال على عودة ماديوديو إلى الحكم في كايور ونجحت في نفي لات ديور من المنطقة لمدة أربع سنوات ١٨٦٤ - ١٨٦٨ حيث أقام في سين وغمبيا^(٤٠٩) .

وقد اهتم الفرنسيون بمنطقة كايور اهتماماً كبيراً فبعد عودة فيدهرب على حكم السنغال وخلال فترة حكمه الثانية قسم كايور إلى سبع وحدات إدارية ، وعين على كل منها زعيماً محلياً يتم اختياره من قبل الفرنسيين فقد أدرك فيدهرب أن كايور هي مفتاح المواصلات بين سانت لويس وداكار^(٤١٠) .

أما لات ديور فقد سعى للعودة مرة ثانية إلى الحكم بعد نفيه ولم يجد سوى إعلان ولائه للفرنسيين حتى يستعيد قوته ، فأعلن عام ١٨٦٩ استعداده لقبول السيطرة الفرنسية وأبدى هذه الرغبة للحاكم الفرنسي فالير فيعنه حاكماً على منطقة جات فقط ، ولكن لات ديور رفض الاكتفاء بهذه المنطقة ، واستأنف الجهاد ضد الفرنسيين حتى عام ١٨٧١ حيث ثم توقيع معاهدة بين الطرفين ، أصبح لات ديور بمقتضاها ملكاً على كايور ولكن مع اعترافه بالحماية الفرنسية^(٤١١) .

Ibid., p. 352.

(٤٠٢)

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 100.

(٤٠٣)

Babakar (٤٠٤) ولد لات ديور في عام ١٨٤٢ في بيثة وثنية ولكنه تلقى تعليماً دينياً على يد المرابط بابكر مياي - Babakar ثم انتقل إلى نجيجي ومنها إلى Sagata حيث أقام فيها .

Zerbo, J. : op. cit., p. 415.

(٤٠٥)

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 100.

(٤٠٦)

Zerbo, J. : op. cit., p. 418.

(٤٠٧)

إذا حاولنا تحليل سبب قبول الفرنسيين توقيعهم معاهدة مع لات ديور خلال هذه الفترة ، سنجد أنه بسبب الحرب السبعينية وانسحاب الفرق الفرنسية من السنغال أراد الحاكم الفرنسي المحافظة على هدوء الموقف في المستعمرة وتجنب التورط في أية اشتباكات جديدة أو معارك حربية لا قبل له بها ففضل خلال هذه الفترة مهادنة القوى الوطنية ولو مؤقتا ولكن يلاحظ أنه رغم تحالف لات ديور مع الفرنسيين إلا أنه رفض دائما فكرة إقامة خطوط حديدية في كايور فخلال هذه الفترة أرادت فرنسا مد خط حديدى من سانت لويس إلى داكار ، ورغم توقيع لات ديور معاهدة أخرى مع الفرنسيين عام ١٨٧٩ وافق فيها على مد الخط الحديدي في أراضيه ، إلا أنه سرعان ما ثار مرة أخرى ضد الفرنسيين ، وأعلن رفضه لمد أى خطوط حديدية في بلاده ، ولذلك عمل الفرنسيون على إبعاده من كايور وعينوا ساميا يحيى فال Samba Yahya Fall بدلا منه (٤٠٨) .

وظل لات ديور يثير المشاكل للفرنسيين ، فتحالف مع قبائل الترازة . كذلك نجح في تجميع الولوف ضد الفرنسيين ، واضطر الفرنسيون إلى اتخاذ موقف يتسم بالشدّة فأعلنوا الحماية على كايور في ٢٨ اغسطس ١٨٨٢ وعينوا سامبا لاؤيه Samba Laobé ملكا عليها . ثم اتخذت الإدارة الفرنسية في السنغال سياسة أكثر عنفاً مع لات ديور الذى استمر يثير المتاعب ضد الفرنسيين ويحرض الولوف على الثورة ضدهم وقد نجح في هزيمة الفرق الفرنسية المدربة والمجهزة بأحدث الأسلحة وقد اضطرب الموقف في السنغال بسبب انتصارات لات ديور ورفضه الدائم لإنشاء الخطوط الحديدية في أراضيه بل لجأ أيضا إلى تدمير المنشآت الفرنسية في المنطقة ، ولذلك كثفت إدارة السنغال الحملات العسكرية ضده وخاصة في الفترة ما بين ١٨٨٤ - ١٨٨٦ حتى تمكنت في النهاية في التخلص منه وقتل لات ديور عام ١٨٨٦ بالقرب من آبار دياجليه Dyaglé (٤٠٩) .

لقد درات معارك عنيفة بين لات ديور والفرنسيين ولكل منهم دوافعه الخاصة بالإدارة الفرنسية في السنغال ترى ضرورة مد الخطوط الحديدية من أجل إنعاش تجارة الفول السوداني ، أما لات ديور فقد أيقن بأن مد الخط الحديدي داخل الأراضي التابعة له سيتبعه

Forde, D. : op. cit., p. 273.

(٤٠٨)

Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 79.

(٤٠٩)

إنشاء المراكز الفرنسية العسكرية ولذلك حاول أيضا من جانبه بالإضافة إلى تدميره الخطوط الحديدية . عمل على وقف نشاط تجارة الفول السوداني فدمر مزارعه وعمل على منع زراعته ليمنع توافد الأوربيين على بلاده . ولكنه أغفل أن التوسع الفرنسى فى كايور إنما هو جزء من خطة عامة رسمتها الإدارة الفرنسية للتوسع العسكرى فى غرب أفريقيا كله ^(٤١٠) .

وجدير بالذكر أن مقتل لات ديور لم يحل السلام فى المنطقة ، وذلك نتيجة لظهور على بورى ^(٤١١) زعيم الولوف الذى اتخذ من يانج يانج Yang Yang عاصمة له منذ عام ١٨٧٥ ، وأعلن نفسه ملكا على الولوف ، وعندما تزايد عدد أتباعه كون دولة من الولوف وبدأ فى إثارة الاضطرابات للفرنسيين فى كايور فحارب سامبا ملك كايور وحليف الفرنسيين ونجح فى إلحاق الهزيمة به فى جيليه Gilé ، وقد تخوف الفرنسيون من تزايد قوته فأرادوا أن يأمنوا جانبه ولذلك سارعوا بعقد معاهدة معه فى عام ١٨٨٩ حيث قبل الحماية الفرنسية على أراضيه ، ووافق على إنشاء خط حديدى ^(٤١٢) . ولكن بتزايد النفوذ العسكرى الفرنسى فى المنطقة تحالف على بورى مع أحمدو شيخو زعيم التكرور واشترك معه فى محاربة القوات الفرنسية ، ولكن فى عام ١٨٩٠ استطاع القائد الفرنسى دودز Dodds أن يستولى على عاصمة على بورى ففر إلى التكرور وأقام فترة لدى أحمدو شيخو حتى إستيلاء الفرنسيين على أراضى التكرور ففر بدوره إلى سوكوتو . وقد حاول على بورى إنشاء مملكة فى داهومى فى الأراضى الداخلية منها ، ولكن الفرنسيين ألغوا القبض عليه فى دوجند وتشى Dogondoutchi الواقعة على بعد ثلاثة كيلومترات من دجلوف Djolof حيث تم قتله ^(٤١٣) .

وهكذا واجه الفرنسيون الاضطرابات فى منطقة كايور حتى أواخر القرن التاسع عشر ، واستغرقوا فترة طويلة حتى تمكنوا من تدعيم سيطرتهم عليها ، ولكن كان عليهم أيضا تدعيم السيطرة الفرنسية على منطقة سنغمبيا حيث نشط محمدو لامين زعيم الساراكولى .

Forde, D. : op. cit., p. 274.

(٤١٠)

(٤١١) ولد على بورى عام ١٨٤٢ وتلقى تعليمه فى كايور وقد عمل مع قوات مابا فى المنطقة وحارب معه ضد الفرنسيين .

Zerbo, J. : op. cit., p. 419.

(٤١٢)

Ibid., p. 421.

(٤١٣)

(ب) محمدو لامين فى سنغيبيا :

ظهرت حركة محمدو لامين فى منطقة سنغيبيا Senegambia فى الفترة التى أعقبت مؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥ ، أى فى الفترة التى بدأت فيها فرنسا فى تدعيم سيطرتها على غرب أفريقيا بواسطة القوى العسكرية . وكان هدف لامين من حركته ، هو تكوين إمبراطورية من الساراكولى على غرار إمبراطورية التكرور التى أسسها الحاج عمر^(٤١١) وقد امتدت دولة لامين فى منطقة سنغيبيا وشملت كل من بامبوك ، وبوندو ، وجوى Guoy وخاسو ، كما شملت إمارات ديافونو Diafounou وجويد يمكه Guidimaka^(٤١٢) الواقعة بالقرب من كارتته^(٤١٣) .

تلقى لامين تعليماً دينياً ، فقد كان والده يعمل قاضياً فى جوندوروبو Goundiourou مسقط رأسه ، وكانت من أهم المراكز الدينية التى كثر فيها عدد المرابطين ، ونظراً لأهميتها توافد عليها عدد كبير من رجال الدين حتى اعتبرت مدينة مقدسة ولها هبة خاصة بالنسبة للساراكولى . وقد تلقى لامين تعليمه على يد والده ثم تعلم بعد ذلك فى عدة مراكز أخرى فى كل من سنغيبيا وفوتا تورو^(٤١٤) .

وفيما بين عامى ١٨٦٨ و ١٨٦٩ أدى لامين فريضة الحج ثم عاد إلى بلاده وأثناء عودته وقع أسيراً فى يد قوات أحمدو شيخو زعيم التكرور فمكث لديه حوالى سبع سنوات ١٨٧٨ - ١٨٨٥ مما كان له أثر بعد ذلك فى توتر العلاقة بين الطرفين^(٤١٥) .

وعندما عاد لامين إلى بلاده ، صم على تكوين إمبراطورية من الساراكولى فحل محل إمبراطورية التكرور . وكان معنى هذا أن لامين عليه مواجهة كل من التكرور والفرنسيين^(٤١٦) .

أما بالنسبة للفرنسيين فكان لابد من اصطدام لامين معهم وخاصة وأن فرنسا بدأت فى توسيع نفوذها مدعمة بالحملات العسكرية ولكن حتى عام ١٨٨٥ لم يحدث صدام بين

Zerbo, J. : op. cit., p. 418.

(٤١٤)

(٤١٥) انظر شكل (٨) .

Crowder, M. : op. cit., Resistance, P. 80.

(٤١٦)

Ibid., P. 84.

(٤١٧)

Zerbo, J. : op. cit., p. 418.

(٤١٨)

Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 71.

(٤١٩)

الطرفين وإنما كل ما حدث بعض المناوشات التي سرعان ما كانت تنتهى . ففى عام ١٨٨٠ ثار الساراكولى فى قرية جوتيوييل Goutiouble وهاجموا بعثة طبوغرافية فرنسية بقيادة سيلنفست Saillenfest (٤٢٠) .

ولكن منذ ١٨٨٥ بدأ الصدام الحقيقى بين لامين والفرنسيين فقد بدأ لامين فى مراسلة المدن المجاورة وأعلن عن برنامجه الذى تلخص فى النقاط التالية :

- ١ - إعلان الجهاد والحرب المقدسة .
- ٢ - تطوير الجيش وتزويده بأحدث الأسلحة .
- ٣ - تحسين علاقته مع جيرانه ، وخاصة حكم فوتا تورو وبوندو الذى دعاهم لامين إلى الدخول فى طاعته (٤٢١) .

وفى عام ١٨٨٦ أعلن لامين نفسه مهديا فى سينيدوبو الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الفالىمى بالقرب من ميدين ، وأعلن عن تصميمه لإعادة مجد الإسلام إلى المنطقة (٤٢٢) وسرعان ما أعلن لامين ضمه لكل من ديافونو ، وكارته ، وبوندو ، وجويد يمكنه ، وقد قبلت هذه المناطق الدخول فى طاعته وخاصة بعد أن أشاع بأن أحمدو شيخو ينوى مهاجمتها (٤٢٣) . كذلك أرسل ابنه إلى جورى Gouri عاصمة ديافونو التابعة لأحمدو ، حيث أعلن نفسه زعيما على المنطقة محرضا السكان على الثورة ضد أحمدو والفرنسيين (٤٢٤) .

بدأ عداء لامين مع الفرنسيين فى عام ١٨٨٦ عندما حاصر الحصن الفرنسى فى باقل ، واستولى على القرى المحيطة به كذلك استولى على جوى ، فهدد بذلك الوجود الفرنسى فى سنغيبيا ، ولذلك بدأ الصراع بين الطرفين لمنع لامين من التوغل فى المنطقة وإيقاف أطماعه التوسعية (٤٢٥) . فقد شعر الفرنسيون بتحدى لامين لهم عند حصاره لباقل فقد دخل

Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 84.

Ibid., p. 88.

Hanotaux G. : op. cit., Tome IV, p. 182.

Oloruntimehin, B. : The Segu tukolor empire (London 1972) p. 273.

Meniaud, Jacques : Les Plonniers du Soudan. (Paris 1931) Tome I, p. 280.

Deschamps, H. : op. cit., Tome IV, p. 71

(٤٢٠)

(٤٢١)

(٤٢٢)

(٤٢٣)

(٤٢٤)

(٤٢٥)

بقواته الحصن ، ودارت عدة معارك بينه وبين السكان فى الطرقات إلا أنه اضطر إلى التراجع بعد وصول الفرق الفرنسية إلى الحصن^(٤٣٦) .

ويذكرنا حصار محمدو لامين لحصن باقل بذلك الحصار الذى فرضه من قبل الحاج عمر على حصن ميدين وبذلك نرى أن القوى الوطنية لجأت إلى أسلوب محاصرة الحصون الفرنسية فى المنطقة كنوع من رد الفعل على التغلغل الفرنسى فى المنطقة .

كذلك حاول لامين قطع طريق المواصلات بين باقل وكايس لمنع وصول الامدادات الفرنسية إلى الحصن ، ولكنه فشل ، لأن الملازم فرى Frey وصل إلى باقل وبدأ فى شن سلسلة من الهجمات ضد قوات لامين^(٤٣٧) .

ثم بدأت مواجهة أخرى عنيفة بين لامين والفرنسيين فى ١٤ مارس ١٨٨٦ ، أمام Koungei الواقعة بالقرب من باقل وكانت القوات الفرنسية بزعامه كل من الكابتن جولى Jolly والملازم لآتى Laty وتومانيه Toumané وقد لجأ لامين إلى قطع المواصلات بين باقل وماتام وصول أية نجدات للفرنسيين كما أنه فاجأهم بالهجوم عليهم لمنعهم من استخدام المدافع التى كانت فى حوزتهم ولجأ رجاله إلى استخدام السهام المسمومة ونجح لامين فى إلحاق الهزيمة بالفرنسيين فى جوندورو وأدى انتصاره عليهم إلى ارتفاع مكانته فتوافد عليه الأنصار لمبايعته والانضمام إلى قواته وسرت الحماسة فى صفوف الساراكولى وزاد من حرج موقف الفرنسيين أنه فى الوقت الذى قطع عليهم لامين وسائل المواصلات كان من الصعب عليهم إرسال أى قوات من سانت لويس وذلك لانخفاض مستوى المياه فى نهر السنغال وصعوبة إبحار السفن فيه فى ذلك الوقت من العام^(٤٣٨) .

ثم توجه لامين إلى باقل للمرة الثانية وبدأ فى حصارها واضطر فرى إلى تأجيل عملياته العسكرية فى المنطقة والتركيز على إتقاذ حصن باقل من الوقوع فى يد الساراكولى وخاصة بعد فرار عدد كبير من السكان وانضمامهم إلى لامين الذى اتخذ من ديافوتو وجويد يمكة

Zerbo, J. : op. cit., p. 418.

(٤٣٦)

Crowder, M. : op. cit., Colonial, pp. 79 – 80.

(٤٣٧)

Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 100.

(٤٣٨)

قاعدة للمجوم على القوات الفرنسية ولذلك قام فرى بمهاجمة جويديمكة وإحراقها ، فرد عليه لامين بإحراق المركز الفرنسى فى سيندويو ، وقتل حاكمها المعين من قبل الفرنسيين عمر باندا (٤٢٩) .

اتجه لامين بعد ذلك إلى أعالي غمبيا ، وأسس حصن فى ديانا Diana الواقعة على بعد مائتى كم من السنغال ، ثم بدأ فى محاربة السريير لإجبارهم على الدخول فى الإسلام (٤٣٠) .

حقق لامين انتصارات فى سنغمبيا ، وخشى الفرنسيون من قوته وأخذوا يحصنون حامياتهم العسكرية ومراكزهم على طول نهر السنغال وتدهور الموقف العسكرى بالنسبة للفرنسيين ، حتى تم تعيين جاللين قائداً أعلى للسودان الفرنسى فى ١٥ نوفمبر ١٨٨٦ بدلا من فرى وأراد جاللين أن يأمن جانب كل من سامورى زعيم الماندنغو كذلك أحمدو زعيم التكرور وذلك قبل إقدامه على محاربة لامين فقد خشى أن يقدم المساعدة له ، فمقد معاهدة مع سامورى لكى يأمن ظهر قواته أثناء تقدمه فى سنغمبيا ، وحتى لا يتعرض لآى هجوم مباغت من أعالي النيجر ، كذلك اتفق مع أحمدو شيخو على أن يتعاونوا ضد لامين عدوهم المشترك (٤٣١) ولذلك ركز أحمدو شيخو حملاته فى كل من ديافونو وجويديمكة التى تركز فيها سويبو Soybou ابن محمدو لامين ، واستمر الاشتباك بين قوات التكرور والساراكولى حوالى ستة أشهر وفى ٧ ابريل ١٨٨٧ تمكن أحمدو من إلحاق الهزيمة بقوات الساراكولى فى جورى ، ولكن القوات الرئيسية كانت مع لامين فى ديانا فحاول سويبو اللحاق بفرق أبيه ، وأثناء عبوره نهر السنغال تمكن الملازم ريشميرج Reichemberg من إلقاء القبض عليه فى قرية Diokokoi القريبة من معسكر جاللين فى ارونندو Aroundou (٤٣٢) حيث تم إعدامه رمياً بالرصاص بينما ظل لامين فى أعالي غمبيا مسيطراً على ضفاف الفاليمى وبامبوك (٤٣٣) .

Ibid., p. 101.

(٤٢٩)

Zerbo, J. : op. cit., p. 419.

(٤٣٠)

Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 102.

(٤٣١)

Ibid., p. 103.

(٤٣٢)

Deschamps, H. : op. cit., Tome I, pp. 280 – 285.

(٤٣٣)

وجه جاللين حملتين للقضاء على لامين تحركت الأولى من أروند وصوب ديانا ،
والثانية تحركت من ديامو Diamou بقيادة فالير على أن تلتقى الحملتان في ديانا .
وجدير بالذكر أن الطريق إلى ديانا كان صعبا وشاقا فقد سارت الحملتان في بلاد مجهولة
بالنسبة للفرنسيين ، تغطيها الأشجار الكثيفة التي منعت الرؤية على بعد أمتار قليلة كما أن
الطرق لم تكن معبدة حتى القرى القليلة التي صادفها الفرنسيون أثناء زحفهم هجرت تماما .
وقد حاول لامين مهاجمة كل فرقة على حدة ، فهزم في شرق ديانا في سرونديان
Saroundian ثم جمع جالليني قواته متجها إلى ديانا فوجد لامين قد هجرها إلى
غمبيا (٤٢٤) .

ولعل أهم النتائج التي أسفرت عنها حملة جالليني هو إرسال حملتين للتعرف على
البلاد جغرافياً واقتصادياً ، ولتوقيع المعاهدات مع الزعماء المحليين كما أرسل البعثات
العديدة للتعرف على سكان المنطقة والبلاد المحيطة بها بعثة الكابتن فورتن Fortin التي
اتجهت إلى نييري وبوندو وبعثة الكابتن اوبردورف Oberdorf إلى دينجويري في أعالي
النيجر ، كما أرسلت بعثة إلى بامبوك لرسم خرائط مفصلة للمنطقة (٤٢٥) .

بعد فرار لامين إلى غمبيا استولى جالليني على نياني Niani وسندوجو Sandougou
ثم عاد إلى كايس وكلف الكابتن فورتن بالقضاء على لامين وطوال فصل شتاء ١٨٨٧ ، كان
الكابتن فورتن يقوم بالعديد من العمليات العسكرية عند نهر بانى جنوب باقل ضد قوات
لامين الذى لجأ إلى ملك فردو Firdou طالبا منه الحماية ، ولكن الملك خشى عقاب
الفرنسيين وانتقامهم فأسرع بقتله في ١٠ ديسمبر ١٨٨٧ في جنوب نياني وأحضر رأسه إلى
فورتن وكان لمقتله أصداء واسعة في المنطقة ، فأسرعت الأقاليم الواقعة في حوض غمبيا بين
بوندو وريب لقبول الحماية الفرنسية (٤٢٦) .

ويموت لامين انتهت المقاومة العنيفة التي واجهت الفرنسيين في السنغال مما أتاح لهم
فرصة العمل بشيء من الهدوء النسبي في تقوية مراكزهم ، وإعادة تنظيم مواصلاتهم كما
يلاحظ أن جالليني اتبع أسلوب التغلب على الزعماء المحليين منفردين والحيولة دون

Meniaud, J. : op. cit., Tome I, pp. 280 – 285.

(٤٢٤)

Ibid., p. 285.

(٤٢٥)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 182.

(٤٢٦)

تكتلهم ، ولذلك فقد أسرع بعقد معاهدة مع أحمدو شيخو ، ولكن لم يكن ذلك يعنى أن الفرنسيين تخلو عن عدائهم له أو أنهم سيتركونه وشأنه ، وإنما كانوا فى حاجة إليه للتخلص من خطر محمدو لامين أولا ثم التخلص منه بعد ذلك .

من العرض السابق نلاحظ أن السنغال كانت من أهم المستعمرات الفرنسية فى غرب أفريقيا فهى المستعمرة الأم الرئيسية ، وقد تطورت فيها السياسة الفرنسية ، ففى البداية عملت فرنسا على مهادة القوى الوطنية مع حرصها فى الوقت نفسه على تطوير المنطقة ولكن دون الإقدام على احتلالها أو غزوها . ولكن بمجىء فيدهرب تغيرت هذه السياسة كلية ، فقد استخدم القوة العسكرية ضد معارضيه وأرسى دعائم التوسع العسكرى الفرنسى فى المنطقة . بعد رحيله عانت المستعمرة من الاضطرابات وخاصة بعد هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية ، ولكن سرعان ما استعاد الفرنسيون نشاطهم مرة أخرى فى المنطقة متخذين من السنغال قاعدة للتوسع نحو المناطق الداخلية ، واستتبع ذلك تدعيم سيطرتهم على السنغال بالقضاء على المقاومة الوطنية فيها والتى تمثلت فى لات ديور فى كايور ، ومحمدو لامين زعيم الساراكولى .

الفصل الثالث

غينيا الفرنسية والسودان الفرنسى

أولا - غينيا الفرنسية

ثانيا - السودان الفرنسى

أولا - غينيا الفرنسية :

١ - غينيا الفرنسية قبل الحرب السبعينية :

تحتل غينيا الفرنسية موقعاً خطيراً ، فهي فى الانحناء الجنوبى الغربى لمنطقة أفريقيا الغربية ، ومحطة هامة بين جنوبى أفريقيا وأفريقيا الغربية ويحدها شرقا ساحل العاج وشمالا السنغال وغينيا البرتغالية وجنوبا ليبيريا وسيراليون وتطل من ناحية الغرب على المحيط الأطلنطى^(٤٣٧) . وتعتبر غينيا أكثر المستعمرات الفرنسية كثافة ، وتمتاز بسواحلها المغمورة وكثرة الخلجان ومرتفعاتها الداخلية حيث هضبة فوتا جالون الغريزة الأمطار التى تلائم ظروفها سكن غير الإفريقيين^(٤٣٨) .

وجدير بالذكر أن اسم غينيا أطلق على المستعمرة فى أواخر القرن التاسع عشر ، وقد أنصب اهتمام الفرنسيين على المنطقة الساحلية التى عرفت باسم أنهار الجنوب ، كذلك على المنطقة الداخلية فى فوتا جالون ، ولكن سرعان ما دعمت فرنسا سيطرتها على المنطقة ودمجت المناطق الداخلية والساحلية ومدت حدود المستعمرة حتى شملت أجزاء من السودان الفرنسى وأودية النيجر^(٤٣٩) .

ومنذ القرن الثامن عشر كون المسلمون فى المنطقة حكومات إسلامية ، وخاصة فى المناطق الداخلية فى فوتا جالون ، وقسموها إلى عدة دول أو أقاليم يحكم كلا منها حاكم يلقب الفا Alfa ولذلك تبع انتشار النفوذ الفرنسى فى المنطقة ضرورة اصطدام مع القوى الوطنية الإسلامية^(٤٤٠) وقد شكلت المنطقة أهمية كبيرة من الناحية التجارية ولذلك سعت فرنسا لإقامة امبراطورية تجارية مزدهرة فى المناطق الداخلية وخاصة فى تمبو عاصمة فوتا

(٤٣٧) أحمد ، شلبى : المرجع السابق ج ٦ ، ص ٥٤ .

(٤٣٨) جمال الدين ، الناصورى : المرجع السابق ج ٢ ، ص ٣٥٨ .

Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 94.

(٤٣٩)

Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 62.

(٤٤٠)

جالون ، كما سعت أيضا لتدعيم سيطرتها على المناطق الساحلية وخاصة فى منطقة أنهار الجنوب ، وقد حققت المنطقتان أنهار الجنوب على الساحل وفوتا جالون فى الداخل اتصالا سهلا ومباشرا بمنطقة أعالي النيجر التى تطلع الفرنسيون إلى الوصول إليها ^(٤٤١) .

ويلاحظ أن الاهتمام بالنشاط التجارى لغينيا لم يصاحب فترة الإستعمار فقط ، وإنما يرجع إلى أوائل القرن التاسع عشر ففى عام ١٨١٨ رحل موليان Mollelin من سانت لويس وزار كلا من دمبور ، وفرلو ، ودامجا ثم اتجه نحو فوتا جالون حيث اكتشف منابع نهر غمبيا ، وأعلن أن النيجر والسنگال وغمبيا لهم منابع منفصلة بعضها عن الآخر . كما نجح موليان فى الوصول إلى تمبو واتجه شمالا إلى منطقة بيساو ^(٤٤٢) .

وفى عام ١٨٢٧ عبر الرحالة الشهير رينيه كاييه المنطقة ، وفى عام ١٨٥٠ وصل هيكار إلى منابع كل من نهر ريوجراند ^(٤٤٣) والفاليمى ^(٤٤٤) ، ولم تكن الرحلات والزيارات للمنطقة هى المظهر الوحيد لاهتمام الفرنسيين لها فمنذ عام ١٨٢٧ وحكام السنغال يحرصون على تنمية موارد المنطقة الزراعية والتجارية ولذلك اهتم روجيه بالوصول إلى جزيرة ديوجنيه Diogné فى مصب الكازامانس ، وفى عام ١٨٢٩ نجح التاجر الفرنسى بلانشار Blanchard فى إنشاء وكالة فرنسية فى منطقة كانت Cagnat رغم اعتراض التجار البرتغاليين الذين أرادوا توسيع دائرة نفوذهم من منطقة بيساو وزنجيشور Zinguichor . وفى عام ١٨٣٦ أصدر الحاكم بيجول Pujoi أمرا إلى القائد البحرى فى جوريه مالاڤو Malavoix بإنشاء مركز فى كارابن Carabane ثم أسس ملاڤو مركزين جديدين فى عام ١٨٣٧ فى كل من سيدهد Sedhiou وديمبرنج Diambéring جنوب كارابن وأخذت فرنسا تسعى لتدعيم نفوذها فى منطقة أنهار الجنوب ^(٤٤٥) وفى أغسطس ١٨٣٩ وقعت فرنسا معاهدة مع زعماء لاندومون Landoumans بمقتضاها أصبح للتجار الفرنسيين الحق فى التجارة فى منطقة ريونونيه ، وفى عام ١٨٤٠ تم إنشاء ثلاث وكالات تجارية فرنسية ، ووقع الملازم البحرى دى كرهاليه De Kerhallet معاهدة أكدت النفوذ الفرنسى فى المنطقة ، ثم عملت فرنسا كذلك على

Forstner, K. : op. cit., p. 151.

Guernier, E. : op. cit., Tome, p. 68.

(٤٤١)

(٤٤٢)

(٤٤٣) انظر شكل (٧) .

(٤٤٤) انظر شكل (٥) - (٧) - (٨) .

(٤٤٥)

Hanotiaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 259.

توسيع نفوذها في منطقة الميلاكوري ، ففي عام ١٨ أبريل ١٨٤٥ ، وقع الملازم البحري لافون دي لاديه Laffon De Ladebat معاهدة لمد النفوذ الفرنسي في الميلاكوري ، كما وقع اتفاقا مع الزعيم موري لاي Mouri Laye سنة ١٨٤٥ أصبح بمقتضاه لفرنسا الحق في التجارة واحتكار منطقة وادي الميلاكوري ، كما وجه لافون حملة ضد قبائل بجا Baga لتهديدهم التجار الفرنسيين في ريونونيه ، وإثارة المتاعب أمامهم ، وأخيرا وقع معهم معاهدة في ٢٧ مايو ١٨٤٥ للحد من اعتداءاتهم على التجارة الفرنسية . وقد امتدت السيطرة الفرنسية إلى منطقة أخرى ذات أهمية وهي منطقة بوكي ، فوقع الملازم البحري دوكرية دي فيلونوف Ducrest De Villeneuve مع زعماء المنطقة معاهدة تجارية ، ولكن زعماء المنطقة رفضوا التخلي عن تجارة الرقيق فتم إحراق المنطقة ، وأجبر هؤلاء الزعماء على توقيع اتفاق في ١٨ يوليو ١٨٤٨ لتنظيم التجارة بين الطرفين ^(٤٤٦) .

ولما كانت منطقة أنهار الجنوب تمثل أهمية كبيرة لموقعها وتجارها ، فقد أقام التجار الفرنسيون عدة مراكز لهم في كل من ريوكاسيني Rio Cassini ونونيه وبونجو وميلاكوري واسكاليا ، ولكن كان من المتعذر على الوطنيين قبول إنشاء مراكز فرنسية أو وكالات في أراضيهم ، ولذلك فإنهم سرعان ما كانوا يدمرونها بين حين وآخر رغم المعاهدات التي عقدها مع الفرنسيين ^(٤٤٧) .

وجدير بالذكر أن منطقة أنهار الجنوب كانت محط أنظار البريطانيين أيضا منذ أوائل القرن التاسع عشر ، وقد عقد التجار البريطانيون بالفعل عدة معاهدات مع الزعماء الوطنيين في المنطقة فمقدت عدة معاهدات في الفترة ما بين ١٨٤٢ - ١٨٤٥ إلا أن الحكومة البريطانية لم توجه خلال هذه الفترة اهتمامها بالمنطقة ^(٤٤٨) وقد خشيت السلطات الفرنسية في السنغال من تزايد النفوذ البريطاني فحصلت في عام ١٨٤٦ على موافقة من ملك لاندومون بإقامة مراكز فرنسية في بوكي ، ثم حصل الفرنسيون بعد ذلك بعشر سنوات على حق بناء الوكالات التجارية والمصانع في بونجو ^(٤٤٩) .

Ibid., p. 260.

(٤٤٦)

Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 61.

(٤٤٧)

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, P. 129.

(٤٤٨)

Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 61.

(٤٤٩)

وكان تعيين فيدهرب حاكماً في السنغال خطوة هامة في تقدم النفوذ الفرنسي ، فقد أولى المنطقة اهتمامه ، وقام بزيارة لنونيه لتفقد المصالح الفرنسية فيها ، وأسس عام ١٨٦٠ حصناً فرنسياً في نونيه ، كما وضع مندوباً فرنسياً في بونجو ، وكان هدف فيدهرب من خلال هذه الزيارات أن يوفر مزيداً من الحماية للتجار الفرنسيين ، كما حاول فيدهرب التطلع إلى المناطق الداخلية ومد النفوذ الفرنسي فيها وخاصة في فوتا جالون ، فأرسل عام ١٨٦٠ لامبير Lambert إلى فوتا جالون لاستطلاع الموقف فيها ولكن وزير المستعمرات لم يسمح لفيدهرب باتخاذ أى خطوات فعالة نحو المنطقة إلا بعد عام ١٨٦٣ ، وكان لضغط التجار الفرنسيين على الحكومة الفرنسية أثر كبير في توجيه أنظار الحكومة إلى المنطقة وقد دعا هؤلاء التجار الحكومة لفرض حمايتها على الساحل ، ولكن كان اهتمام الحكومة في ذلك الوقت منصبا على تأمين السنغال ، وإعادة تنظيم الأراضي الجديدة التي ضمت إليها وعدم التوسع في ضم مزيد من الأراضي^(٤٥٠) .

وبتعيين بنيه لابراد في السنغال تطورت الأوضاع في المنطقة ويطلق عليه المؤسس الحقيقي لأنهار الجنوب فقد استولى عام ١٨٦٥ على هضبة بوكي وقرية دومنجيا Dominghia في بونجو ، وأعلن الحماية الفرنسية على بنتي بعد موافقة ملكها ماليجي Maligui وأسس مركزاً فرنسياً فيها ، وكانت تقع بالقرب من حدود فريتاون^(٤٥١) وكانت سياسة لابراد تهدف إلى تدعيم السيطرة الفرنسية في منطقة أنهار الجنوب والامتداد نحو فوتا جالون في الداخل ، وقد نجحت هذه السياسة في فصل منطقة غينيا ومنع بريطانيا من ربط مستعمرتها سيراليون الواقعة جنوباً بمستعمرتها في الشمال غينيا^(٤٥٢) .

أدى نشوب الحرب الأهلية في منطقة أنهار الجنوب إلى تعطيل مصالح التجار الفرنسيين ، فقد نشبت الحرب بين كل من ماليجي وابن عمه بوكاري Bokkari وكانت منطقة الميلاكوري منطقة تنافس بين كل من التجار الفرنسيين والبريطانيين ، ولما كان هؤلاء التجار يميلون إلى تأييد ماليجي لأنه كان أكثر استعداداً للتعاون معهم . فقد أمدوه بالأسلحة ضد غريمه بوكاري ، ولكنهم عندما أدركوا أن الحرب الأهلية لن تنتهي في

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 129.

Ibid., p. 130.

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 261.

(٤٥٠)

(٤٥١)

(٤٥٢)

المنطقة وتدهورت التجارة تدهوراً كبيراً وخطيراً اضطر هؤلاء التجار إلى اللجوء إلى حكوماتهم لوضع حد للاضطرابات ^(٤٥٦) .

وكان حاكم سيراليون فى ذلك الوقت تشمبرلين Chamberlayne الذى أدرك أن حكومته لن توافق على القيام بحملة فى المنطقة ، ولذلك أرسل سفينة حربية لمراقبة مصالح التجار البريطانيين ثم طلب من حكومته من إدارة المستعمرات التدخل لحماية البريطانيين مذكراً إياهم بالمعاهدات التى عقدها بريطانيا من قبل مع الزعماء المحليين ، كما طالب بتعيين مندوب بريطانى فى المنطقة ولكن إدارة المستعمرات لم تهتم بتقرير تشمبرلين . أما التجار الفرنسيون فقد أرسلوا فى طلب المعونة من حكومتهم ، وقام القائد البحرى لافون دى لاديه بزيارة منطقة أنهار الجنوب وكتب تقريراً عن المنطقة وطالب بتحييدها ^(٤٥٤) .

أما موقف لابراد من الحرب الأهلية التى نشبت فى المنطقة ، فقد أراد إظهار القوة الفرنسية ، وخاصة فى منطقة أنهار فوريكاريا فوق معاهدة مع ماليجى عام ١٨٦٦ قبل فيها الأخير الحماية الفرنسية ، وكانت هذه المعاهدة تأكيداً لنفوذ فرنسا ، ولكن الحروب الأهلية لم تتوقف فى المنطقة وما لبث أن قتل ماليجى وتولى أخاه الحكم بعده ، ولكنه كان ضعيفاً ولم يكن بنفس قوة ماليجى ولذلك فضلت فرنسا التفاوض مع حاكم أقوى ، فاتجهت إلى غريم ماليجى السابق بوكارى ووقعت معه معاهدة فى سنة ١٨٦٦ اعترفت فيها بالنفوذ الفرنسى وفى فبراير ١٨٦٧ تم بناء حصن عسكرى فى المنطقة ^(٤٥٥) .

ولكن على الرغم من الجهود التى بذلها التجار الفرنسيون فى منطقة أنهار الجنوب ، كذلك جهود حكام السنغال وخاصة لابراد إلا أن وزارة البحرية الفرنسية اعتبرت أن منطقة غمبيا لها أولوية وأهمية أكثر من منطقة أنهار الجنوب وذلك لمتاخمتها للسنغال ولذلك كانت المعاهدات التى وقعتها الضباط البحريون فى المنطقة بدافع من الفيرة الوطنية وتأكيداً للنفوذ الفرنسى وإبعاداً للنفوذ البريطانى ولكنها لم تلق حماساً كبيراً من قبل الحكومة الفرنسية ^(٤٥٦) .

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, pp. 130 – 132.

(٤٥٣)

Ibid., p. 135.

(٤٥٤)

Hagreaves, J. : op. cit., France, p. 177.

(٤٥٥)

Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 94.

(٤٥٦)

٢ - تطور السياسة الفرنسية فى المنطقة :

شهدت منطقة أنهار الجنوب وفوتا جالون صراعاً عنيفاً بين القوتين الفرنسية والبريطانية فى أعقاب الحرب السبعينية ، وكان تعيين برير دى ليل حاكماً فى السنغال ١٨٧٦ بداية مرحلة جديدة لسياسة فرنسا فى المنطقة ، كذلك كان تعيين صموئيل روى ١٨٧٦ حاكماً فى سيراليون معناه التنافس بين القوتين .

فقد سعى روى لمد النفوذ البريطانى شمالاً نحو بونجو فى الوقت الذى أخذ فيه دى ليل فى التوسع جنوباً^(٤٥٧) وقد وقع دى ليل فى ١٥ فبراير ١٨٧٦ معاهدة مع ملك ريوبونجو جون كوتى John Cotty اعترف فيها بحماية فرنسا على أراضيه فى مقابل دفع مبلغ سنوى له وهو ٥٠٠ فرنك ، وقد حاول حاكم سيراليون إغراءه بعدم توقيع هذه المعاهدة وتوقيع معاهدة مع إنجلترا ، ولكن جون كوتى رفض وقد أسرع القائد الفرنسى فى جوريه لإثبات حقوق فرنسا فى ريوبونجو . فأنشأ مركزاً فى بوبا ، وبذلك أصبح للفرنسيين ثلاث مراكز مراكزان تم إنشاؤهما من قبل فى بوكى ، (ريو نويه) وينتى (الميلاكورى) وأخيراً بوبا فى ريوبونجو^(٤٥٨)

وكانت خطة روى تطويق النفوذ الفرنسى فى المنطقة وجمع شمل المناطق الداخلية فى كل من غمبيا وسيراليون فى وحدة واحدة . ولذلك مثل النشاط الفرنسى تهديداً خطيراً لخطته ، كما مهدد أيضاً مستعمرة سيراليون ، وخاصة المناطق الداخلية وحال دون امتداد المستعمرة ، ولذلك أرسل بعثة بقيادة جولد سبورى كان هدفها توقيع المعاهدات مع الزعماء المحليين وكانت البعثة لها أغراض سياسية وجغرافية ، وقد وضع جولد سبورى تقريراً بأن المنطقة لا تصلح للتجارة ، كما فشل فى الوصول إلى الفاليبى Falaba وذكر بأن تجارة فوتا جالون محدودة ، ولا جدوى من إنفاق الأموال لتنميتها ، ولكن كان أهم نتائج حققها جولد سبورى من بعثته هو توقيع معاهدة صداقة مع إبراهيم سوري زعيم فوتا جالون فى مارس ١٨٨١^(٤٥٩) .

Gann, L., : op. cit., Vol. II, p. 145.

(٤٥٧)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 260.

(٤٥٨)

Fyee, C. : op. cit., p. 428.

(٤٥٩)

وقد حاول بعد ذلك حاكم سيراليون هافلوك Havelock فتح اتصالات مع تمبو في الداخل ولكن جهوده لم تكن ذات قيمة وذلك لأن الفرنسيين أسسوا في عام ١٨٨٣ حصناً في باماكو في أعالي النيجر لمراقبة المنطقة ولمد النشاط الفرنسي ، كما نجح الفرنسيون منذ عام ١٨٨٠ في توقيع عدة معاهدات مع الزعماء الوطنيين في المنطقة الساحلية الممتدة من ريويونجو حتى فوريكاريا . وفي عام ١٨٨١ تم الاتفاق بين الدولتين على تحديد الحدود فيما بينهما ، فأعطيت فرنسا الميلاكوري مع الساحل الشمالي لريو نونيه وجزيرة ماتاكونج ، أما انجلترا فحصلت على منطقة سكرسيس^(٤٦٠) .

وجدير بالذكر أنه إذا كان التجار البريطانيون قد لعبوا دوراً كبيراً في منطقة النيجر الأدنى لإقرار النفوذ البريطاني ، فإن بعض التجار الفرنسيين ساعدوا حكومتهم أيضاً في بسط حمايتها وسيطرتها على كثير من المناطق مثل جهود ريجي ووكالته في ساحل غينيا كذلك جهود دي سندرفال في منطقة فوتا جالون فقد استطاع اميه وليفيه باستريه دي سندرال Aimé Olivier Pastre De Sanderval وهو مهندس فرنسي أن يدعم سيطرته على منطقة فوتا جالون ، وخاصة بعد الحرب السبعينية ورغم أن جهوده في المنطقة كانت جهوداً شخصية نابعة من رغبته في تحقيق مجد شخصي إلا أننا لا نستطيع أن نفصل دوره الهام في تثبيت النفوذ الفرنسي . فقد عمل دي سندرفال على إقامة علاقات طيبة مع الزعماء الوطنيين في فوتا جالون ، واستطاع اثنان من عملائه اكتشاف منابع النيجر من فوتا جالون فقد أرسل مدير الوكالة فرمنك Verminck كلا من زويفل Zweifel وموستيه Moustier إلى فوتا جالون ونجحا في الوصول إلى قرية فوريا Foria حيث اكتشفا المنبع الرئيسي لنهر تمبيكو Tembiko ، وهو من روافد النيجر الرئيسية . وفي عام ١٨٧٩ وقعت معاهدة مع زعماء منطقة سامو لإقرار النفوذ الفرنسي في الأراضي القريبة من النيجر وفي عام ١٨٨٠ حصل دي سندرفال على حقوق في جزيرة تمبو فاقر النفوذ الفرنسي في دوبركا Dubréka وقد تبع ذلك تأسيس ميناء كوناكري ، كما حصل دي سندرفال أيضاً على موافقة أئمة فوتا جالون على مد خط حديدي من فوتا جالون حتى الساحل . وقد لقبه سكان المنطقة بالملك وضرب النفوذ باسمه ، ويفضل جهوده منع امتداد النشاط البريطاني في فوتا جالون ، كما قدم الكثير من المساعدات للبعثات الفرنسية مثل بعثة الملازم بلات Plat التي أرسلت

عام ١٨٨٨ وبعثة ليفاسير Levasseur ، وساعد القوات الفرنسية فى حملاتها ضد الزعماء المعارضين لها . وعندما دعمت فرنسا سيطرتها فى فوتا جالون ، سلم حقوقه ومنشأته إلى الفرنسيين ثم رحل إلى فرنسا ^(٤٦١) .

وبعد عودته إلى فرنسا نشر كتابا عن فترة إقامته فى فوتا جالون ولقب بالكونت دى سندرغال ^(٤٦٢) .

وعندما وصل جالينى إلى السودان ، نادى بضرورة تدعيم النفوذ الفرنسى فى فوتا جالون ، وإقامة مواصلات مباشرة بين أعالي النيجر ومنطقة ميلاكورى ، وقد ساعد جالينى فى تحقيق مشاريعه تأييد إيتيان وكيل وزارة المستعمرات له ، وكانت منطقة فوتا جالون هى محط أنظار الفرنسيين خلال هذه الفترة ^(٤٦٣) وقد عهد إلى الدكتور بايول Bayol وهو طبيب فى البحرية الفرنسية بتدعيم السيطرة الفرنسية على فوتا جالون من أجل بناء امبراطورية تجارية فى تمبو ، وقد نجح بايول فى توقيع معاهدة مع إبراهيم سورى ١٨٨١ أصبح بمقتضاها النفوذ الفرنسى مدعما فى فوتا جالون ، وأستبعد إبراهيم النفوذ البريطانى من مناطق نفوذه وقد أعتضت كل من بريطانيا بهذه المعاهدة عام ١٨٨٢ وألمانيا عام ١٨٨٥ والبرتغال عام ١٨٨٦ . وقد شملت المعاهدة ١٢ مادة أصبحت بمقتضاها فوتا جالون تحت الحماية الفرنسية ، وأعطت المعاهدة الحق للتجار الفرنسيين بالتجارة فى المنطقة وقد أعطى الزعماء الوطنيون لفرنسا وثيقتين الأولى تشمل اعتراف أئمة فوتا جالون بحقوق فرنسا فى احتلال الأراضى الواقعة على الساحل ، والثيقة الثانية هى معاهدة الحماية من ١٢ مادة ، قصرت فيها فرنسا النشاط التجارى للسكان معها فقط ، وقد ألغى إبراهيم سورى اتفاقه مع السلطات البريطانية وأرسل رسالة بهذا المعنى إلى حاكم سيراليون . ولو تساءلنا عن سبب موافقة أئمة فوتا جالون على توقيع المعاهدة ، سنجد أنهم كانوا على خلاف مع التكرور ، وقد شعروا بالغيرة تجاههم نظراً لامتداد امبراطوريتهم كما شعروا بالخطر أيضا ، ولذلك أرادوا منافسة التوكولور فى سلطاتهم الدينية والسياسية فى المنطقة ، كذلك خشوا من تحالف الفرنسيين مع التوكولور وإتحادهم ضدهم ، ولذلك وافقوا على توقيع المعاهدة ولكن

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, pp. 261 – 262.

(٤٦١)

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude; P. 267.

(٤٦٢)

Forstner, K. : op. cit., P. 151.

(٤٦٣)

يلاحظ أن النص العربي للمعاهدة لم يتضمن بأنها معاهدة حماية وإنما تضمنت بأنها معاهدة صداقة بين الدولتين بينما النص الفرنسي ذكر فيه لفظ حماية واضحاً (٤٦٤) .

وللأسف لم يدرك هؤلاء الزعماء بأنهم كالمستجير من الرمضاء بالنار وكان أولى لهم التعاون مع التكرور المسلمين ضد الفرنسيين ولكن هذا الخطأ من جانبهم تكرر في كل منطقة من غرب أفريقيا ونلاحظه دائماً ، فنجد محمدو لامين رفض التعاون من التكرور كذلك سامورى رفض فى البداية التحالف معهم ، ولو أن القوة الإسلامية فى غرب أفريقيا اتحدت لربما غيرت الكثير من تاريخ المنطقة .

أما عن المعاهدة التى وقعها بايول مع إبراهيمي سورى فقد كتب عنها وعن زيارته لمنطقة فوتا جالون (٤٦٥) فكتب بإفاضة عن الأحوال السياسية والدينية فيها وعن نشاط المرابطين ، وكيفية انتشار الإسلام فى المنطقة (٤٦٦) .

وفى ٢٨ يونيو ١٨٨٢ تم توقيع اتفاق فرنسى بريطانى للاعتراف بنفوذ فرنسا فى ريو نوبيه وريو بونجو وكالوم وميلاكورى وفوتا جالون ، كما تم تحديد الممتلكات الفرنسية والبريطانية فى أنهار الجنوب وسيراليون ، وصدر مرسوم فى ١٢ أكتوبر ١٨٨٢ بتنظيم مستعمرة أنهار الجنوب ووضعها تحت إدارة ملازم حاكم هو الدكتور بايول (٤٦٧) كذلك ، وافقت ألمانيا على التخلي عن أطماعها فى منطقة أنهار الجنوب فى مقابل اعتراف فرنسا بنفوذها فى بورتو سيجورو وبتى بوبو اللتين أصبحتا فيما بعد ضمن مستعمرة توجو ، وذلك بموجب الاتفاق الفرنسى الألمانى الذى عقد فى ٢٤ ديسمبر عام ١٨٨٥ (٤٦٨) .

ويرجع سبب عقد هذا الاتفاق إلى أن التجار الألمان شعروا بالغيرة لتزايد النفوذ الفرنسى فى فوتا جالون ، فادعوا ملكية الأراضى الواقعة عند دوبريكا وبحيرة برمايا Bramaya وكالوم Kaloum وأرسلت الحكومة الألمانية الكابتن شيدن Scheiden لضم هذه الأراضى ،

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, PP. 268 – 269.

(٤٦٤)

(٤٦٥) ذكر بايول بأن كلمة فوتا جالون حسب الروايات الشعبية جاءت من اتحاد جماعة Jalonkas الوثنية مع النولة المسلمين الذين عملوا على نشر الإسلام فى المنطقة فنتج عن هذا الاتحاد تسمية المنطقة فوتا جالون .

Hagreaves, J. : op. cit., France, P. 112.

(٤٦٦)

Hanotaux, G. : op.cit., Tome IV, P. 264.

(٤٦٧)

Guernier, E. : op. cit., Tome I, P. 62.

(٤٦٨)

وكانت فرنسا قد وقعت عدة معاهدات مع زعماء المنطقة ولكنها لم توقع معاهدات حماية مع بعض المناطق مثل كبيتاي Kabitaye وكوبا Koba وكوريرا Korréra ، ولذلك ادعى التجار الألمان حقهم في هذه الجهات وأرسلت حملة لاحتلال كوريرا التي كانت تابعة لكالوم . ولكن بمقتضى الاتفاق الألماني الفرنسي تنازلت ألمانيا عن إدعاءاتها في المنطقة (٤٦٩) .

كذلك اعترفت البرتغال بالنفوذ الفرنسي في غينيا وتم عقد اتفاق في ١٢ مايو ١٨٨٦ في باريس تم فيه تحديد الحدود في غرب أفريقيا ، ونصت المادة الأولى على تحديد حدود غينيا والمادة الثانية اعتراف ملك البرتغال بالحماية الفرنسية على أراضى فوتا جالون ، وفق المعاهدة التي عقدتها فرنسا مع أئمة فوتا جالون عام ١٨٨١ ، كما تعهدت الحكومة الفرنسية من جانبها بعدم مد النفوذ الفرنسي في منطقة غينيا البرتغالية (٤٧٠) .

وبهذا الاعتراف أصبحت مستعمرة أنهار الجنوب معترفا بها رسميا ودوليا وبمقتضى مراسيم ١٦ يونيو ، ٤ أغسطس ١٨٨٦ أصبح حاكم أنهار الجنوب يتمتع بسلطات كبيرة ومنحته هذه المراسيم الحق في الإشراف على مستعمرة أنهار الجنوب ، بالإضافة إلى المنشآت الفرنسية في ساحل الذهب (ساحل العاج) وفي خليج بنين (داهومي) (٤٧١) .

وهكذا نلمس أن فرنسا دعمت سيطرتها على غينيا عن طريق المعاهدات التي عقدتها مع أئمة فوتا جالون وزعماء المناطق الساحلية وقد شكلت الأراضى الداخلية لغينيا جزءاً من امبراطورية أئمة فوتا جالون ، كذلك ضمت إليها فيما بعد أجزاء من أراضى سامورى (٤٧٢) .

ولكن على الرغم من هذه الاتفاقيات والمعاهدات إلا أن الوجود الفرنسي ظل غير منتظم ، وغير مستقر وذلك بسبب الثورات ضد الفرنسيين فحكّام المنطقة دأبوا على رفض معاهداتهم مع فرنسا مثل زعيم كالوم بالادмба Balla Damba الذى عقد معاهدة حماية مع

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, P. 262.

(٤٦٩)

Hertslet, Edward : The Map of Africa by Treaty London 1894, Vol. I, PP. 297 – 299 N°80.

(٤٧٠)

Hanotaux, G. : op. cit. Tome IV, P. 265.

(٤٧١)

Crowder, M. : op. cit., Colonial, P. 93.

(٤٧٢)

الفرنسيين ، ولكن سرعان ما أعلن رفضه لها عام ١٨٨٤^(٤٧٣) ولذلك حرصت فرنسا على تأكيد نفوذها فأرسلت البعثات إلى المنطقة فشهد عام ١٨٨٧ إرسال بعثتين : الأولى سياسية عبرت فوتا جالون وكانت بزعامة الكابتن أوبردروف ، ولكنه توفي في الطريق فتولى أمر البعثة الملازم بلات Plat في ٩ يناير ١٨٨٨ ونجح في الوصول إلى تمبو في ٦ مارس وفي ٩ مارس دخل مدينة فوكومبا Foukoumba وكانت مدينة لها هبة وقديسة عند مسلمي فوتا جالون ، فجدد بلات معاهدة فرنسا مع إبراهيمي سوري^(٤٧٤) أما البعثة الثانية فقد رحلت من سيجيري تحت قيادة أوديد Audéoud وعبرت فوتا جالون إلى بنتي ونجحت في فتح طريق من النيجر حتى الأطلنطي^(٤٧٥) .

وجدير بالذكر أن فرنسا كانت حريصة دوما على حقها في المعاهدات التي عقدتها في المنطقة فدأبت على إرسال نسخ من هذه المعاهدات إلى بريطانيا تأكيداً لنفوذها ففي ٢٧ يونيو ١٨٨٩ أرسل القنصل الفرنسي ميلوت Maillot عدة نسخ من معاهدات وقعتها فرنسا مع أئمة فوتا جالون إلى وزارة المستعمرات البريطانية^(٤٧٦) وذلك لأن إنجلترا على الرغم من اتفاقها مع فرنسا إلا أنها دأبت على محاولة عقد معاهدات مع زعماء المناطق الداخلية في فوتا جالون . ونتيجة لذلك قدم القنصل الفرنسي ميلوت احتجاجاً إلى مدير سيراليون مذكراً إياه بالمعاهدات التي وقعتها فرنسا في المنطقة^(٤٧٧) . وجاء رد بتشت Patchett مدير سيراليون بأن بريطانيا سبق لها أيضاً توقيع عدة معاهدات مع حكام فوتا جالون في الفترة الواقعة فيما بين ١٨٧٣ و ١٨٨١ ، وأنها قامت بدورها بإرسال نسخ من هذه المعاهدات إلى الحكومة الفرنسية^(٤٧٨) .

وهكذا نلاحظ أنه على الرغم من اتفاق ١٨٨٢ بين الدولتين ، إلا أن التنافس بينهما استمر في المناطق الداخلية .

Forstner, K. : op. cit., P. 152.

(٤٧٣)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 266

(٤٧٤)

Forstner, K. : op. cit., P. 152.

(٤٧٥)

F. O. 403 / 85 N° 101 Colonial office to Foreign office, June 27, 1889.

(٤٧٦)

F. O. 403 / 85 N° 101 inclosure 2. Maillot to administrator Patchett, Free Town, May 21, 1889.

(٤٧٧)

F. O. 403 / 85 inclosure 3. N° 101 Sierra Leone May 21, 1889.

(٤٧٨)

وقد اهتمت الحكومة الفرنسية كذلك الرأى العام الفرنسى بتدعيم السيطرة على فوتاجالون فنشر الكاتب الفرنسى سيفين دى لابلان *Sevin Des La Place* فى صحيفة *Revue Française de L'étranger et des Colonies* مقالا فى أول يوليو ١٨٨٩ بعنوان السودان الفرنسى طالب فيه دى لابلان ضرورة تدعيم السيطرة الفرنسية فى فوتاجالون ، وخاصة وأن لجنة تحديد الحدود الفرنسية البريطانية فى غرب أفريقيا على وشك الانتهاء من أعمالها ولذلك فلا بد من بحث مسألة فوتاجالون ، وإرسال البعثات السلمية إلى تمبو لتحسين العلاقة مع سكان المنطقة ، كذلك طالب دى لابلان بالاستعانة باجيبو شقيق أحمدو شيخو فى دينجويرى لمساعدة الفرنسيين فى إرسال حملة عسكرية إلى تمبو^(٤٧٩) .

وفى الوقت الذى أثار اجتماع تحديد الحدود المسؤولين الفرنسيين لإثبات مناطق نفوذهم ، فإن وزارة المستعمرات البريطانية اهتمت هى الأخرى بضرورة إثبات حقها فى المنطقة الواقعة على الضفة الشمالية لنهر سكرسيس ، وطالبت بتحسين العلاقة بين بريطانيا والوطنيين حتى لا يقدموا على الارتباط بأية معاهدات مع فرنسا^(٤٨٠) .

وفى عام ١٨٨٩ تم تحديد الحدود بين مستعمرة أنهار الجنوب وسيراليون واعترفت بريطانيا بالنفوذ الفرنسى فى فوتاجالون ، وضمت فرنسا بذلك فتح طريق مباشر بين السودان والميلاكورى ومن أعالي النيجر إلى المحيط الأطلنطى كما أمنت مواصلاتها بين السودان وساحل العاج^(٤٨١) .

وفى عام ١٨٩٠ تولى باليه *Ballay* إدارة المستعمرة واستمر فى منصبه حتى عام ١٩٠٠ ، وقد ساهم مساهمة فعالة فى تنمية المستعمرة وجعل من ميناء كوناكرى ميناء هاماً لا يقل أهمية عن ميناء فريتاون (٤٨٢) ، وقد أرسل باليه البعثات للتعرف على المناطق المختلفة فأرسل بعثة بروسلا فيدهرب *Brosselard Faidherbe* ومعه الكابتن فليكس ديبو *Felix Dubois* فرحلا من بنتى نحو الميلاكورى ثم أعالي النيجر لدراسة إمكانية ربط أنهار الجنوب بالسودان الفرنسى والنيجر ، وأنهت البعثة أعمالها عام ١٨٩١ ، ووضعت عدة اقتراحات تضمنت إنشاء خط حديدى لربط المناطق الداخلية بالساحل^(٤٨٢) .

F . O . 403 / 85 N° 109, Patchett to Maillot 1889.

F . O . 403 / 85 Colonial office to Foreign office July 18, 1889.

Forstner, K. : op. cit., p. 155.

Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 62.

Hanotiaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 268.

(٤٧٩)

(٤٨٠)

(٤٨١)

(٤٨٢)

(٤٨٣)

وفى ١٧ ديسمبر ١٨٩٣ ، تم تأسيس مستعمرة غينيا الفرنسية وصدر مرسوم فصلها عن السنغال ، وفى ١٠ مارس ١٨٩٣ تغير اسم المستعمرة من مستعمرة أنهار الجنوب إلى مستعمرة غينيا الفرنسية . وفى عام ١٨٩٥ أصبحت غينيا الفرنسية تتكون من ثلاث أقاليم ، الإقليم الساحلى (أنهار الجنوب) ، وفى الوسط فوتاجالون ، ثم الإقليم الشرقى ويشمل دينجويرى وييلا Beyla وأودية النيجر التى كانت تابعة للسودان الفرنسى^(١٨٩) .

ولكن رغم جهود فرنسا استمرت الحروب الأهلية فى المنطقة كما استمرت ثورات الوطنيين ضدها ففى ١٨٨٩ ، أرادت فرنسا الاستيلاء على أراضى الزعيم دينا ساليفو Dina Salifou زعيم منطقة Nalou ولذلك أرسلته فى بعثة إلى باريس حيث استقبل استقبالاً كبيراً وقام دينا بزيادة دار الأوبرا . ولكنه عندما عاد إلى بلاده رفض تسليم أراضيه لفرنسا ، وأخذ يعمل لإثارة القبائل ضدها فعزل من منصبه عام ١٨٩٥ وتوفى بالسنغال عام ١٨٩٧^(١٩٠) .

والذى يهمنى من أمر هذه الزيارة أن فرنسا أرادت تأكيد حسن نواياها للوطنيين ، وتحسين علاقتها معهم ، وقد ألقى هانوتو اللوم الشديد على الزعيم دينا فذكر : « بأن الاستقبال الذى قوبل به فى باريس جعل هذا الزنجى يعتقد حقاً أنه ملك كبير » لأنه بعد عودته رفض التفريط فى أراضيه ، وبالطبع نلاحظ تحيزها نوتو الشديد فهل المدنية فى نظره هى التخلّى عن الأراضى الموروثة ، وهل مجرد إغراء الزعيم دينا بزيارة باريس يعد سبباً كافياً لتخليه عن أراضيه ، وكأن هذه الزيارة هبة أو بركة نالها وعليه أن يدفع ثمنها ، وإلا كيف يجرؤ على عدم الانبهار بالحضارة الغربية .

وقد استمرت الحروب الأهلية فى المنطقة وسببت مشكلات خطيرة لفرنسا ففى عام ١٨٩٦ ذهب المبعوث الفرنسى دى بيكمان De Beeckmann إلى تمبو لتجديد المعاهدات التى عقدتها فرنسا مع إبراهيم سوري ، فجددها معه خليفته بوكار بيرو Bokar - Biro ، ولكن ثورة الأهالى على الأخير وتعيين عمر بادنمبا Oumar Bademba بدلا منه سبب المتاعب للفرنسيين وكان عليهم تغير موقفهم ومساندة عمر بادنمبا لاجتماع الرأى على تعيينه ، فساهم الحاكم باليه فى إرسال الحملات ضد بوكار وتولى الكابتن مولر Muller

Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 95.

(٤٨٤)

Hanotaux, G. : op. cit., Tomr IV, p. 267.

(٤٨٥)

تعقبه بمساندة بعض الزعماء الوطنيين حيث تم قتله ، ولكن ابنه شرع فى الانتقام من الزعماء الذين تعاونوا على قتل والده واضطراب الموقف ، وظهر أن عمر بادنيا عاجز تماما عن وقف الحرب ، ولذلك عين بابا Baba Alémou بدلا منه ورغم ذلك لم تنقطع الثورات فى المنطقة ضد الفرنسيين ، ففى عام ١٨٩٧ ثار تيرمو سيريه Tierom Siré شقيق بوكار ، ولكن القائد الفرنسى نوارو Noiroت أسرع بتجميع قواته وهزمه (٤٨٦) .

فى ١٧ أكتوبر ١٨٩٩ ضم إلى فوتا جالون بعض مراكز السودان الفرنسى هى كسينيدو ، ودينجويرى ، وسيجيرى ، وكوروسا ، وكنكان ، ويلا فامتدت المستعمرة بذلك شرقا حتى النيجر وقد مثلت هذه المناطق أجزاء من الأراضى التى سيطر عليها سامورى فى أعالى النيجر (٤٨٧) .

ورغم إخماد الثورات فى فوتاجالون ، ومبادرة الإدارة الفرنسية إلى محاربة الزعماء الوطنيين إلا أن المنطقة شهدت العديد من الاضطرابات حتى عام ١٩٠٠ ، وقد حاول نوارو الذى عين أول إدارى فى فوتاجالون أن يتوقف هذه الاضطرابات وأن يتفق مع الزعماء المحليين ولكن فى الواقع لم تتمكن السلطات الفرنسية من تدعيم سيطرتها فى المنطقة إلا بعد القضاء على سامورى تورى فى أعالى النيجر ، كذلك بعد تدعيم سلطتها فى المناطق الداخلية لساحل العاج . ورغم أن الموقف بدأ يتسم بالهدوء النسبى فى المنطقة إلا أنه سرعان ما نشبت عدة ثورات مرة أخرى خلال أعوام ١٩٠٨ - ١٩١٥ (٤٨٨) .

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV. P. 269.

(٤٨٦)

Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 62.

(٤٨٧)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 337.

(٤٨٨)

ثانياً - السودان الفرنسى :

١ - أحمدو شيخو وامبراطورية التكرور :

(أ) أحمدو شيخو وعلاقته بالفرنسيين قبل ١٨٨٤ :

خلف أحمدو شيخو والده الحاج عمر الذى عهد إليه قبل وفاته بإدارة مملكة البمباريه فى سيجو عام ١٨٦٢ ، ولقبه خليفة التيجانية فى السودان وبعد وفاة الحاج عمر كان لابد لأحمدو من تدعيم سيطرته على الأراضى التى استولى عليها والده ، كما كان عليه النضال ضد الزحف الفرنسى على أراضيه ، وقد لقب أحمدو بأمير المؤمنين فأضفى عليه هذا اللقب مكانة دينية بين التوكولور^(٤٨٩) .

انقسمت البلاد الخاضعة لنفوذ أحمدو شيخو إلى أربع مجموعات^(٤٩٠) المجموعة الأولى وهى مجموعة سيجو - التى اتخذها أحمدو عاصمة لدولته وتشمل هذه المجموعة القرى الواقعة على الضفة اليسرى لنهر النيجر مثل نياميناو توبا Touba وبانمبا Banemba . كما سيطر على بقايا مملكة البمباريه فى سيجو وامتدادات سيطرته على شريط من الأرض امتد بين نهر النيجر ونهر بانى^(٤٩١) .

أما المجموعة الثانية فكان يحدها من الشمال الغربى مراکش والصفة اليمنى لنهر السنغال الأوسط ، ومن الجنوب نهر السنغال والباخوى والباؤولى ، وكان سكان تلك المجموعة من البمباريه والساراكولى والكاجورا . وفى هذه المنطقة نجد منطقتين على جانب كبير من الأهمية نيورور التى حكمها شقيق أحمدو ، مونتاجا Mountaga وكونياكارى Koniakary

Encyclopedie de L'Islam Tome I, P. 301.

(٤٨٩)

(٤٩٠) انظر شكل (١) - (٤) - (٥) - (٨) .

Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 127.

(٤٩١)

التي حكمها شقيقه باسيرو Bassirou وقد انفصلت المجموعة الأولى عن الثانية أى سيجو ونيورو بقرى تابعة للمبارة الوثنيين فى إقليم بليد وجو Beledougou^(٤٩٧) .

أما المجموعة الثالثة فتتكون من الأراضى الواقعة جنوب أعالى السنغال وتمتد من نهر باخوى وبأؤولى حتى نهر النيجر ، كذلك الأراضى الواقعة شمال فوتا جالون ودينجويرى فى أعالى نهر النيجر . وكما انقطعت المواصلات بين سيجو ونيورو انقطعت أيضا بين سيجو والمجموعة الثالثة لسيطرة المباراة على الطرق المؤدية إلى نهر بأؤولى . المجموعة الرابعة والأخيرة تشمل دينجويرى الواقعة فى أعالى النيجر ، وكانت مستقلة عن أحمدو لأن شقيقه اجيبو استقل بها^(٤٩٨) .

وقد واجه أحمدو منافسة شديدة من قبل المباراة الذين أخضعهم الحاج عمر من قبل ، ولكنهم دأبوا على الثورة وقطع المواصلات بين سيجو وكارته ورفضوا اعتناق الإسلام كما واجه أحمدو أيضا العداء من قبل أقاربه الذين طمعوا فى انتزاع الحكم منه والانفصال عنه^(٤٩٩) ورغم محاولات أحمدو لمواجهة أعدائه والسيطرة على الأراضى التابعة له ، وتزويد جيشه بالمحاربين المدربين ، إلا أن امبراطورية التوكولور لم تنهض نهضتها التى كانت عليها منذ زمن الحاج عمر^(٥٠٠) ويرجع السبب فى ضعف امبراطورية التوكولور إلى صعوبة الاتصال بين أجزائها المختلفة ، كذلك لثورات المباراة المتكررة ، وحقدهم الدفين على التوكولور ، واستعانتهم بالفرنسيين فضلا عن العامل الأساسى والرئيسى لهذا الضعف ألا وهو التغلغل الفرنسى فى المنطقة الواقعة فى أعالى النيجر والسنغال لاتخاذها نقطة ارتكاز ووئوب نحو بقية الغرب الإفريقى وتحقيق حلم فرنسا فى الامتداد شرقا ، وقد أدى هذا التغلغل إلى ضرورة الاصطدام بامبراطورية التوكولور ورغم محاولات الاتفاق بين الطرفين إلا أنها كانت حلولا مؤقتة أو كسبا للوقت من جانب الفرنسيين الذين سرعان ما انقضوا عليها^(٥٠١) .

Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 127.

(٤٩٧)

Ibid., P. 128.

(٤٩٨)

Encyclopedie ds L'Islam : op. cit., Tome I, p.306.

(٤٩٩)

Forstner, K. : op. cit., P. 48.

(٥٠٠)

Forstner, K. : op. cit., P. 175.

(٥٠١)

وجدير بالذكر أن أحمدو حاول مقاومة النفوذ الفرنسى فى المنطقة ، فأنشأ سلسلة من الحصون فى كل من نيورو وديالا واستطاعت هذه الحصون الصمود المؤقت أمام التوغل الفرنسى وربما يرجع إليها الفضل فى تأخير الغزو الفرنسى الذى كان أمراً لا مفر منه ^(٤٩٧) .

إذا حاولنا تتبع العلاقة بين التوكولور والفرنسيين تلك العلاقة التى انتهت بتدمير امبراطورية التوكولور ، سنجد أنه كانت هناك محاولات للاتفاق السلمى بين الطرفين ^(٤٩٨) .

وكان إقرار السلام بين الطرفين أمراً ضرورياً ، فالفرنسيون أرادوا مد تجارتهم إلى منطقة السودان الغربى ، كذلك أحمدو أراد استكمال نشر الجهاد بين الوثنيين والقضاء على البمباريه ، وتدهيم سيطرته على الأراضى التابعة له وتحقيقاً لهذا الهدف أرسل فيدهرب بعثة دبلوماسية إلى سيجو تكونت من الملازم البحرى أوجينى ماج ، والطبيب كوتتان فى ٢٨ فبراير عام ١٨٦٣ وفى ذلك الوقت كان الحاج عمر ما زال على قيد الحياة ، ولكن التوكولور استبقوا البعثة فترة من الزمن ثم استمرت المفاوضات بين الطرفين فى عام ١٨٦٦ وأسفرت تلك المفاوضات عن توقيع معاهدة عرفت بمعاهدة ماج ^(٤٩٩) وكان أهم شروطها :

- ١ - اعتراف الفرنسيين بسلطة أحمدو فى الأراضى التى يسيطر عليها .
- ٢ - السماح للتوكولور بشراء ما يحتاجون إليه من سانت لويس .
- ٣ - تأمين المواصلات مع فوتا .
- ٤ - توفير الحماية للفرنسيين والسماح لهم بحرية التجارة فى مقابل حصول أحمدو على ١٠٪ من تجارتهم .
- ٥ - وعد ماج أحمدو بتسليمه اثنى عشر مدفعاً .

ولكن أحمدو رفض السماح للفرنسيين ببناء الحصون والمراكز فى المنطقة الممتدة بين بافولابى فى السنغال وباماكو الواقعة على النيجر ولم تحقق المعاهدة النجاح المنشود لأن الحاكم الفرنسى فى السنغال ، فالبيير (الذى خلف فيدهرب) رفض تسليم المدافع لأحمدو مما أدى إلى توتر العلاقة بين الطرفين ^(٥٠٠) .

Forstner, K. : op. cit., p. 175.

(٤٩٦)

Crowder, M . op. cit., Colonial, p. 80.

(٤٩٧)

Forstner, K. : op. cit., p. 175.

(٤٩٨)

Oloruntimehin, B. : op. cit., pp. 224 - 227..

(٤٩٩)

Forstner, K. : op. cit., p. 50.

(٥٠٠)

ورغم أم معاهدة ماج لم تحقق السلام التام بين الطرفين إلا أن أهميتها أنها مثلت رغبة الطرفين في ذلك الوقت في تحقيق السلام بينهما . ولكن بتعيين بريو دي ليل حاكما للسنغال عام ١٨٧٦ ، توترت من جديد العلاقة بين الطرفين وخاصة وأن دي ليل ناصر سمبالا Sambala حاكم ميدين ضد التوكولر بل أرسل إليه نجدات وأسلحة واشترك معه في محاربة التوكولور في لوجر Logo فكان رد أحمدو هو عرقلة التجارة الفرنسية وتهديد مصالح التجار الفرنسيين بالإضافة إلى أنه بدأ يفكر في الاتصال بالبريطانيين (٥٠١) .

وإزاء توتر العلاقة من جديد بين أحمدو والفرنسيين قام الرحالة الفرنسي بول سوليه بزيارة أحمدو ونشر تفاصيل هذه الزيارة في كتابه *Avenir de la France en Afrique* فكتب عن المدن التي زارها وعن امبراطورية التوكولور والأراضي التابعة لأحمدو والثروات المختلفة الموجودة في أراضيه مثل مناجم الذهب والغابات المليئة بالأخشاب الثمينة ، كما كتب عن نظم الحكم والإدارة في امبراطورية التوكولور . وقد قابل سوليه كبار الشخصيات لدى أحمدو وحكام الأقاليم المختلفة ، وقد وصل سوليه إلى سيجو في ١٩ أكتوبر ١٨٧٨ وقابل سامبا نادية أحد قواد أحمدو ثم تقابل مع أحمدو الذي أحسن استقباله ، وقد دافع سوليه في كتابه عن أحمدو وأوضح بأن التوكولور ليسوا متوحشين كما يذاع عنهم ، بل هم من المسلمين المتقدمين لهم فنون متقدمة وصناعات دقيقة ولكنه أوضح بأن امبراطورية التوكولور ليست قوية كما كانت زمن الحاج عمر ورجح انهيارها بعد وفاة أحمدو (٥٠٢) .

أما أحمدو فعلى الرغم من حسن استقباله لسوليه إلا أنه أعرب له عن فكرة تحالفه مع بريطانيا ، وخاصة وأن الفرنسيين قد خذلوه ورفضوا إمداده بالمدافع التي وعدوه بها في معاهدة ماج . ولم يكن أحمدو يهدد الفرنسيين بتحالفه مع بريطانيا ، فقد زار سيجو عام ١٨٧٦ الحاكم البريطاني في غمبيا كوبر Cooper وذلك لفتح طرق التجارة للتجار البريطانيين والمستعمرات البريطانية في غمبيا وسيراليون . وقد اتصل أحمدو بحاكم سيراليون أيضا حتى أنه في عام ١٨٧٩ زار سيراليون حوالى ألف من تجار سيجو ، كما انتعشت السلع البريطانية وراجت في منطقة أعالي السنغال ، وقد كتب كوبر حاكم غمبيا إلى أحمدو عن رغبة الحكومة البريطانية لتدعيم التجارة معه . كما كتب إليه الدكتور روس

Hagreaves, J. : op. cit., Prelud, p. 229.

(٥٠١)

Solcillet, Paul : *Les Voyages et de Couvertes de paul Solcillet dans Le Sahara et dans Le Soudan*, (Paris 1881), pp. 172 - 178.

(٥٠٢)

Ross وكان يعمل فى سيراليون ومن المقربين للسيرروى حاكم سيراليون يقترح عليه مد طريق تجارى من دينجويرى فى أعالى النيجر إلى سيجو ، وعرض عليه إرسال بعثة بريطانية لتوقيع اتفاق تجارى معه (٥٠٣) .

وإزاء تطور العلاقة بين كل من التوكولور والسلطات البريطانية عهد حاكم السنغال إلى الكابتن جاللىنى مراقبة النشاط البريطانى فى منطقة النيجر فاقترح جاللىنى عام ١٨٧٩ إنشاء مراكز فرنسية فى كل من باقولابى وفونجالا Fangalla وكيئا ، فمن طريق هذه المراكز يسهل الاتصال بالمبارة حلفاء الفرنسيين ، ويمكن مراقبة النشاط البريطانى (٥٠٤) . كما أرسل حاكم السنغال جاللىنى فى بعثة إلى أحمدو لمحاولة الاتفاق معه ، وأثناء ذهاب جاللىنى إلى سيجو هاجمه المبرارة فى عام ١٨٨٨ وقتلوا معظم أفراد بعثته ، وذلك خوفا من تحالفه مع التكرور ، فلجأ جاللىنى إلى نانجو Nango التى تبعد ٣٥ كم سيجو عاصمة التوكولور وقد مكث فيها جاللىنى تسعة أشهر قبل أن يتمكن من مقابلة أحمدو ، وظل طوال هذه الفترة تحت رقابة شديدة وقد عزا جاللىنى بقاءه فى نانجو هذه الفترة الطويلة إلى أن حاكم سيراليون سعى للدم بينه وبين أحمدو ، ليحول دون اتفاقهما ، وكمية الإضافة إلى ذلك نجد أن محاولة جاللىنى الاتصال بالمبارة قد أثارت مخاوف التكرور ، فأوضح له سيدو Seydou مستشار أحمدو بأن سمعته قد ساءت قبل وصوله إلى نانجو . ولذلك ظل حبيسا فى نانجو من أغسطس ١٨٨٠ حتى مارس ١٨٨١ حتى سمح له بمغادرة المكان ، ثم وقع اتفاقية مع أحمدو فى ٢ نوفمبر عام ١٨٨٠ عرفت باتفاقية نانجو (٥٠٥) وفى هذه الاتفاقية طلب جاللىنى من أحمدو إعلان الحماية الفرنسية على أراضيه والسماح للتجارة الفرنسيين بالتجارة فيها ، ولكن أحمدو رفض الحماية الفرنسية ، ولكنه وافق على السماح للتجار الفرنسيين بالتجارة (٥٠٦) .

وجدير بالذكر أن اتفاقية بانجو لم تحظ بقبول لدى حاكم السنغال دى ليل لأنها تمت قبل موافقة البرلمان عليها وقد تمسك أحمدو بشرط إقامة حصون فرنسية فى أراضيه ، كذلك عدم موافقته مد أى خطوط حديدية وأوضح سيدو مستشار أحمدو لجاللىنى عدم ثقتهم

Oloruntimehin, B. : op. cit., pp. 235 – 238.

(٥٠٣)

Oloruntimehin, B. : op. cit., p. 239.

(٥٠٤)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 175.

(٥٠٥)

Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 81.

(٥٠٦)

فى الفرنسين لتدخلهم فى شئونهم كما أعلن له رفض أحمدو تعيين مندوب فرنسى فى أراضيه (٥٠٧) .

ويلاحظ أن نصوص معاهدة نانجو اختلفت باللغة الفرنسية عن النصوص العربية ، ففى المادة السادسة من النص العربى تضمنت السماح للتجار الفرنسيين بالتجارة على ضفة النيجر من منابه حتى تمبكتو ، ولهم حرية التجارة فى الأراضى التى يستولى عليها أحمدو فى المستقبل ، أما النص الفرنسى فقد تضمن بأن سلطان سيجو يعلن قبوله الحماية الفرنسية على النيجر من منابه حتى تمبكتو كذلك الحماية على الأراضى التى سوف يقوم بغزوها على طول النهر وفى المادة السابعة من المعاهدة نصت فى النص العربى بالسماح للفرنسيين بالتجارة والملاحة فى نهر النيجر ، أما فى النص الفرنسى فقد تضمنت السماح للفرنسيين فقط بالملاحة والتجارة وبناء المنشآت على طول نهر النيجر . وكان لاختلاف نصوص المعاهدة أثر كبير فى توتر العلاقة بين الطرفين (٥٠٨) كما أن وزارة البحرية الفرنسية رفضت اعتماد هذه المعاهدة ، لأنها رأت أنه من الأجدى التحالف والاعتماد على البمباريه بدلا من أحمدو التوكولور (٥٠٩) .

وفى ٦ سبتمبر ١٨٨٠ صدر مرسوم بإنشاء وظيفة جديدة هى وظيفة القائد الأعلى لأعلى النهر Commandant Supérieur du Haut Fleuve وكانت هذه الوظيفة بداية لتنظيم عسكري جديد لمستعمرة السنغال والمنطقة بأسرها وأول من تولى هذا المنصب كان جوستاف بورنى دييورد Gustave Borgnis Desbordes فى أول يناير ١٨٨١ (٥١٠) .

وكان لهذا المنصب أهمية كبيرة ، فبمقتضاه تم تنظيم عملية السيطرة على ضفاف النيجر وقد تميز التقدم الفرنسى فى المنطقة بإستخدام القوة العسكرية لأكثر من عشر سنوات ، ثم تحرك الفرنسيون فى محورين الأول صوب أراضى بوريه وسنكران ، وواسولو وصوب الأراضى التى يسيطر عليه سامورى تورى ، والثانى صوب الأراضى التى يسيطر عليها أحمدو (٥١١) .

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 259.

(٥٠٧)

Meniaud, J. : op. cit., Tome I, pp. 338 – 339

(٥٠٨)

Gann, L. : op. cit., Vol. I, p. 149.

(٥٠٩)

Johnston, H. : op. cit., p. 202.

(٥١٠)

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, PP. 263–264.

(٥١١)

أما عن بورني دييورد أول قائد عسكري لأقاليم أعالي النهر فقد تطلع لإحراز أمجاد شخصية ، شأنه في ذلك شأن بقية الضباط الفرنسيين والأوربيين بصفة عام فمكف على دراسة المنطقة الواقعة بين بافولاني والنيجر واقترح ضرورة مد خط حديدي من ميدين في السنغال حتى باماكو على النيجر وذلك لتحقيق اتصال مباشر مع منطقة النيجر ، ولإبعاد النفوذ البريطاني وقد قام دييورد بثلاث حملات هامة في المنطقة لإنشاء عدة حصون فرنسية تخدم أغراضه العسكرية ^(٥١٣) .

كان الغرض من حملة دييورد الأولى هو الوصول إلى كيتا وبناء حصن فرنسي في المنطقة ، وقد خرجت الحملة من ميدين في ٩ يناير ١٨٨١ وسارت في اتجاه أعالي السنغال حتى بافولابي حيث المركز الفرنسي ، ثم واصلت سيرها حتى كيتا حيث بدأ الفرنسيون في بناء الحصن ولكن أهالي جويانكو وهي قرية محصنة تبعد ١٧ كم عن كيتا رفضوا التعاون مع دييورد ، ولذلك أطلق عليهم نيران مدافعه واستولى على القرية . وبعد ذلك اتجه إلى حصن مورجولا التابع للتوكولور وحاصره ^(٥١٣) ثم توغل دييورد جنوباً في بوريه وسنكران في أعالي النيجر ، وعاد في ١٢ يونيو ١٨٨١ إلى سانت لويس وحققت حملته غرضها في بناء الحصن ، كما مهد طريقاً بين كيتا وبافولابي ، ومد خطاً تليفانياً طوله ١٢١ كم بين بافولابي وتوكولو ورسم خريطة منفصلة للمنطقة الواقعة بين ميدين وبادمبيه وتوكولو وكونيا كاري ^(٥١٤) وقد كتب دييورد بعد عودته تقريراً عن ضرورة استخدام القوة لدعم السيطرة الفرنسية في المنطقة ، كما أوضح أن السودان في حاجة إلى عدة عمليات عسكرية للاستيلاء عليه ، وأن التوغل السلمي فيه خرافة ولن تتم ^(٥١٥) . وتمتع دييورد بنفوذ كبير في المنطقة ، كما أن دي ليل حاكم السنغال منحه سلطات وصلاحيات كبيرة حتى أنه بعد رحيله أصبح دييورد هو الحاكم الفعلي ^(٥١٦) .

أما حملة دييورد الثانية فكانت في عام ١٨٨١ - ١٨٨٢ وأقرتها وزارة البحرية الفرنسية وكان هدفها الوصول إلى النيجر عن طريق باماكو وتموين المراكز الفرنسية في بافولابي

Gann, L. : op. cit., Vol. I, p. 149.

(٥١٢)

Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 147.

(٥١٣)

Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, P. 263.

(٥١٤)

Forstner, K. : op. cit., p. 81.

(٥١٥)

Oloruntimechin, B. : op. cit., p. 251.

(٥١٦)

وكيتا ، وتعتبر هذه الحملة تكملة للحملة الأولى . ويلاحظ أن كنار الذى عين حاكما للسنگال كان يرى ضرورة خفض نفقات المستعمرة لتفشى الحمى الصفراء فيها ، ولذلك طلب من دييورد ضرورة وقف العمليات العسكرية ولكن دييورد رفض ، فقد كان يحظى بتأييد من وزير البحرية الفرنسية جور جييرى ولذلك استمر دييورد فى حملاته . وتم تعيين فالون Vallon حاكما فى السنغال بدلا من كنار . وقد نجح دييورد فى تحقيق هدف حملته الثانية التى اقتصر على تموين المراكز الفرنسية فى كل من باقولابى وكيتا ^(٥١٧) .

أما الحملة الثالثة فكانت فى ١٨٨٢ - ١٨٨٢ والهدف منها إنشاء حصن باماكو على النيجر ، ويعتبر بناء حصن باماكو بداية لغزو السودان ، فقد أتاح للفرنسيين فرصة التوغل داخل البلاد ^(٥١٨) . ولعل أهم النتائج التى ترتبت على إنشاء حصن باماكو مايلى :

- ١ - دخل زعيم التوكولور فى المنطقة تيتى Titi فى طاعة دييورد خوفا من انتقام الفرنسيين وساعده فى بناء الحصن .
- ٢ - أضررت مصالح أحمدو فقد قطعت المواصلات بين الحصن فى باماكو وسيجو العاصمة .
- ٣ - بدأ أحمدو يستعد لمحاربة الفرنسيين .
- ٤ - أدرك سامورى أن بناء حصن باماكو يمثل تهديداً بالنسبة له هو الآخر ^(٥١٩) .

وقد أرسل مونتاجا شقيق أحمدو إلى دييورد رسالة يحمله فيها مسؤولية تدمير بلاده ، والتحالف مع أعداء التوكولور من البمباريه . ولكن دييورد نجح فى تحقيق أهدافه وتدعيم السيطرة الفرنسية فى المنطقة الواقعة بين مدين على نهر السنغال وباماكو على النيجر ^(٥٢٠) .

ما أن خلف بواليف Boileve دييورد كفائد أعلى لأعلى النهر حتى أوقف العمليات العسكرية . فى الفترة ما بين ١٨٨٢ - ١٨٨٤ إذ وجدت الحكومة الفرنسية بأن حملات دييورد كلفتها الكثير ، كما أنها لم تحرز أى تقدم سياسى فى المنطقة بل على العكس أدت إلى

Johnston, H. : op. cit., p. 204.

(٥١٧)

Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 82.

(٥١٨)

Meniaud, J. : op. cit., Tome I, pp. 163-178.

(٥١٩)

Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 58.

(٥٢٠)

سوء العلاقة بينهم وبين التوكولور . وكانت سياسة بواليف هي المحافظة على مركز الفرنسيين السياسى والعسكرى والإدارى وعدم توريط فرنسا فى أى عمليات عسكرية أو إرهاب ميزانيتها بالأعمال الحربية وعدم تكبدها خسائر فى الأرواح ، وصدرت التعليمات إلى بواليف بأن يقتصر نشاطه على تموين الحصون والمراكز الفرنسية وأن يستمر فى تشييد الطرق والكبارى والحصون من كايس إلى باماكو^(٥٢١) وفى رسالة من دييورد إلى بواليف يتضح لنا سياسة فرنسا فى تلك الفترة ، ألا وهى الاكتفاء بالإنجازات التى حققوها .

يجب علينا فى تلك المرحلة العمل على تزويد الحصون والمراكز بالمؤن والجنود ويجب الاستيلاء على كل وادى باخوى وإنشاء حصن سيجيرى . كما يجب بناء حصنين فى كل من كوندريان ونياجا سولاكى يكونا تقطعتى إسعاف ونجده وحماية لبقية الحصون^(٥٢٢) .

وجدير بالذكر أنه نتيجة لتحركات الفرنسيين العسكرية نقل أحمدو عاصمة بلاده سيجو الواقعة قرب باماكو إلى نيورو عاصمة كارتة ليتخذ منها مركزاً استراتيجياً فى نضاله ضد الفرنسيين . ومنذ تلك الفترة والعلاقات بينه وبين الفرنسيين فى تدهور مستمر ، وخاصة بعد مؤتمر برلين ١٨٨٤ / ١٨٨٥ وانطلاق فرنسا الجامح فى غرب القارة فلم تعد فرنسا تكتفى بالحصون والمراكز ، وإنما أصبحت تعمل على تدعيم سيادتها بالقوة الفعلية العسكرية^(٥٢٣) .

(ب) علاقة أحمدو بالفرنسيين بعد ١٨٨٤ :

خلف كومب Combes زميله بواليف فى قيادة السودان فى الفترة بين ١٨٨٤ - ١٨٨٥ ، حيث كان أحمدو قد ترك سيجو إلى نيورو ، وأخذ يهدد الفرنسيين ، وهاجم التوكولور البمباريه فى بليدوجو ، ونجحت فرقة منهم فى الإستيلاء على نيامينا على الضفة اليسرى لنهر النيجر ، كما هددوا أيضاً المركز الفرنسى فى باماكو^(٥٢٤) .

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 180.

(٥٢١)

Meniaud, J. : op. cit., Tome I, pp. 194-196.

(٥٢٢)

Guernier, M. : op. cit., Tome I, p. 58.

(٥٢٣)

Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 67.

(٥٢٤)

وجددير بالذكر أن هناك أصواتا ظهرت فى باريس بعد تعيين كومب نادت بالانسحاب من السودان ، والاكتفاء بالمستعمرة الفرنسية فى السنغال ، ولكن أشينار ومونتى Monteil وهما من الضباط العسكريين تصديا لهذا رأى وأكد الكابتن مونتى « بأن مصلحة فرنسا العليا هى فى الإبقاء على وجودها فى السودان » وقد عبر عن رأيه هذا فى البرلمان الفرنسى قائلا :

« إنى أحذر الوزارة عن خطر ترك السودان ، فمعنى ذلك أن مراكزنا سوف تصبح مرة أخرى فى يد الطاغية سامورى ، وسوف يضارب الأهالى بخيبة أمل ، لأنهم رأوا فى الوجود الفرنسى حماية لهم ، كما أننا عقدنا معاهدات صداقة مع العديد من الزعماء المحليين . فمعنى ترك السودان ، أننا لن نستطيع أن نمزق تلك المعاهدات ، وسوف يؤثر ذلك على مركز فرنسا ، وسوف يعتقد السودان الغربى كله أننا انسحبنا لأننا عاجزون عن مقاومة سامورى والتصدى له . » كما أيد أرشينار رأى مونتى وأضاف بأن الانسحاب من السودان يعنى قيام ثورة شاملة سوف تهدد السنغال نفسها ^(٥٢٥) .

وبوصول فرى Frey إلى السودان كقائد لأعلى النهر ركز كل اهتمامه للقضاء على محمىدو لامين ولذلك اتسمت العلاقة بين التوكولور والفرنسيين بالهدوء فى تلك الفترة ، ولم يعكر صفوها إلا حرص الفرنسيين على الإبقاء على علاقاتهم الودية مع البمبارا ليتخذوهم درعا لهم عندما يقررون مهاجمة التوكولور واستمروا يبيعونهم الأسلحة سرا رغم احتجاجات أحمدو المتكررة ^(٥٢٦) .

وفى ١٨٨٦ عين جالينى قائداً أعلى للسودان الفرنسى Commandant Superieur du Soudan Français وظهر لأول مرة اصطلاح السودان الفرنسى فى الأراضى التى امتدت إليها السيطرة الفرنسية ، وكان اصطلاح أعالى النهر هو الاصطلاح الشائع من قبل ، وكان المقصود به أعالى نهر السنغال . ولكن بعد تقدم الفرنسيين فى المنطقة ظهر اصطلاح السودان الفرنسى ^(٥٢٧) . ركز جالينى جهوده ضد محمىدو لامين ، ولذلك رأى ضرورة التعاون مع أحمدو مؤقتا وأسفر هذا التعاون عن توقيع معاهدة جورى Gouri فى ١٢ مايو ١٨٨٧ ،

Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 246.

(٥٢٥)

Ibid., p. 343.

(٥٢٦)

Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 58.

(٥٢٧)

بين أحمدو والفرنسيين وبمقتضى هذه المعاهدة وضع أحمدو بلاده تحت الحماية الفرنسية ، وفتح الطريق أمام الفرنسيين للملاحة والإبحار فى النيجر كما سمح لهم ببناء المنشآت فى أراضيهِ (٥٢٨) .

وجدير بالذكر أن جالينى نشر رأيه عن معاهدة جورى فى كتاب عام ١٨٩١ ، حمل فيه على سياسة التوسع العسكرى فقد ذكر أن معاهدة جورى أتاحت لفرنسا وضع دولة أحمدو تحت الحماية الفرنسية وبذلك امتدت السيطرة الفرنسية من السنغال حتى النيجر وذكر جالينى بأن أحمدو لا يشكل فى نظره خطراً على الفرنسيين بل على العكس لقد تعاون معه حتى تم إلقاء القبض على سويبو Soybou ابن محمدمو لامين وكتب جالينى بأنه عندما زار السودان للمرة الأولى ١٨٨٠ - ١٨٨١ كان يعتقد بأن التوكولور يمثلون عقبة أمام التقدم الفرنسى ولكن فى عام ١٨٨٦ حينما عاد كقائد عسكرى وجد بأنه من الممكن الاستفادة منهم فى تطوير التجارة ، كما سجل إعجابه بديانتهم أى بالدين الإسلامى الذى يحثهم على التطور والرقى وأكد بأن القضاء على التوكولور سيؤدى إلى تدمير التجارة الفرنسية . كما عارض فكرة إقامة خطوط حديدية فى أعالي السنغال ، وأكد بأنه من الناحية الاقتصادية لن تجنى فرنسا فوائد من السودان لأن المناطق الداخلية ليست على درجة كبيرة من الثراء (٥٢٩) .

ويمكن أن نقول أن تعيين جالينى فى السودان الفرنسى حقق لفرنسا فوائد كثيرة فقد تمكن من توقيع معاهدة بيسانودجو مع سامورى ومعاهدة جورى مع أحمدو ، كما قبل اجيبو شقيق أحمدو فى دينجويرى وضع أراضيهِ تحت السيطرة الفرنسية ، كما نجح فى التخلص من محمدمو لامين نهائيا بفضل جهود الكابتن فورتى واستطاع مد النفوذ الفرنسى فى أعالي النيجر ، وامتدت الإدارة الفرنسية فى السودان بحيث شملت المناطق التالية :

(أ) نهر السنغال من باقل حتى فرعى باوؤل وباخوى .

(ب) سيطر الفرنسيون على النيجر من نيامينا شمالا حتى سيجيرى فى أعالي النيجر .

(ج) امتدت الادارة الفرنسية عند الحدود من دينجويرى حتى نهر غمبيا .

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 182.

(٥٢٨)

Hagreaves, J. : op. cit., France, pp. 161-162.

(٥٢٩)

وقد أديرت هذه الممتلكات إدارة مباشرة ، ولذلك قسمت إلى عدة مراكز إدارية يتولى إدارتها ضباط يخضعون للقائد الأعلى للسودان ، وهذه المراكز هي باقل - ميدين - بافولابي - كيتا - باماكو - سيجيري . وتم اتخاذ كايس مركز للعمليات العسكرية (٥٢٠) .

خلف لويس أرشينار Louis Archinard جاليني كقائد أعلى للسودان الفرنسي في الفترة ما بين ١٨٨٨ - ١٨٩٠ ، ثم غادر المنطقة إلى فرنسا وعاد إليها مرة ثانية في عام ١٨٩٢ - ١٨٩٣ وتلخص سياسته في اقتناعه بضرورة القضاء على أحمدو وهو بذلك لا يشارك جاليني في الاعتقاد بالإبقاء على العلاقات الودية مع التوكولور (٥٢١) .

وعلى الرغم من تحذيرات حاكم السنغال بعدم استخدام القوة ، إلا أن أرشينار كان قد عقد العزم على تدمير امبراطورية التوكولور فقام بثلاث حملات ضدهم أسفرت في النهاية عن تدميرهم والقضاء على أحمدو شيخو (٥٢٢) .

وإذا استعرضنا أحوال المنطقة عند قدوم أرشينار نجد أن الفرنسيين سيطروا على المنطقة الممتدة من كايس في السنغال حتى نهر النيجر ، ولكنهم لم يستطيعوا إحكام سيطرتهم على جنوب وشمال هذه المنطقة . ففي الشمال كان أحمدو يتحكم في نيورو متخذاً إياها قاعدة لحكمه . كذلك سيجو الواقعة على نهر النيجر كان ماداني يحكم قبضته عليها . أما بندايجرا الواقعة شمال سيجو فكانت تحت حكم تيجاني Tigani ، كذلك كان ساموري يركز هجماته ضد الفرنسيين في أعالي النيجر (٥٢٣) .

عند وصول أرشينار إلى السودان كانت العلاقات بين التوكولور والفرنسيين متوقفة تماماً ، وذلك لأن جاليني قبل رحيله قام بطرد التوكولور من حصنهم كوندان الواقع على السنغال ١٨٨٨ ، مما أدى إلى غضب أحمدو ، ورغم كل محاولات جاليني لاسترضائه إلا أنه رفض تبريراته كلها ، وأصر على قطع علاقاته مع الفرنسيين . وإذا تساءلنا عن سبب إقدام جاليني على هذه الخطوة رغم توقيع معاهدة جوري مع أحمدو ورغم تمسكه بسياسة مهادنة

Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 302.

(٥٢٠)

Johnston, H. : op. cit., p. 204.

(٥٢١)

Forstner, K. : op. cit., p. 176.

(٥٢٢)

Hanotiaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 183

(٥٢٣)

التوكولور ، سنجد بأنه كان فى حاجة إلى حصن كونديان لأنه يحتل موقعا استراتيجيا هاما فهو يتحكم فى وادى نهر باننج المتصل بنهر السنغال (٥٢٤) .

ولكن بقدوم أرشينار إلى السودان وبعد التغلب على محمدو لامين لم يبق للفرنسيين سوى اكتساح وابتلاع أراضى أحمدو ، ليحققوا حلمهم فى بناء امبراطورية كبيرة فى داخل غرب أفريقيا . لقد كان أرشينار هو المخطط الحقيقى للغزو الفرنسى . وقد ناضل فى سبيل إثبات صحة نظريته بضرورة القضاء على التوكولور واستطاع أن يقنع الحكومة الفرنسية بأرائه بل أنه دفعها لغزو التوكولور وأجبرها على الإعراف بغزواته وأعماله (٥٢٥) .

قاد أرشينار ثلاث حملات رئيسية ضد التوكولور حتى تمكن من تدمير دولتهم كانت الحملة الأولى بحجة أن التوكولور استعادوا حصن كونديان فتحركت قواته من المركز الفرنسى فى بافولابى الواقع على نهر السنغال فى ١٤ فبراير ١٨٨٩ واتجه نحو الحصن عين الكابتن كيكندون Quiquandon فى مقدمة الحملة وقد لجأ أرشينار إلى حيلة شاعده فى الاستيلاء على الحصن إذ دفع بمقدمة الحملة إلى الظهور أمام قوات الحصن مما جعل التوكولور يستهينون بهذا العدد القليل من الرجال ، وتأكدوا بأنهم لن يقووا على اقتحام الحصن ولكنهم فوجئوا بعد ذلك بمحاصرة الفرنسيين لهم من كل مكان (٥٢٦) .

ترتب الاستيلاء على حصن كونديان عدة نتائج هامة :

- ١ - قضى على أسس الاتفاق بين الفرنسيين والتوكولور .
- ٢ - إثارة الرعب والفرع فى المنطقة ، حتى إن ارشينار كتب بأن سقوط الحصن نشر الرعب فى المنطقة ، وجعل التوكولور يدركون مدى قوة الفرنسيين .
- ٣ - قطع خط المواصلات بين منطقة السنغال ودينجويرى بينها وبين بقية امبراطورية التوكولور فكتب أجيبو إلى شقيقه أحمدو بأنه يجد نفسه معزولا وسط المراكز الفرنسية وأنه لم يعد يقوى على تقديم أى مساعدة فعلية له .

Oloruntimehin, B. : op. cit., pp. 275-279.

(٥٢٤)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 185.

(٥٢٥)

Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 401.

(٥٢٦)

٤ - حاول أحمدو قطع الطريق على القوات الفرنسية ، ولكنه تراجع بسبب ضعف قواته ، وخوفه من هجمات البمبارة فقام بقطع الطريق مع ميدين والسنغال (٥٣٧) .

أما حملة أرشبنار الثانية فكان هدفها احتلال سيجو ، وقد كشف التقرير الذى قدمه الملازم مارشان Marchand عن ضعف دفاع سيجو . وعدم قدرتها على الصمود طويلا . وأرسل أرشبنار إلى ايتيان وكيل وزارة الخارجية يؤكد له ضرورة الاستيلاء على سيجو . وفى الواقع شعر ايتيان بالحيرة ، لأن جاللىنى أكد له بأن امبراطورية التوكولور سوف تنهار بعد وفاة أحمدو ، ولذلك ليس هناك مبرر لمهاجمتها وتكلف النفقات الباهظة بينما فى الوقت نفسه أرشبنار يلح عليه ويرسل له العديد من التقارير عن مدى خطورة الموقف ، وعن إمكانية تحالف سامورى مع أحمدو وأخيراً قرر حاكم السنغال كليمنت توما أن يسمح لأرشبنار بحرية العمل (٥٣٨) .

وهكذا انتصر رأى أرشبنار ، وأعد حملة للاستيلاء على سيجو وكان على أرشبنار أن يقوم ببعض العمليات الاستطلاعية قبل إرسال الحملة ، فعمد إلى مارشان يجمع المعلومات عن الوضع العسكرى فى سيجو ، فعمل مارشان الإبحار بالسفن الحربية أمام سيجو وأخذ يدون ملاحظاته عن توزيع التحصينات القوية والضعيفة فى وسائل الدفاع . وفى ٦ أبريل وصلت القوات الفرنسية أمام سيجو (٥٣٩) وكان الاستيلاء على سيجو له عدة نتائج :

١ - كان نذيراً بزوال امبراطورية التوكولور .

٢ - كان لسقوط سيجو أثر كبير فى السودان الغربى فهى العاصمة السابقة لأمير المؤمنين أحمدو .

٣ - توافد زعماء المناطق المجاورة للدخول فى طاعة الفرنسيين (٥٤٠) ، بعد احتلال سيجو كان أرشبنار تواقا لتطهير الطريق إلى نيورو ، حيث مركز أحمدو فتحرك شمالا إلى حصن اوسيبوجو Ouosseboujou على الحدود الشرقية لكارتة ، ورغم مساعدة البمبارا له إلا أن الاستيلاء على الحصن لم يكن سهلا ، وذلك لأن أحمدو ركز قواته لمهاجمة

Oloruntimehin, B. : op. cit., pp. 284-285.

(٥٣٧)

Forstner, K. : op. cit., p. 182.

(٥٣٨)

Meniaud, J. op. cit., Tome I, p. 431.

(٥٣٩)

Ibid., p. 431.

(٥٤٠)

الفرنسيين فى باديبه وبافولابى كما هاجم المناطق الواقعة عند المجرى الأدنى لنهر بافنج باخوى وهدد كايس وباقل (٥٤١) .

ولكن أرشينار نجح فى الاستيلاء على الحصن كما استولى على حصن كونيا كارى فى ١٥ يونيو ١٨٩٠ وكان يقع جنوب كارتة وقد ترتب على الاستيلاء على حصن كونيا كارى عدة نتائج :

١ - انسحاب أحمدو بقواته إلى نيورو مما أعطى للفرنسيين فرصة أكبر لتوسيع نشاطهم فى مناطق عديدة قريبة من كارتة .

٢ - هدد أحمدو عدداً كبيراً من رجاله ، وكان من الصعب تعويضهم .

٣ - خضوع سكان المنطقة للفرنسيين (٥٤٢)

أما حملة أرشينار الثالثة ، فكان هدفها مركز أحمدو الرئيسى فى نيورو وبذلك يكون الفرنسيون قد توغلوا فى قلب دولة أحمدو ولم يبق فى يديه سوى كارتة التى لن تستطيع الصمود طويلاً ، وقد كون أرشينار حملة بقيادة الملازم مارشان اتجهت لتهديد نيورو من الجهات الشرقية ، كما عقد اتفاقاً مع تتو N'to وهو من زعماء البيمبارا القدامى فى سيجو وكلفه بإغلاق الطريق أمام التوكولور ووضع فرقتين من الجنود الفرنسيين على النيجر خوفاً من إقدام سامورى على أى عمل عدائى ضد الفرنسيين (٥٤٣) .

حاول أحمدو الخروج من نيورو لملاقاة القوات الفرنسية ، ولكنه لم يقو على الصمود أمام المدفعية الفرنسية ، وفى أول يناير ١٨٩١ وصلت الحملة إلى نيورو فوجدت أن الحصن قد هجر تماماً ، فتم الاستيلاء عليها وبعد الاستيلاء على نيورو فر أحمدو فى اتجاه ماسينا فأرسل أرشينار حملة بقيادة مارشان إلى جنوب نيورو خوفاً من مهاجمة أحمدو للمدينة (٥٤٤) .

Hanotaux, G : op. cit., Tome IV, p. 186.

(٥٤١)

Oloruntimehin, B. : op. cit., p. 301.

(٥٤٢)

Meniaud, J. : op. cit., Tome II, pp. 8-12.

(٥٤٣)

Oloruntimehin, B. : op. cit., p. 304.

(٥٤٤)

(ج) انتهاء مقاومة أحمدو :

فر أحمدو إلى ماسينا ، وأخذ يستعد لمواجهة الفرنسيين أما أرشينار فجمع قوات الممبارا حوله واتصل بأجييو شقيق أحمدو ، ونصبه خليفة في سيجو ولكن زعماء التوكولور رفضوا الإعراف بخلافته لتحالفه مع أعدائهم ، اتجه أرشينار إلى ماسينا ، وتصدت له قوات التوكولور في جنى إلا أن أرشينار نجح في التغلب عليهم واستولى على جنى في ١٢ أبريل ١٨٩٣ وأنشأ فيها مركزاً فرنسياً ثم واصل تقدمه حتى وصلت قواته إلى ماسينا ، فوجدت أن أحمدو قد هجرها فحاولت تعقبه إلى بنديا جارا ، ولكنها فشلت في الإمساك به ، وعيّن أرشينار الكابتن بلاشير Blachère لحراسة بنديا جارا . كما ترك الملازم البحري بواتيه Boiteux في موبتي لكي يؤمن طريق المواصلات النهرية بين سيجو وديانا وبين موبتي وتمبكتو^(٥٤٥) .

أما أحمدو فقد لجأ إلى القبائل التي تعيش بين بندياجارا وهمبوري Hombori ، وقد حاول الكابتن بلاشير مباغتته في دالا Dalla في ١٩ مايو ١٨٩٣ إلا أنه نجح في الفرار وعبر النيجر واتجه إلى دامجا الواقعة على بعد ٢٥ كم من ساي ، وأخيرا ترك أحمدو المنطقة واستقر في سوكوتو عام ١٨٩٨ ، حيث توفي فيها^(٥٤٦) .

٢ - سامورى تورى وامبراطورية الماندنجو :

(أ) سامورى تورى فى النيجر :

فى الوقت الذى سعت فيه فرنسا لدعم سيطرتها على منطقة النيجر ، وكان عليها مواجهة خطرين الأول أحمدو شيخو زعيم التوكولور ، والثانى سامورى تورى زعيم الماندنجو . الذى كون دولته فى أعالي النيجر^(٥٤٧) ، وسعى للتوسع شمالا نحو منطقة ثنية النيجر ، بعد أن استولى على الضفة اليمنى للنهر ولذلك كان من الطبيعى أن يصطدم

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, pp. 194-195.

(٥٤٥)

Ibid., p. 195.

(٥٤٦)

(٥٤٧) انظر أراضى سامورى شكل (١) - (٢) - (٥) - (٦) .

سامورى مع الفرنسيين الذين سعوا للسيطرة على المناطق الداخلية فى غرب أفريقيا تمهيداً لإقامة امبراطوريتهم التوسعية ، وقد دام الصراع بين الطرفين من عام ١٨٨١ - حتى عام ١٨٩٨ دارت خلاله عدة معارك خطيرة أرهقت القوات الفرنسية ، واضطرت فرنسا فى النهاية إلى الاعتراف بمهارة سامورى العسكرية والدبلوماسية (٥٤٨) .

لم يكن الفرنسيون على علاقة وثيقة بسامورى ، فلم يسمعوا عنه من قبل حتى عام ١٨٧٨ وذلك لأن اهتمامهم الرئيسى تركز فى التصدى لامبراطورية التوكولور منذ فترة مبكرة . وقد بدأ أول اتصال بسامورى فى عام ١٨٨١ ، عندما أرسل له الملازم الكاماسا Alkamassa من كيتا Kita وطلب منه الابتعاد عن بلدة كينيرا Keniéra (٥٤٩) وكان سامورى يثير الرعب فى هذه البلدة ، وهى سوق كبيرة تقع على الضفة اليمنى لنهر النيجر بالقرب من سيجيرى ، كما كانت مركزاً هاماً لتجارة الذهب القادم من بوريه فى أعالي النيجر ، وتجارة الملح والأقمشة والخيول القادمة من الشمال وإزاء اعتداءات سامورى المتكررة على كينيرا ، أرسل حاكمها باجوبا Bagoba طالباً النجدة من الفرنسيين فى كيتا عام ١٨٨١ (٥٥٠) .

ولكن قائد حصن كيتا خشى التسرع فى إرسال نجدة إلى كينيرا خوفاً من توغل قواته فى بلاد مازالت مجهولة للفرنسيين ، ولذلك اكتفى بتشجيع باجوبا على مقاومة حصار قوات سامورى وأرسل إلى الأخير الملازم الكاماسا ، وهو أحد القواد المسلمين الذين عملوا فى خدمة الجيش الفرنسى ، ليحاول عقد صلح بين كل من سامورى وباجوبا ، ولكن سامورى رفض وساطة الفرنسيين وألقى بالمبعوث الفرنسى فى السجن (٥٥١) .

أما أهالى كينيرا فظلوا يعانون من شدة حصار قوات سامورى على المدينة ، وقد صدرت التعليمات من حاكم السنغال بعدم تخطى القوات الفرنسية حصن كيتا ، وعجز الفرنسيون عن تقديم أى مساعدة للمدينة المحاصرة ، وخاصة بعد تفشى الحمى الصفراء فى مستعمرة السنغال (٥٥٢) .

Sik,E. : op. cit., Vol. I, p. 314.

(٥٤٨)

Crowder, M. : op. cit., Colonial, p 124.

(٥٤٩)

Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 152.

(٥٥٠)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 201.

(٥٥١)

Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 127.

(٥٥٢)

وفى يناير ١٨٨٢ عين بورنى ديبور قائداً عسكرياً لأعلى النهر، فأعد حملة لفك الحصار عن كينيرا ولم يكن هدف الفرنسيين إنسانيا بالطبع ، وإنما أرادوا تلقين سامورى درسا ومنعه من الإغارة على البلاد المجاورة ، ولتأكيد السيطرة الفرنسية فى المنطقة ، بالإضافة إلى أن أحد الطرق الهامة المؤدية إلى النيجر وهو طريق وادى باخوى كان مسدودا فى وجه الفرنسيين بسبب وجود قوات سامورى ولذلك خشى ديبور من تزايد نفوذ سامورى خاصة أن المناطق الواقعة فى أعلى النيجر طلبت منه الدخول فى طاعته ^(٥٥٢) ولذلك كون ديبور حملته وخرج من حصن كيتا فى ١٦ فبراير ١٨٨٢ متجها صوب سيجيرى وأذاع جنوده بأنهم ينوون الإتجاه نحو حصن مورجالا وذلك لتمويه قوات سامورى ولكن فى ٢٦ فبراير علم ديبور بسقوط كينيرا فى يد سامورى . وعندما علم سامورى بقوم الحملة الفرنسية أرسل أخاه فابو Fabou للتصدى لها واستطاع أن يلحق بها هزيمة ساحقة فى ٢ مارس ١٨٨٢ ، واضطر ديبور للانسحاب بحملته ^(٥٥٣) .

وهكذا كانت حملة ديبور أول اتصال بين الطرفين ، أما الاتصال الثانى فكان فى عام ١٨٨٣ بعد أن وطد ديبور مركزه فى النيجر فوجيء بقدم فابو شقيق سامورى لغزو الأراضى الواقعة تحت السيطرة الفرنسية . كما حطم الخط التلغرافى الذى شيده الفرنسيون بين كيتا وباماكو على النيجر . وهاجم فابو الفرق الفرنسية فى باماكو ، ولذلك أسرع ديبور لمعاقبة سامورى وجنوده ولكنهم أجبروه على الانسحاب ^(٥٥٤) .

وعلى الرغم من هذه المصادمات إلا أنها كانت مجرد مناوشات بين طرفين ولم يكن سامورى قد دخل فى صراع حقيقى مع الفرنسيين ولم يعلن الجهاد ضدهم وإنما ركز اهتمامه فى مد حدود امبراطوريته والمحافظة على الأراضى الجديدة التى يغزوها .

ويلاحظ أن الدافع الدينى لدى سامورى كان أقل حدة عن غيره من الزعماء المسلمين ، فلم يكن مثل الحاج عمر الذى أعلن الجهاد ضد الوثنيين وضم أراضى جديدة ، وكون امبراطوريته من التوكولور على أساس دينى . فقد كان هدف سامورى الرئيسى هو تكوين امبراطورية من الماندنجو تسيطر على أعلى النيجر ^(٥٥٥) .

Crowder, M : op. cit., Colonial, p. 124.

(٥٥٢)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 202.

(٥٥٤)

Gann, L. : op. cit., Vol. I, p. 204.

(٥٥٥)

Collins, Robert : Problems in the history of Colonial Africa, U. S. A. 1960, p. 62.

(٥٥٦)

· وجدير بالذكر أن الفرنسيين لم يمثلوا أعداء ساموري الوحيدين ، فقد ناصب ساموري العداء تيبا Tieba وكان يحكم إقليم كيندوجو الواقع غرب باماكو ، وقد طمع ساموري في الاستيلاء على أراضيه ، وتوسيع حدود دولته على حساب تيبا الذي لجأ بدوره إلى الفرنسيين وتحالف معهم ليأمن جانب ساموري وقد شجعه الفرنسيون على محاربة ساموري ، وأمدوه بالأسلحة ووجد فيهم تيبا أنصاراً أقوياء يساندونه في البقاء في الحكم^(٥٥٧)

(ب) علاقة ساموري بالفرنسيين بعد عام ١٨٨٤ :

خلف كومب ديبورد في القيادة العسكرية فواصل سياسة عدائية تجاه ساموري وكان استيلاء الفرنسيين على مناجم بوريه Bouré الغنية بالذهب في أعالي النيجر سببا في إشعال نار العداوة بين الطرفين من جديد إذ اعتبر ساموري هذه المنطقة تابعة له^(٥٥٨) . وفي عام ١٨٨٤ استولى كومب على كينجابا الواقعة في مواجهة باماكو على النيجر ، وواصل في أوائل عام ١٨٨٥ بناء سلسلة من الحصون ، فتم بناء حصن في نياجاسولا Niagassola على الضفة اليسرى من النيجر وعهد إلى الكابتن لوفل Louvel بحراسته ، وعلم لوفل باجتياز قوات ساموري النهر واتجاهها نحو الحصن ، ولذلك أسرع بقواته لمواجهتها عند قرية نقاديه Nafadié الواقعة على الطريق بين نياجاسولا وسيجيري واشتبك الطرفان في معركة عنيفة أسفرت عن احتلال الفرنسيين للقرية ، ولكن لم تلبث قوات ساموري في اليوم التالي أن هاجمت القرية بثلاث آلاف من جنود السوفا وفرضت الحصار عليها وعندما وصلت أنباء حصار لوفل في نقادية أسرع كومب لنجدته ولكنه عجز عن الوصول إليه في الوقت المناسب ، لأن ساموري أرسل قواته لعرقلة تقدم كومب ونجح ساموري في إلحاق هزيمة قاسية بالفرنسيين^(٥٥٩) ورغم نجاح ساموري في مطاردة الفرنسيين ، إلا أنه أدرك خطورة الموقف وصعوبة السيطرة على المنطقة الواقعة عند ثنية النيجر لأن ذلك سيضعه بين شقى الرحا ، فالفرنسيون من جانب وحليفهم تيبا من جانب آخر في كيندوجو ووجد ساموري أن عليه أن يبحث عن قوة تسانده فارتبط بعلاقة صداقة مع حكام سيراليون ، وأرسل مبعوثيه إلى فريتاون وقد زوده التجار البريطانيون بأحدث الأسلحة^(٥٦٠) .

Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 59.

(٥٥٧)

Collins, R. : op. cit., p. 62.

(٥٥٨)

Hanotiaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 202.

(٥٥٩)

Fyee, C. : op. cit., p. 448.

(٥٦٠)

وعندما تولى فرى Frey القيادة العسكرية فى السودان الفرنسى انشغل بالقضاء على محمّدو لامين ، وركز جهوده ضده فى سنغيبيا وانتهاز سامورى هذه الفرصة لتدعيم سيطرته وكسب أراضى جديدة فعهد إلى شقيقه مالنكامورى Malinka Mori بحشد قواته التى بلغت حوالى عشرة آلاف مقاتل على الضفة اليسرى لنهر الباخوى كما عهد إلى فابو بإقامة التحصينات فى نياجاسولا^(٥١١) وإزاء ازدياد نشاط سامورى كان لابد لفرى من التصدى له ، فأعد حملة عبرت الضفة اليسرى لنهر الباخوى فى ٢ سبتمبر ١٨٨٥ وقسم قواته إلى مجموعتين ، الأولى تحت قيادته وهى التى عبرت معه النهر ، والثانية سارت بحذاء الضفة اليمنى للنهر وكان على المجموعتين الالتقاء فى نياجاسولا وتدمير تحصينات سامورى ، وقد وصلت قوات فرى إلى جاليه Galé فى ١٦ أبريل ١٨٨٦ فوجدت قوات سامورى قد أحرقتها وحاولت القوات الفرنسية تعقب مالنكامورى ولكنها فشلت حيث أن مالنكا كبدها خسائر فادحة^(٥١٢) .

والواقع أنه رغم انتصارات سامورى إلا أنه ضرورة عقد صلح مع الفرنسيين ليأمن جانبهم ، وأرسل إلى فرى مبعوثا يعرض عليه الصلح ولكن القائد الفرنسى أجابه بأنه لاصالح بينهما طالما بقى جندى واحد من جنود السوفا على الضفة اليسرى للنيجر^(٥١٣) .

وقد وافق سامورى على شروط الصلح ، وأرسل إلى زعماء وقواد جيشه يطلب منهم مغادرة الضفة اليسرى للنيجر ، والانتقال إلى الضفة اليمنى كما طلب سامورى من فرى إرسال بعثة لتوقيع معاهدة بين الطرفين فوافق وأرسل كلا من الكابتن تورنيه Tournier وراسين Racine والملازم بيروز ، وقد تقابلت البعثة مع سامورى فى ٢٥ مارس ١٨٨٦ فى كينيا كورا Keniaba Koura وتمت الموافقة بين الطرفين فى ١٦ أبريل على توقيع المعاهدة ، التى عرفت باسم معاهدة كينيا كورا^(٥١٤) .

وقد نصت المعاهدة على اعتراف سامورى بنفوذ فرنسا على الضفة اليسرى لنهر النيجر من نيامينا Nyamina حتى تنكيسو Tinkisso - كما وافق على التخلي عن المطالبة بحقوقه فى مناجم الذهب فى بوريه ، والاعتراف باستيلاء فرنسا عليها . أما البلاد الواقعة

Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 110.

(٥١١)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 204.

(٥١٢)

Ibid., p. 204.

(٥١٣)

Collins, R. : op. cit., p. 63.

(٥١٤)

على الضفة اليمنى للنيجر فتكون تحت سيطرة سامورى . وهكذا بفضل هذه المعاهدة دعم الفرنسيون سيطرتهم على الضفة اليسرى للنيجر ، من نيامينا حتى تنكيسو وكان على سامورى الإنسحاب بقواته من هذه المناطق وتركّت الضفة اليمنى للنيجر لسامورى حتى مملكة سيجو التابعة لأحمدو ولكن الحكومة الفرنسية لم ترض عن هذه المعاهدة واعتبرتها غير كافية لتحديد مناطق النفوذ الفرنسى ورأت ضرورة اتفاقية أخرى مع سامورى ^(٥٦٥) .

وينبغى ألا ننسى أن توقيع فرى هذه المعاهدة مع سامورى إنما كان ليأمن جانبه ، وخاصة وأنه ركز كل قواته لمواجهة محمدو لامين ، والتصدى له فكان عليه تأمين ظهر قواته ولو مؤقتا .

وما كاد جالينى يتولى قيادة السودان الفرنسى ، حتى عهد إلى الكابتن بيروز بتوقيع معاهدة ثانية مع سامورى فتم توقيع معاهدة بيساندوجو فى ٢٥ مارس ١٨٨٧ وفيما يلى أهم ماورد فيها :

١ - موافقة سامورى على أن يعتبر نهر النيجر بمثابة خط الحدود بينه وبين الفرنسيين ، كما وافق على التجارة مع المراكز التجارية الفرنسية ^(٥٦٦) .

٢ - اعتراف سامورى بحقوق فرنسا على الضفة اليسرى لنهر تنكيسو من منابعه حتى إلتقائه بنهر النيجر .

٣ - اعتراف سامورى بنفوذ فرنسا على الضفة اليسرى لنهر تنكيسو حتى نيامينا .

٤ - لتأكيد السيطرة الفرنسية فى هذه المناطق أنشأ الفرنسيون مراكز فى سيجيرى على الضفة اليسرى للنيجر .

٥ - أصبحت حدود السودان الفرنسى تمتد من النيجر من دجالا Deguela حتى تجيبيرى Tiguibiri ، ومن تنكيسو حتى منابعه وأصبحت المنطقة الممتدة من باماكو حتى سيجيرى خاضعة لنفوذ فرنسا .

٦ - أجبر سامورى بمقتضى المعاهدة ألا يتعدى غرب أعالي النيجر عند سيجيرى ، وانتزعت منه ممتلكاته فى شمال النيجر ^(٥٦٧) .

Hanotaux, G. : op. cit., Tome, p. 205.

(٥٦٥)

Gann, L. : op. cit. Vol. I, p. 207.

(٥٦٦)

Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 361

(٥٦٧)

يلاحظ مما سبق أن معاهدة ييساندوجو كانت أشمل وأدق في نصوصها من معاهدة كينيا كورا لأنها حددت بوضوح مناطق النفوذ الفرنسي ، ومناطق نفوذ ساموري ، كما حددت حدود السودان الفرنسي . وبتوقيع ساموري معاهدة ييساندوجو أمن ظهر قواته من الفرنسيين وبدأ نحو عدوه اللدود تيبا ، حليف الفرنسيين فهاجم المناطق الشمالية والشرقية لإقليم كنيديوجو كما حاصر عاصمة تيبا سيسكاسو وجدير بالذكر أنه أثناء حصار ساموري لسيكاسو التقى في ٢٦ سبتمبر ١٨٨٧ مع الكابتن بنجر ، وكان موفداً من قبل الحكومة الفرنسية للتعرف على البلاد الواقعة عند ثنية النيجر ، ولعقد اتفاقيات سياسية في المنطقة الواقعة في السودان الفرنسي حتى خليج غينيا ، وقد ألتقى الاثنان بالقرب من سيكاسو ، ورغم أن ساموري أحسن استقبال بنجر ودعاه لمشاهدة أسلحته الحديثة إلا أنه رفض توسطه للصلح مع تيبا ، ورفض أيضاً رفع الحصار عن عاصمته سيكاسو واستمر هذا الحصار ستة أشهر ، ولكن اضطر ساموري أخيراً إلى فك هذا الحصار لأن الفرنسيين عملوا على تهديد تجارة ساموري مع فريتاون ، وتحرشوا بقواته لإجباره على فك الحصار وذلك لأن تيبا كان حليفهم (٥٦٨) .

(ج) محاولة ساموري الاستفادة من التنافس الاستعماري الفرنسي البريطاني :

عمل ساموري على الاستفادة من التنافس البريطاني الفرنسي في المنطقة ، فعمل على استمالة حاكم سيراليون إليه ، وخاصة وأن الفرنسيين ساعدوا عدوه اللدود تيبا وأجبروه بفك الحصار عن سيكاسو ، ولذلك سعى للتقرب من البريطانيين في سيراليون .

وجديد بالذكر أن ساموري كان على اتصال بحكام سيراليون منذ ١٨٨٠ أرسل رسالة إلى سيرروي حاكم سيراليون من أجل تشجيع التجارة بين الطرفين ، كذلك أرسل بمبعوثيه إلى سيراليون عام ١٨٨٥ وعرض وضع بلاده تحت الحماية البريطانية ولكن الحكومة لم تحاول تلبية طلبه في ذلك الوقت (٥٦٩) .

ولكن بعد توقيع ساموري معاهدة ييساندوجو مع الفرنسيين أصبح لفرنسا سيطرة تامة على الأراضي الداخلية لسيراليون ، مما حال دون امتداد انجلترا للناخل ولذلك أرسل حاكم

Meniand, J. : op. cit., Tome I, pp. 346 – 365.

(٥٦٨)

Hausard's Parliamentary Debates Fourth Series third Volume for Session 1892, p. 1108.

(٥٦٩)

سيراليون ضابطا بريطانيا ١٨٨٨ يدعى فستنج Festing لتوقيع معاهدة مع سامورى وقد اختير فستنج لهذه المهمة نظراً لإلمامه باللغة العربية ودرايته بالعادات والتقاليد الإسلامية ، وكان قد سبق له التفاوض من قبل مع الزعماء الوطنيين فله إذن خبرة فى مثل هذه الأمور^(٥٧٠) وقد أقنع فستنج سامورى بمد خط حديدى بين أراضيه وسيراليون ، فوافق سامورى ولكنه اشترط ضمان استمرار تجارته مع فريتاون ، واتفق الطرفان على توقيع معاهدة بينهما وأدى التقارب بين سامورى وفريتاون إلى غضب السلطات الفرنسية التى رأت فى ذلك الاتفاق خطورة على مصالحها^(٥٧١) . كذلك تخوفت بريطانيا من النشاط الفرنسى فى المنطقة .

فقد حذرت وزارة الحرية البريطانية من خطورة معاهدة بيسانودجو لأنه بمقتضاها سيطرت فرنسا على الأراضى الداخلية لسيراليون التى تعتبر من أهم المحطات الرئيسية البريطانية المؤدية إلى مستعمرة الرأس ، وقد انققت عليها بريطانيا الكثير من الأموال ، ولذلك فإن تركيز النشاط الفرنسى فى هذه المناطق بالإضافة إلى فوتاجالون شكل خطراً كبيراً على بريطانيا ، وخاصة أن جاللىنى أعلن فى ٢٩ أبريل ١٨٨٧ بأن حماية فرنسا تمتد على طول ضفة النيجر اليمنى من سيجو حتى سيراليون وجمهورية ليبيريا ، بالإضافة إلى . منطقة فوتاجالون فمئذ عام ١٨٨٧ وفرنسا تسعى للتوغل فى سنغيبيا والنيجر وعملت على ربط النيجر بمنطقة أنهار الجنوب ، وربط أعالي النيجر بساحل العاج ، ولذلك فإن السياسة الفرنسية تعتبر أكثر فعالية ونشاطاً من السياسة البريطانية فى المنطقة وبنيت وزارة الحرية أنه لا بد من اتخاذ الإجراءات اللازمة للحيلولة دون توغل النفوذ الفرنسى لأن انجلترا ستجد نفسها قد أحيطت بالمعاهدات الفرنسية من كل جانب فى غرب أفريقيا ، ولذلك يجب عليها يجب عليها التحرك وعقد معاهدات مماثلة مع الزعماء الوطنيين وأكدت الوزارة ضرورة توقيع معاهدة مع سامورى باعتباره من أهم الزعماء فى المنطقة^(٥٧٢) .

عملت حكومة سيراليون على الاتصال بسامورى وتوثيق الصلة معه فاستقبل حاكم سيراليون ١٨٨٩ بنتى كاراماكو Binty Caramako موفداً من قبل سامورى للتفاوض على العمليات التجارية ، وتوثيق الصلة بين الطرفين .

Fycc, : op. cit., P. 463.

(٥٧٠)

Gann, L. ; op. cit., Vol I, p. 209.

(٥٧١)

F. O. 403 / 85 N° 47 War office to Foreign office, May 21 1889.

(٥٧٢)

وعلى الرغم من الاتصال بين سيراليون وسامورى إلا أن حاكم سيراليون هاى Hay كتب إلى حكومته منددا باعتداء الفرنسيين على أهالى سامو وهى تقع فى دائرة النفوذ البريطانى وقد قام الجنود الفرنسيون بتمزيق العلم البريطانى رمز الحماية البريطانية على أراضيهم ، كما قدر تجار سيراليون شكوى بخصوص إحراق وكالاتهم التجارية ^(٥٧٣) .

ويرجع تصرف فرنسا مع أهالى سامو بأن فرنسا أرادت إثبات حقها فى هذه الجهات ، وخاصة وبعد أن أمنت نفسها بمعاهدتها مع سامورى التى أتاحت لها فرصة الامتداد نحو مستعمرة سيراليون .

وقد استمر سامورى فى توطيد صلاته بسيراليون ، وخاصة أنها مثلت بالنسبة له المصدر الرئيسى للسلاح ، حيث كان التجار البريطانيون يبيعون له الأسلحة المتطورة وقد احتجت فرنسا وأرسل وادنجتون Waddington السفير الفرنسى فى لندن إلى وزير الخارجية الفرنسى ريبو Ribot فى ٦ نوفمبر ١٨٩١ يخبره بأنه لفت نظر اللورد سولسبورى بخصوص تجارة الأسلحة السريعة الطلقات التى يقوم التجار البريطانيون فى الوكالات البريطانية فى سيراليون ببيعها لسامورى ، وأنه طلب منه ضرورة منع تجارة الأسلحة والذخيرة فى المستعمرة البريطانية سيراليون كذلك فى الأراضى الفرنسية فى منطقة أنهار الجنوب ^(٥٧٤) .

ولكن استمرت تجارة الأسلحة فى فريتاون مما دعا وزير الخارجية الفرنسى فى ٢٨ مارس ١٨٩٢ إلى تبليغ اللورد سولسبورى بضرورة منع هذه التجارة فى سيراليون ^(٥٧٥) .

(د) سياسة أرشينار التوسعية ونتائجها :

كان قدوم أرشينار إلى السودان الفرنسى ، وتولى قيادة الجيش نقطة تحول فى تاريخ السودان ، فأراؤه الاستعمارية ورغبته الجامحة فى التوسع العسكرى وفى فرض السيطرة الفرنسية عن طريق القوة ستغير وجه السودان وقد وجد أرشينار فى سامورى أكبر خطر يهدد الفرنسيين فى المنطقة . فعلى الرغم من توقيعه لمعاهدة بيسانودجو إلا أنه استمر فى تسليح جيشه بأحداث الأسلحة وتدريبه على أحدث المعدات ، واستمر فى شن الغارات على

F. O. 403/85. NO 52, Governor. Hoy Apzil 23, 1889

D. D. F. 1er Serie Tome IX T° N 81, p. 92.

D. D. F. 1er Serie Tome IX, D° 72, p. 365.

(٥٧٣)

(٥٧٤)

(٥٧٥)

المدن والقرى المجاورة . كما أنه لم يحترم نصوص المعاهدة واستمر جنوده فى الإغارة على الأراضى التابعة لفرنسا . وقد أرسل إليه أرشيناى يحذره من مغبه أعماله ، ويذكره بنصوص المعاهدة المعقودة بينه وبين الفرنسيين . ولتجنب الصدام معه أرسل إليه أرشيناى طالباً توقيع معاهدة جديدة ، فوافق سامورى وتم توقيع معاهدة نياكو Niako فى عام ١٨٨٩ وبمقتضاها سلم سامورى الأراضى الواقعة بين تنكيسو وأعالى النيجر إلى الفرنسيين كما تعهد بمنع جنوده من الإغارة عليها . وتأكيداً لنصوص المعاهدة أنشأ الفرنسيون مركزاً فى كوروسا على الضفة اليسرى لأعالى النيجر وذلك لمراقبة المنطقة ، ومنع جنود سامورى من الإغارة عليها (٥٧٦) .

ورغم توقيع سامورى لمعاهدة نياكو فقد سعى للتقرب من حكام سيراليون وأرسل إلى حاكم سيراليون مبدياً استعداداه لتوقيع معاهدة حماية معه ، وبناء على طلب سامورى وقع فى ٢٤ مايو ١٨٩٠ معاهدة ثانية مع البريطانيين وقعها معه القائد البريطانى جارىت Garret وقد وافق سامورى على شروط جارىت ، وتعهد بالاستولى على أراضى جديدة إلا بعد إخطار الحكومة البريطانية ، ولكن هذه المعاهدة لم يكتب لها النجاح ، وذلك لأن الحكومة البريطانية قررت الاعتراف بمعاهدات الحماية التى عقدتها فرنسا فى غرب أفريقيا ولذلك لم تعترف بمعاهدة جارىت وأعلنت عدم شرعيتها ، وحاول مبعوث سامورى فى فريتاون يائساً إقناع الحاكم البريطانى بالتمسك بالمعاهدة ولكنه رفض (٥٧٧) .

وجدير بالذكر أن سامورى قبل توقيع معاهدة جارىت مع البريطانيين أرسل إلى أرشيناى ١٨٨٩ النسخ الخاصة به من معاهدة نياكو ، وأعلن تخليه عنها واستمر جنوده فى الإغارة على المدن والواقعة تحت سيطرة فرنسا ، كما استمروا فى عبور النهر ، وتهديد الأراضى التى فى حوزة الفرنسيين (٥٧٨) .

يلاحظ أن سامورى إلى جانب قوته العسكرية ومهارته الحربية ، فإنه تميز أيضاً بالدبلوماسية البارة وسعى للوقية بين كل من السلطتين الفرنسية والبريطانية فبعد توقيع معاهدة بيسانودوجو مع الفرنسيين ، وقع فى العام التالى معاهدة فستنيج مع القائد

Hanotaux, G. : op. cit , Tome IV, p. 206.

(٥٧٦)

Gann, L., H. : op. cit., Vol. I, p. 210.

(٥٧٧)

Forstner, K. : op. cit., p. 183.

(٥٧٨)

البريطاني ، كذلك بعد توقيعه معاهدة نياكو سرعان ما أعلن رفضها ووقع معاهدة ثانية مع البريطانيين ، فوقع معاهدة جاريت وذلك صم أرشينار على التخلص منه ومن المشاكل التي دأب على إثارتها .

وجه أرشينار كل جهوده ضد ساموري وسعى لتأكيد صداقته مع تيبا ، وأرسل إليه بعثة بقيادة الكابتن كيكندون والدكتور كروزا Crozat وحصلا منه على تأكيدات بانضمامه إليهم في حربهم ضد ساموري . وقد حققت البعثة هدفا آخر وهو التعرف على المناطق والأقاليم المجاورة لكنيدوجو^(٥٧٩) وقد استمرت أعمال البعثة من ١١ إلى ٢٧ مايو ١٨٩٠ ، ورحب بها تيبا كما أستقبلت البعثة الفرنسية شقيقة تيبا سين كيلى Sin Kili سين كيلى وكانت تحكم إقليم ديولابوجو Daoulabougo ولديها جيش قوى وأعربت عن إستعدادها للتعاون مع الفرنسيين ضد ساموري^(٥٨٠) .

حاول أرشينار مهادنة ساموري ، حتى يستعد لضم أراضيه فأرسل إليه عدة رسائل في ظاهرها الحرص على صداقته وإستمالته إلى جانبه حتى يركن إلى الهدوء ، فيأخذه مباغثة فأرسل إليه في ٩ ديسمبر ١٨٨٨ أى بعد توليه منصبه بفترة قصيرة ، يعرب له عن رغبته في إقامة علاقات ودية معه وأرسل له رسالة ثانية في ٣ يناير ١٨٨٩ أعرب فيها عن رغبته في السلام بينهما وطلب منه عدم عبور جنوده ضفة النيجر^(٥٨١) .

وفي ٢٧ مارس ١٨٨٩ أرسل أرشينار رسالة ثالثة دعى فيها ساموري لزيارة سيجيري ، وحاول في هذه الرسالة إثبات حسن نواياه ، وأعلن لساموري أنه سوف يستقبله في سيجيري استقبالا يليق بالملوك^(٥٨٢) .

ورغم رسائل أرشينار المتوالية إلا أن ساموري استمر في اكتساح القرى الواقعة على حدوده مع الفرنسيين ، ولم يكن ساموري مثل تيبا ينخدع بالمظاهر البراقة ، ومظاهر الاستقبال الفخمة التي وعده بها أرشينار ، فقد كان بعيد النظر ويدرك تماما مطامع الفرنسيين . وقد حاول أرشينار إرضاءه فأخبره بأنه لا يريد منه سوى احترام المعاهدة التي

Collins, R. : op. cit., P. 64.

(٥٧٩)

Gann, L.H. : op. cit., Vol. I, P. 210.

(٥٨٠)

Meniaud, J. : op. cit., Tome II, pp. 135-136.

(٥٨١)

Ibid., P. 136.

(٥٨٢)

عقدها مع الفرنسيين ، وأنه يريد حمايته ولذلك يعرض عليه تعيين ضابط فرنسي في أراضيه ، وأن الفرنسيين يريدون أن يكونوا جيرانا لملك عظيم مثله ، ولكن ساموري رفض عروض أرشينار فكان معنى قبوله إقامة ضابط فرنسي في أراضيه ، الوقوف على مدى استعدادته وإمكانياته العسكرية ^(٥٨٣) وكان إرسال معاهدة نياكو إلى أرشينار معناه عدم ثقة ساموري في وعود أرشينار ، رغم كل ما بذله لإخفاء نواياه الاستعمارية ، وقد أرسل أرشينار مبعوثيه لساموري لثنيه عن عزمه ولكنه رفض الاستماع لهم ^(٥٨٤) .

وإزاء تطور الأحداث وتمسك ساموري بمهاجمة القرى والمدن التابعة لنفوذ فرنسا ، بدأ أرشينار يستعد لمهاجمته رغم تحذير حاكم السنغال دي لاموت De Lamoth إلا أن أرشينار كان قد عقد العزم على الإستيلاء على كل من كنكان وبيساندوجو ^(٥٨٥) .

في ١٠ مارس ١٨٩١ بدأت الحملة في السير على الضفة اليسرى للنيجر بعد أن خرجت من كايس وفي ٢٣ مارس وصلت الحملة إلى كوليكور Koulikore ثم عبرت الحملة النهر إلى الضفة اليمنى حيث ترابطت قوات ساموري ، ثم عسكرت في أول ابريل في كركورو Karkoro وقد أعلنت القرى التابعة لساموري خضوعها للفرنسيين ، وذلك خشية الانتقام منهم ، وأمدت الفرنسيين بالمواشي والطعام وكان هدف الحملة قطع الطريق المؤدى إلى كنكان ، وقد وصلت الحملة إلى نقاديه فوجدت أن ساموري قد أحرقها ، وعندما شعر ساموري باقتراب الفرنسيين قام بإحراق كنكان ، وهكذا دخلت القوات الفرنسية كنكان لتجدها خالية من السكان ^(٥٨٦) .

حقق الفرنسيون باستيلائهم على كنكان عدة نتائج :

- ١ - أعادوا تنظيم كنكان ليسهل عليهم إدارتها ، ولكن قوات ساموري كانت لهم بالمرصاد ، فلم تكف عن الإغارة عليهم .

Meniaud, J. : op. cit., Tome II, pp. 140-141

(٥٨٣)

Forstner, K. op. cit., p. 183.

(٥٨٤)

Ibid., p. 184.

(٥٨٥)

Meniaud, J. : op. cit., Tome II, pp.160-161.

(٥٨٦)

٢ - لم يكن معنى إستيلاء الفرنسيين على كئكان إنتهاء مقاومة سامورى وجنوده فقد استمروا فى التحرش بالفرنسيين فأرسل كالى Kali زعيم السوفا حملة لمهاجمة القرى التابعة للفرنسيين ، كذلك كلف سامورى ابنه كراماكو Karamako وأخاه الفا Alfa بمهاجمة الفرنسيين .

٣ - اتخذ أرشينار من سيجيرى نقطة لمراقبة منطقة بوريه ومنع وقوعها فى يد سامورى .

٤ - كلف أرشينار الكابتن هوجينى Hugueny يتعقب جنود السوفا لمنعهم من الإغارة على المراكز الفرنسية .

٥ - كان الاستيلاء على كئكان صدى كبير فى المنطقة ، فقد شعر الزعماء الوطنيون مدى خطورة القوة العسكرية الفرنسية فأعلن أجيبو شقيق أحمدو خضوعه للفرنسيين (٥٨٧) .

توجهت حملة أرشينار بعد استيلائها على كئكان إلى ويساندجو ولكن سامورى دمرها ليمنع الفرنسيين الاستفادة منها ، ثم اتخذ أرشينار من سانيه Sanié مركز المراقبة المنطقة وكانت تقع عند مدخل نهر ميلو (٥٨٨) .

وجدير بالذكر أن حملات أرشينار لفتت أنظار البرلمان الفرنسى ، فصدر أمرا فى ديسمبر ١٨٩١ بعدم التوسع العسكرى فى السودان ، والاكتفاء بتنظيم الأراضى التى استولى عليها أرشينار ورأى دلكاسيه ضرورة إنهاء حالة الحرب فى السودان ، والعمل على تطويره اقتصاديا ، ولذلك صدرت الأوامر بتعيين حاكم مدنى وهو جروديه Grodé وقد نبهه بـيلكاسيه بأن تنظيم السودان وإدارته أصعب من غزوه (٥٨٩) .

يلاحظ أنه بعد الإستيلاء على كئكان ويساندجو ، بدأت فكرة الاتحاد بين الزعماء الوطنيين تظهر إلى حيز الوجود نتيجة للخطر المشترك ، فقد أرسل أحمدو شبحو إلى تيبا بالهدايا والمبعوثين وكتب سامورى إلى أحمدو بأنه لا بد من إتحاد الزعماء الثلاث ليسهل عليهم هزيمة الفرنسيين ولكن جاءت هذه الفكرة للأسف متأخرة ، لأن فرنسا كانت قد

Meniaud, J. : op. cit., Tome II, p. 161.

(٥٨٧)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 206.

(٥٨٨)

Forstner, K. : op. cit., p. 216.

(٥٨٩)

عزمت على اكتساح المنطقة وخاصة وأن الضعف انتاب قوات الزعماء الثلاث ولم يعد في مقدورهم القتال (٥٩٠) .

تولى القيادة في السودان كومب Combes خلال عامي ١٨٩٢ - ١٨٩٣ ، وقد أصدر إليه أرشبنار تعليمات بضرورة القضاء على ساموري ، وقد قام كومب بعدة حملات ضده فوصلت قواته حتى حدود سيراليون ، ولكن جيش ساموري ظل يقاوم ببسالة ثم بدأ ساموري في الاتجاه نحو الشرق ، واستمر في مهاجمة الأراضي الواقعة بين سيكاسو وباؤولي Baoulé وعمل على غزو الأودية العليا لنهر كومويه (٥٩١) وفي ديسمبر ١٨٩٣ فاجأ الكولونيل بونيه Bonnier جيش ساموري في كولوني Koloni فاضطر ساموري إلى الاستنجاد بقوات ابنه الذي كان يعسكر في أعالي كينيا Konya الواقعة في طريق مونروفيا Monrovia في الجنوب ، وكان هذا معناه أن ساموري لم يعد على اتصال بسيراليون أو قريب منها وكانت تمثل بالنسبة له مصدرا هاما للأسلحة (٥٩٢) .

ولوقف تقدم ساموري أرسلت حملة بقيادة موتى من جران بسم صوب الشمال ولكن جنود السوفا التابعين لساموري تصدوا لها واحتلوا بوندوكو وكونج وذبخوا عدداً كبيراً من الأهالي (٥٩٣) وفي ذلك الوقت وصل الكابتن مارشان إلى كونج فطلب منه الأهالي النجدة ، وصدرت الأوامر لحملة موتى بالتوجه من كونج لإلقاء القبض على ساموري ، واضطرت الحملة إلى اختراق منطقة الغابات التي تحيط ساحل العاج وقد ألحق ساموري خسائر فادحة بالحملة وأسر عدداً كبيراً من أفرادها وباعهم كرقيق للحصول على الأسلحة (٥٩٤) .

وبعد هذه التطورات أرسل حاكم السنغال شوديه Chaudié الكابتن برولت Braulot على رأس بعثة لعرض معاهدة سلام مع ساموري ، إلا أن ترجمة النص العربي وجده ساموري مختلفاً عن النص الفرنسي فرفض توقيع المعاهدة ، واستمر النزاع بين الطرفين من جديد وانسحب ساموري بقواته إلى الأراضي الداخلية لساحل العاج ، موجها نشاطه ضد بلاد سينوفو Senefou في الجنوب ومملكة ابرون وذلك في عام ١٨٩٣ (٥٩٥) .

Meniaud, J. : op. cit., Tome II, p. 277.

(٥٩٠)

Crowder, M. : op. cit., Resistance; p. 137.

(٥٩١)

Ibid., p. 137.

(٥٩٢)

Guernier, E. : op.cit., Tome I, p. 59.

(٥٩٣)

Hanotiaux, G. : op. cit., Tome IV, p.211.

(٥٩٤)

Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p.111.

(٥٩٥)

وقد اقترب سامورى بانتقاله إلى الأراضى الداخلية لساحل العاج من المستعمرات البريطانية ، وقد نشر فى ٢ ديسمبر ١٨٩٣ فى جريدة التيمس البريطانية كذلك ، فى جريدة سيراليون نيوز فى ٩ ديسمبر ١٨٩٣ عن نشاط سامورى ، وعن إرسال حملة بريطانية لتعقب جنود السوفا الذين استمروا فى الإغارة على مدن وقرى تابعة لـانجلترا ، وقد تساءل أعضاء مجلس العموم عن أسباب هذه الحملة ورد بوكستون Buxton وكيل وزارة المستعمرات بأنها كانت ضرورية لأن جنود السوفا ألقوا القبض على الأهالى وباعوا عدداً منهم كرقيق (٥٩٦) .

وقد أدى تقدم سامورى فى الأراضى الداخلية لساحل العاج إلى أنه أصبح الآن بالقرب من مستعمرة بريطانية فى ساحل الذهب ، وقد أرسل سامورى برسائل إلى حاكم ساحل الذهب ، عارضاً عليه صداقته ، وإقامة علاقة معه ، وقد احتجت فرنسا على هذه الرسائل ولكن هوارد Howard القائم بالأعمال البريطانية فى باريس أرسل إلى وزير الخارجية الفرنسى فى سبتمبر ١٨٩٥ ، مؤكداً بأن سامورى أراد بالفعل إقامة علاقة اقتصادية وتجارية مع حاكم ساحل الذهب ، ولكنه رفض وأجابه بأنه لا يستطيع إقامة أى علاقات معه طالما ما زال فى حالة حرب مع فرنسا ، وهى دولة صديقة للحكومة البريطانية (٥٩٧) .

وهكذا نرى أن سامورى بعد انتقاله إلى الأراضى الداخلية لساحل العاج مثل خطراً على السلطات البريطانية ، التى رفضت إقامة أية علاقات معه . كما أدت سياسة أرشبنار وخلفائه من بعده ، إلى انتهاء مقاومة سامورى .

ورغم أنه نجح فى ١٨٩٥ فى الإستيلاء على مملكة ابرون Abron الواقعة وسط بوندوكو ، كما استولى فى سنة ١٨٩٦ على جوندجا Gondja وفى ١٨٩٧ عمل على توسيع نفوذه وتقوية جيشه ، إلا أن الوضع اختلف الآن لأن انجلترا فى ساحل الذهب استولت على كوماسى وسعت للتوسع فى أراضى المومسى أى فى الأراضى الداخلية لساحل العاج ، فرفضت تزويده بالأسلحة ، ورغم تلك الصعوبات نجح سامورى فى الاستيلاء على كونج سنه ١٨٩٧ (٥٩٨) .

Hansard Fourth Series Vol XXI, 1894, p.597.

D.D.F. 1er Serie Tome VII, p. 212 L.

Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 138.

(٥٩٦)

(٥٩٧)

(٥٩٨)

كان استيلاء الفرنسيين على سيكاسو ١٨٩٨ من العوامل التي ساعدت على القبض على سامورى ، وتقصيل ذلك أن بابمبا BaBemba خليفة تيبا ، رفض إنشاء مركز فرنسى فى عاصمة بلاده سيكاسو فأرسلوا إليه حملة استولت على بلاده ، وحاصرت سيكاسو حتى نجحت فى الإستيلاء عليها وقتل بامبا ، وعندما علم سامورى بإستيلاء الفرنسيين على سيكاسو كان محتما فى ذلك الوقت فى تينوا Tiénoi فانسحب منها بعد أن أحرقتها ، ثم بدأت مطاردة الفرنسيين له ^(٥٩١) .

فى ١٨٩٨ جمع سامورى قواته على حدود دن Dan ومان Man فتصدى له دى لارتيج De Lartigue ، وكان قد تولى القيادة ضد سامورى ، ولكن سامورى هزمه فى مايو ١٨٩٨ فى Owé ^(٥٩٢) واستمر دى لارتيج فى تعقب سامورى الذى رأى صعوبة كبيرة فى الاستمرار فى المقاومة ، فأرسل إلى القائد الفرنسى كتابا يطلب فيه السماح له بالعودة إلى مسقط رأسه فى سائنكورو للإقامة فيها ولكن لارتيج رفض إلا بشرطين ، الأول تسليم سامورى لأسلحته والثانى تسليمه لأبنائه ^(٥٩٣) وفى أثناء المفاوضات بين الطرفين نجح الملازم وولفل Woelfel والكابتن جادن Gaden من منع جنود السوفا من الالتجاء إلى ليبيريا ، وأسروا عدداً كبيراً منهم وتمركز وولفل فى نزو Nzo فى انتظار وصول الإمدادات من دى لارتيج ، فأرسل لهم نجدة بقيادة جورو Gouraud الذى تعقب سامورى فى Guiro فوجد أنه أحرقتها كذلك فر سامورى من Zougouless ^(٥٩٤) .

ثم بدأ الهجوم الأخير على سامورى وقسمت الحملة إلى قسمين ، قسم يتولى القبض على عائلة سامورى ، والآخر لتعقب سامورى نفسه ، وصدرت الأوامر بعدم قتل سامورى أو إطلاق النار عليه لأن قتله سوف يؤدى إلى إثارة الاضطرابات فى السودان ورأى الفرنسيون أنه من الأفضل إذلاله أمام أعوانه وأخيراً ثم إلقاء القبض عليه فى جليمو Guélemou ^(٥٩٥) ونفى إلى جزيرة أوجويه Ogoué وظل فيها حتى توفى عام ١٩٠٠ ^(٥٩٦) .

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, pp. 222-225.

(٥٩١)

Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 140.

(٦٠٠)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, pp. 227 - 229.

(٦٠١)

Beslier, : op. cit., p. 177.

(٦٠٢)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, P. 229.

(٦٠٣)

Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 140.

(٦٠٤)

من العرض السابق يتضح لنا أن فرنسا دعمت سيطرتها في منطقة غينيا الفرنسية عن طريق التوسع في المنطقة الساحلية المعروفة بأنهار الجنوب ، وفي المنطقة الداخلية في فوتا جالون .

وقد أتاح لها هذا التوسع الامتداد نحو النيجر فمدت نفوذها إلى أعالي النيجر بعد أن قضت على امبراطورية التكرور بزعامة أحمدو شيخو وامبراطورية الماندنغو بزعامة ساموري توري .

الفصل الرابع

بداية ظهور معالم أفريقيا الغربية الفرنسية

أولا - الاستيلاء على تمبكتو وتدعيم السيطرة الفرنسية على
ثنية النيجر

ثانيا - الإمتداد الفرنسى نحو تشاد

ثالثا - موريتانيا

أولا - الإستيلاء على تمبكتو وتدعيم السيطرة الفرنسية على ثنية النيجر :

استولى الفرنسيون على أراضى سامورى فى منطقة النيجر ، ونجحوا فى دخول كنانك وبيساندوجو ١٨٩١ واضطروا سامورى إلى الانتقال من منطقة أعالى النيجر صوب الأراضى الداخلية لساحل العاج مكونا بذلك إمبراطوريته الثانية ^(٦٠٥) . كذلك نجح الفرنسيون فى استبعاد أحمدو شيخو من مراكزه فى النيجر ، فاستولوا على نيورو سنة ١٨٩١ واضطر أحمدو إلى الفرار نحو سوكوتو ، وبذلك دعم الفرنسيون سيطرتهم على بضفتى أعالى النيجر اليمنى واليسرى ^(٦٠٦) واستتبع ذلك ضرورة امتدادهم نحو منطقة ثنية النيجر التى ضمت مدينة على جانب كبير من الأهمية وهى مدينة تمبكتو التى حكمها الطوارق ^(٦٠٧) .

وقد تأسست مدينة تمبكتو فى النيجر الأعلى فى القرن الحادى عشر الميلادى وأصبحت سوقا هامة للتجارة يفد عليها التجار والرحالة عن طريق النهر ^(٦٠٨) ويرجع اسم تمبكتو ^(٦٠٩) بناء على الرواية التى ذكرها لنا الحسن بن الوزان بأن الطوارق أقاموا مركزا لبضائعهم وعهدوا إلى عبد لهم يدعى تينبو بحراسته ثم تحول هذا المكان على ألسنة الناس إلى تونبوتو ولفظها العرب تونبوكو وقد استقر فى هذا المكان العديد من التجار والعلماء ثم نمت المدينة واتسعت وسيطر عليها الطوارق ^(٦١٠) .

Meniaud, J. : op. cit., Tome, II, p. 160.

(٦٠٥)

Olorun timehin, O. : op. cit., p. 304.

(٦٠٦)

(٦٠٧) خضعت تمبكتو لامبراطورية مالى ثم سنغاي فى العصور الوسطى وعندما ضعفت امبراطورية سنغاي استولى باشوات المغرب على تمبكتو ففزاها القائد محمود ١٥٩٠ وظلت الادارة المغربية فيها حتى ضعفت فتولى حكم المدينة الطوارق منذ عام ١٧٩٢ .

(٦٠٨) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الخامس ، ص ٤٦٥ .

(٦٠٩) ذكرت بعض الروايات أن اسم تمبكتو يرجع لامرأة اعتادت الإقامة فى هذا المكان لخدمة التجار فسميت المدينة باسمها .

(٦١٠) الحسن بن محمد الوزان الزياتى (ليون الأفريقى) . وصف أفريقيا ، ترجمة د . عبد الرحمن حميد ، طبعة الرياض ١٣٩٩ ، ص ٥٣٩ .

أما عن اتصال مدينة تمبكتو بالأوروبيين فمنذ القرن الحادى عشر الميلادى تعاملت المدينة مع الثغور الإيطالية وخاصة فلورنسا وذلك عن طريق تجار تونس وطرابلس^(١١١) ثم جذبت المدينة انتباه البرتغاليين ، فأقاموا معها علاقات اقتصادية عن طريق قواعدهم فى أرجيوم ، ثم ازداد اهتمام الأوروبيين بها وخاصة بعد نشر كتاب الحسن بن الوزان ، وصف أفريقيا فى القرن السادس عشر فذاعت شهرة المدينة ، وكثرت الأساطير حولها بسبب وجود استغلال مناجم الذهب الوفيرة فتطلع الأوروبيون إلى الوصول إليها واستغلال ثرواتها^(١١٢) .

وبالإضافة إلى الشهرة الكبيرة التى اكتسبتها المدينة لأهميتها التجارية إلا أنها اشتهرت كمركز إسلامى كبير فى المنطقة وتوافد عليها الطلبة والعلماء حتى أصبحت من أهم مدن السودان الغربى فى القرن التاسع عشر واستمرت المدينة فى علاقاتها التجارية مع المدن المحيطة بها وكان الجزء الأكبر من القوافل التجارية بين الساحل المغربى والسودان يتحول إلى تمبكتو^(١١٣) فقد كانت هناك ثلاث طرق للتجارة أهمها طريق تغازة تمبكتو فى الغرب ، وغدامس وإيرى إلى الهوسا فى الوسط ، وطريق ثالث من فزان إلى بورنو فى الشرق ، وكان طريق تغازة تمبكتو من أهم هذه الطرق . وقد اشتهرت تمبكتو بتجارة الذهب والملح وظل التجار الأوروبيون على اتصالهم بها فتاجرت المدينة مع الوكالات الأوروبية فى السنغال وغمبيا عن طريق سنساندنجن وباماكو الواقعتين على نهر النيجر^(١١٤) .

توالى الرحلات إلى مدينة تمبكتو فى القرن التاسع عشر فزارها د . بارث وتكبد الكثير من المخاطر أثناء اتجاهه إليها ، ولقى العداء وعدم الترحيب من قبل أهالى حمدالله ، الذين قطعوا عليه الطريق المؤدى إلى تمبكتو ، ثم وصل المدينة فى ٧ سبتمبر ١٨٥٣ . وقدم لنا د . بارث وصفا دقيقا عنها فذكر أنها تتكون من عدة قوى سياسية ففيها العرب الذين ينتمون إلى قبائل مختلفة ، كذلك الطوارق ولهم السلطة العليا فى المدينة ، وقبائل الفولانى

(١١١) عبد الرحمن ، ركي : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(١١٢) Latimer, Elizabeth : Europe in Africa in the Nineteenth Century, Chicago 1895, pp

408 410.

(١١٣) توماس ، اربولد : المرجع السابق ، ص ٣٥٠ .

(١١٤) بوفيل : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

والبمبارا والمالنكة ورغم تعدد القوى السياسية ، واختلاف أصولهم إلا أنهم جميعا يتفقون على عدم الترحيب بالأوروبيين . وقد سجل د . بارث نتائج رحلته فى كتابه أسرار تمبكتو Les Mystères de Tombouctou الذى ذكر فيه بأنه أصيب بخيبة أمل بعد مشاهدته للمدينة ، فقد كان يتوقع حسب الأساطير والروايات التى نسجت حولها وعن مدى ثرائها أن تكون المدينة أكثر تقدما مما وجدها عليه فكتب بأنها لاتستحق تلك الشهرة التى نالتها فهى مدينة صغيرة بدائية وغير صحية . وقد استغرقت رحلة بارث ثلاث سنوات سجل فيها كل ما يتعلق برحلته اجتماعيا وتاريخيا وقد وصل فزان ١٨٥٥ ومنها إلى طرابلس حيث أبحر عائداً إلى لندن (٦١٥) .

وجدير بالذكر أنه على الرغم من رحلة بارث وتسجيله مشاهدته فى السودان الغربى وتمبكتو إلا أن الحكومة البريطانية لم تهتم بالسيطرة على المدينة وإنما ركزت اهتمامها على النواحي التجارية فقط . وقد استقبل الشيخ البكائى 'El Bakai' بارث فى تمبكتو وأعرب له عن رغبته واستعداده للتفاوض مع السلطات البريطانية لأنه كان يخشى من تزايد النفوذ الفرنسى فى أراضيه . وأرسل البكائى بعثه ١٨٥٧ إلى طرابلس لمقابلة هرمن Herman القنصل البريطانى وإطلاعه على نشاط فرنسا فى المنطقة إلا أن الحكومة البريطانية أصدرت أوامرها إلى القنصل بعدم مقابلة البعثة وأكد اللورد كلارندون Clarendon على هرمان عدم التفاوض مع الشيخ البكائى ويمكن تعليل عدم اهتمام الحكومة البريطانية بالحافات الصحراوية الواقعة جنوب طرابلس إلى أنها ركزت اهتمامها فى غرب أفريقيا فى منطقة دلتا النيجر ، كذلك كانت الحكومة البريطانية مهتمة بالحيلولة دون تزايد النشاط الفرنسى فى البحر المتوسط حتى لايتحول إلى بحيرة فرسية ولذلك لم يكن يهمها كثيراً نداءات الشيخ البكائى وغيره بل أن روسل Russel وكيل الخارجية البريطانية أرسل إلى هرمن يطلب منه إغلاق المركز البريطانى الذى أقيم فى غدامس ورغم تحذيرات هرمن للحكومة البريطانية ومطالباتها بعدم إغلاق هذا المركز خوفا من سيطرة فرنسا عليها وعلى المنطقة إلا أن الحكومة البريطانية انسحبت بالفعل من مركزها فى غدامس ومن مرزوق . ورأى هرمن بأن حكومته أخطأت بهذه القرارات لأن الشيخ البكائى كان له نفوذ كبير ليس على تمبكتو فحسب وإنما فى كانووتوات ولو تحالفت بريطانيا معه لأمكنها تدعيم سيطرتها فى هذه المناطق وعلى قبائل السودان الغربى والطوارق (٦١٦) .

De Lanoye E. . op. cit., pp. 562 – 564 .

(٦١٥)

Boahen, A. : op. cit., pp. 225 – 231 .

(٦١٦)

أما فرنسا فقد اهتمت خلال هذه الفترة بإقامة علاقات وإتصالات مع سكان الصحراء من الطوارق فى كل من توات وجات وفى عام ١٨٥٤ وصل شيخ قبيلة أولاد سيدى الشيخ سيد حمزة إلى جات وتقابل مع المسؤولين الفرنسيين ووافق على التجارة معهم كما أرسلت فرنسا بعثة بقيادة هنرى دوفيرييه Henry Duveyrier إلى جات لتقوية الصلات بين فرنسا وسكان المنطقة ونجح دوفيرييه فى عبور الصحراء بين الجزائر وتمبكتو ودون ملاحظاته على المنطقة ويرجع إهتمام فرنسا بمنطقة جات لقربها من حدود الجزائر الجنوبية الشرقية (١١٧) .

وقد أزعج هذا النشاط الفرنسى الشيخ البكائى . ولكنه لم يستطع الاعتراض لأنه القوة الوحيدة التى يمكنه الاعتماد عليها وهى انجلترا انسحبت من المنطقة وفى عام ١٨٦٢ وقعت فرنسا مع الطوارق معاهدة لتنمية التجارة كذلك توغلت البعثات الفرنسية حتى اجادس ووصلت إلى تمبكتو (١١٨) .

وإذا كان النشاط الفرنسى قد توقف فى الحافات الجنوبية للصحراء وتحطمت آمال الفرنسيين لربط الجزائر بالسنگال بسبب نشوب الحرب السبعينية إلا أن فرنسا سرعان ما استعادت نشاطها مرة أخرى وتوافدت البعثات على المنطقة ولعل أهم البعثات التى أرسلت هى بعثة بول سوليه الذى وصل فى رحلته الثالثة إلى سيجو على النيجر ثم تمبكتو وعين صلاح فى الجزائر . وقدم سوليه فى كتابه Avenir de la France وصفاً دقيقاً لرحلاته وكان سوليه مكلفاً لدراسة إمكانية مد خط حديدى يربط السنگال بالجزائر عبر تمبكتو (١١٩) .

وكان إنشاء هذا الخط له أهمية وفوائد كثيرة بالنسبة للفرنسيين لأنه سيمكنهم من اكتشاف الأقاليم المجهولة إستغلال واحتكار تجارة السودان الغربى وكانت الجمعية الجغرافية الفرنسية متحمسة لهذا المشروع لتحقيق فوائد إقتصادية لفرنسا وفى نظرها أن إنشاء هذا الخط الحديدى لا يقل أهمية عن الخط الذى أنشئ لربط كل من نيريورك وسان فرانسيسكو فى الولايات المتحدة الأمريكية ولذلك طلبت الجمعية من سوليه دراسة نوعية التربة فى المناطق الصحراوية وفى مدينة تمبكتو (١٢٠) .

Meynier, O. op. cit., p. 22.

Boahen, A. : op. cit., p. 225 .

Soleillet, P. : op. cit., pp. 2 - 3.

Ibid., p. 12.

وقد حث سولييه حكومته بضرورة الإسراع فى إنشاء الخط الحديدى للتوغل فى المناطق الداخلية، ولمواجهة منافسة إنجلترا وألمانيا وأكد لهم بأن موقف فرنسا أقوى من الدولتين السابقتين ، لأنها تمتلك مستعمرة فى الجزائر ولذلك فيمكن لها تحقيق أهدافها بسهولة فى ربط غرب أفريقيا بساحل البحر المتوسط (١٣١) .

ولكن الطوارق فى تمبكتو أبدوا العداء للبعثات الفرنسية ولم يحسنوا استقبالها ، وفى بعض الأحيان كانوا يقومون بقتل أعضاء البعثة مثلما حدث لبعثة فلاتيه Flatters عام ١٨٨٠ فقد تولى الطوارق قتل أعضاء البعثة بما فيهم فلاتيه نفسه وكان مكلفا بدراسة المنطقة واكتشافها ، ورغم أن فلاتيه كان لديه دراية بسكان المنطقة وعاداتهم وتقاليدهم كما كان يتقن العربية إلا أن الطوارق اعترضوا طريقه وقتلوه (١٣٢) .

وكان من الطبيعى بعد الإستيلاء على أراضى أحمدو شيخو زعيم التوكولور والقضاء على دولته ودخول شيخو ونيورو ١٨٩٠ - ١٨٩١ أن يتطلع أرشينار القائد العسكرى فى السودان لإستكمال غزو المدن الواقعة على النيجر فبدأ يخطط لاحتلال تمبكتو وبدأ فى اتخاذ الاستعدادات اللازمة فأصدر تعليماته للسفن الحربية بمصاحبة التجار الفرنسيين فى رحلاتهم كذلك زود الملازم البحرى بواتيه Boiteux قائد السفن الفرنسية بتعليمات تضمنت بناء عدد من السفن لنقل الجنود تكون على أهبة الاستعداد إذا ما اتخذت الحكومة الفرنسية قراراً باحتلال المدينة وعلى الرغم من تلك الاستعدادات العسكرية التى اتخذها أرشينار إلا أنه لم يقدم على احتلال المدينة كذلك طلب من خليفته بونيه Bonnier عدم القيام بأى عمل عسكرى ضد تمبكتو فى المستقبل القريب فقد ظهرت أصوات كثيرة فى باريس عارضت التوسع الفرنسى فقد أدت توسعات أرشينار العسكرية فى المنطقة إلى انتقادات كثيرة وعارض الكثيرون أسلوب الغزو العسكرى (١٣٣) .

وبعد رحيل أرشينار من المنطقة تولى بونيه القيادة العسكرية فلم يحاول الإقدام على أى عمل حربى ولكن حدث أن اتجه الملازم البحرى بواتيه بقواته لاحتلال مدينة تمبكتو دون تلقى أية أوامر أو تعليمات من رؤسائه بذلك ، ودون استئذان السلطات الفرنسية لكنه

Soleillet, P. : op cit., p. 12.

(٦٢١)

Meynier, O. : op. cit., p. 26.

(٦٢٢)

Forstner, K. : op. cit., pp. 216 - 217.

(٦٢٣)

أرسل إلى أرشينار القائد السابق بعد عودته إلى فرنسا يخبره بأن احتلال تمبكتو أمر ضروري ولعل بواتيه بهذا العمل أراد كسب نصر زائف لنفسه فقد كان هناك تنافس بين القواد الفرنسيين لإحراز مزيد من الانتصارات باسم فرنسا . وقد تمكن بواتيه من الأبحار من موبتي Mopti ودخل تمبكتو في ١٦ ديسمبر ١٨٩٣ ولكن الطوارق هاجموا السفينة الفرنسية وأغرقوها في ميناء كابارا Kabara ميناء تمبكتو الرئيسي ثم هاجموا معسكر بواتيه وقتلوا عدداً كبيراً من جنوده^(١٢٤) كما هاجموا القائد الفرنسي أوب Aube المصاحب لبواتيه وذبحوا رجاله أثناء وجودهم في Ououmaira وقد حاول بواتيه إقناذ أوب وجنوده ولكنه وصل المعسكر بمن بقي من جنوده على قيد الحياة بعد فوات الأوان^(١٢٥) .

وعندما علم القائد العسكري بونيه بما حل بالجنود الفرنسيين ومقتل أوب أسرع بتشكيل حملة لتفادي تدهور الموقف العسكري وكان بونيه من أشد القواد تأثراً بسياسة أرشينار العسكرية وكان هو الآخر يؤمن بضرورة فرض النفوذ الفرنسي عن طريق استخدام القوة العسكرية ، وهكذا فإن تأثيراً أرشينار في المنطقة لم ينته برحليه ، وإنما بقيت أفكاره التوسعية لدى القواد الفرنسيين الذين صمموا على إتمام الدور العسكري الذي بدأه مثلهم الأعلى أرشينار^(١٢٦) .

ساعدت الأوضاع الداخلية التي مرت بها تمبكتو بونيه على احتلال المدينة فقد طرد أهالي تمبكتو يايا Yaya Alkaia زعيم تمبكتو بسبب تعاطفه مع الفرنسيين ، وأحلوا محله أخاه همبيا Hambia فأرسل يايا يطلب الحماية من حلفائه الفرنسيين ولم يضع بونيه الفرصة فأتجه بحملته شمالاً إلى تمبكتو وقد قسم بونيه الحملة إلى قسمين قسم يسير بطريق البر والآخر يسير عن طريق الإبحار في نهر النيجر ، وكان الغرض من هذا التقسيم هو تقادى الاصطدام مع قوات ساموري التي كانت مازالت تعمل ضد الفرنسيين في المنطقة ، وقد رافق بونيه القائد الفرنسي جوفر Joffre الذي لعب دوراً كبيراً في هذه الحملة^(١٢٧) .

وأثناء تقديم بونيه نحو تمبكتو اشتبك مع قوات ساموري التي هاجمته . كما وصلت الأنباء من سانت لويس بإحلال حاكم مدني في السودان بدلا منه ، ولكنه تجاهل الأوامر

Growder, M. : op. cit., Colonial, p. 105.

(١٢٤)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 234.

(١٢٥)

Spitz, G. : op. cit., p. 47.

(١٢٦)

Meniaud, J. : op. cit., Tome II, pp. 479 - 408.

(١٢٧)

الصادرة إليه وصمم على المضي قدما لاحتلال المدينة . فأرسل إليه الحاكم المدني الجديد جروديه Grodet فى ٢٦ ديسمبر ١٨٩٣ بضرورة عودته ولكنه رفض وأجابه : « لقد قررت الاستيلاء على تمبكتو فمازلت القائد الأعلى للسودان وعلى قيادة الجيوش وسوف أسير إليها وأهزم الطوارق »^(٦٢٨) .

وفى ١٠ يناير ١٨٩٤ استولى بونيه على تمبكتو . وكان الملازم يواتيه يعسكر بمن بقى من قواته فى شمال المدينة على أمل وصول النجدة إليه ، ولكن بونيه وجه إليه تهمة مخالفة الأوامر العسكرية والتمرد ، كذلك وجهت إليه تهمة التسبب فى اغتيال القائد العسكرى أوب وجنوده نتيجة لسوء تصرفه^(٦٢٩) .

ومن الغريب أن يوجه بونيه تهمة التمرد العسكرى لأوب بينما هو الآخر قد ارتكب نفس الجرم وخالف الأوامر واحتل المدينة رغم تحذيرات القائد الجديد جروديه له .

أراد بونيه إرهاب الطوارق بعد احتلال المدينة ففادها بعد أن ترك فيها الكابتن فيليب ، واتجه نحو الشرق حيث وصلته الأنباء بأن الطوارق قد جمعوا قواتهم نحو الشرق ، فاستعد بونيه لمحاربتهم ، وعسكر بقواته فى تكوباو Takoubao ولكن الطوارق كانوا له بالمرصاد ، فقد أثارتهم تحركاته العسكرية واستعراضه لقوته ، فقاموا بالهجوم على المعسكر فى ١٦ يناير ١٨٩٤ وذبحوا الجنود الفرنسيين وقتلوا بونيه نفسه وأشاعوا الفوضى فى المعسكر . وكانت كارثة تكوبا من أسوأ الكوارث التى منى بها الفرنسيون فى السودان ، وقد وصلت أنباء هذه المذبحة إلى باريس وأثارت استياء كبيراً لدى الرأى العام الفرنسى^(٦٣٠) .

وبعد خمسة وعشرين يوماً من اغتيال بونيه ، وصلت حملة جوفر وأخذت تجمع أشلاء الفرنسيين لدفنهم . ثم بدأت فى مطاردة الطوارق الذين أغاروا على معسكر الفرنسيين للانتقام منهم وتمكنت بالفعل من قتل الكثيرين ثم عاد جوفر إلى تمبكتو وبدأ فى إنشاء سلسلة من الحصون والمراكز الدفاعية ، وبنى فيها حصناً أطلق عليه اسم بونيه تخليداً له .

Ibid, p. 497.

Ibid., p. 502.

Forstner, K. : op. cit., p. 221.

(٦٢٨)

(٦٢٩)

(٦٣٠)

كذلك أنشأ حصناً آخر في كابارا وبنى محطتين في كل من جواندان Goundan وكوريوميه Korioumé . وفي الواقع شعر الطوارق بقدوم القوات الفرنسية واستحالة هزيمتهم فحاولوا الاستنجاد بسلطان مراکش ، ولكنه رفض مساعدتهم وكتب إليهم بأنه عندما يتأكد من وصول الفرنسيين إلى المدينة سوف يتقدم لطردهم منها (١٣٣) .

وقد قام جوفر بتعقب القبائل التي اشتركت في المذبحة وأغار عليها واستمرت عملياته العسكرية ضد الطوارق حتى ١٠ يوليو ١٨٩٤ (١٣٣) .

أما عن نتائج الاستيلاء على تمبكتو فيمكن إجمالها فيما يلي :

- ١ - عمل جوفر على الانتقام من القبائل التي اشتركت في مذبحة تكوباو فوجه إليهم الحملات والفرق وهزمهم شر هزيمة .
- ٢ - عاود الطوارق هجومهم على المدينة على أمل الاستيلاء عليها ولكن الكابتن جوترو Gauthero نجح في صدهم بالقرب من كورا Koura على الضفة اليسرى للنيجر .
- ٣ - استمر جوفر في عملياته العسكرية ضد الطوارق فهزمهم مرة ثانية بالقرب من بحيرة فاتى .
- ٤ - أعلنت في ٢٨ فبراير ١٨٩٤ العديد من القبائل الصغيرة خضوعها للفرنسيين بعد إدراكها للخطر الفرنسي ، وعدم قدرتها على التصدي لهذا الخطر .
- ٥ - شيد جوفر سلسلة من الحصون والمراكز لحماية ومراقبة الملاحة في النيجر ولتأمين الوجود الفرنسي في المنطقة .
- ٦ - شكل جوفر فصائل لمعاقبة الطوارق الثائرين .
- ٧ - أقام دوريات على طول النيجر حتى جنوب تمبكتو ونظرا لصلاحية النهر للملاحة أنشأ عدة مواقع للفرنسيين عند ماى كما أرسل الحملات إلى ثنية النيجر وأجزائه العليا حتى مساره الأوسط (١٣٣)

Meniaud, J. : op. cit., Tome II, p. 502.

(٦٣١)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p 235.

(٦٣٢)

Spitz, G. : op. cit , pp. 46 - 47.

(٦٣٣)

خلف جوفر الكولونيل ابنير Ebener الذى تصدى لهجمات الطوارق وبوصول القائد الفرنسى ترنتينيان Trentinian إلى السودان أصدر أوامره فى يوليو ١٨٩٥ إلى قائد إقليم تمبكتو بضرورة إعادة السيطرة الفرنسية وتدعيمها فى المنطقة ، ومحاولة استخدام الطرق الدبلوماسية . ولكن الطوارق رفضوا الخضوع للسيطرة الفرنسية وعادوا من جديد لشن هجماتهم على الفرنسيين فبنى الفرنسيون مركزاً فى سومبى Sompى ودعموا الحصن الفرنسى فى جوانندان ونجحوا فى صد هجوم للطوارق شرق تمبكتو . ولكن فى مارس ١٨٩٦ وبسبب الحملات المكثفة على الطوارق وبناء الحصون العسكرية الفرنسية أعلن عدد كبير من زعماء الطوارق ولاءهم للكولونيل ترنتينيان (١٣١) .

وجدير بالذكر أنه على الرغم من نجاح الفرنسيين فى الاستيلاء على تمبكتو وتدعيم السيطرة عليها ، إلا أن رأى العام الفرنسى ثار ضد مذبحة تاكوبا واتهم أرشينار ودعاة العسكرية بأنهم السبب فى هذه المذبحة . وطالبوا الحكومة الفرنسية بضرورة العمل على إنهاء الدور العسكرى فى السودان ، ونشرت الصحف الفرنسية تحذر من خطورة الموقف بسبب تهور العسكريين (١٣٢) . وكان لهذه الحملات أثرها فى اهتزاز موقف أنصار التدخل العسكرى والتوسع الحربى أمثال ارشينار وتعرضهم للنقد الشديد ، وخاصة بعد مقتل بونيه آخر الحكام العسكريين فى السودان (١٣٣) .

واستمرت السلطات الفرنسية فى تمبكتو على سياسة بناء الحصون العسكرية فى المنطقة ، فتم بناء عدة حصون فى أول يناير ١٨٩٩ فى كل من جاو Ansongo و Dounzou و Tillabéry و Gao وبذلك امتدت سيطرة الفرنسيين إلى منطقة ثنية النيجر وفى عام ١٩٠٠ تم وضع حامية عسكرية فى جاو وتبليبرى Tillabéry وهما من أهم مدن تمبكتو . واعتبرت أراضى تمبكتو أراضى عسكرية حتى قيام الحرب العالمية الأولى (١٣٤) واستمرت مقاومة الطوارق حتى فترة متأخرة واضطر الفرنسيون فى عام ١٩٠١ إلى محاربة قبائل Oulmidden ومد زعيم الكوتا Kounta حمودى Hamoadi يد المساعدة للفرنسيين وتعاون معهم فى محاربة هذه القبائل ، ونجحت القوات فى هزيمة قبائل اولميدون وتم

Hanotaux, G. : op. cit. Tome IV, p. 236.

(١٣٤)

(١٣٥) شنت صحيفة Le Temps هجوماً على العسكريين فى السودان .

Ibid., p. 236.

(١٣٦)

Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 106.

(١٣٧)

أسر عدد كبير من أفراد هذه القبيلة كما غنم الفرنسيون كثيراً من المغانم من ماشية وأسلحة ، واضطرام أفراد هذه القبيلة إلى إعلان خضوعهم للفرنسيين^(٦٣٨) . ولكن فهرون Fihroum زعيم أحد قبائل اولميدن رفض الخضوع للفرنسيين بتحريض من أحد المرابطين ويدعى محمد أحمد ، وكان قد ثار ضد الفرنسيين في منطقة ثنية النيجر ، وقاد فهرون التمرد ضد الفرنسيين في عام ١٩٠٢ ولكن في عام ١٩٠٣ أدرك فهرون ضعف قوته وفضل مهادنة الفرنسيين فذهب إلى مركز جاو حيث أعلن خضوعه لهم بشرط بقاءه في الحكم . وبذلك استطاع الفرنسيون تأمين الجهات الشرقية لتمبكتو قم شرعوا في إنشاء عدة مراكز جديدة في سوكولو Sokolo جوامبو Goumbo نيورو Nioro وفي أقصى الشمال عند المنطقة الصحراوية بنوا مركز كيفا Kiffa^(٦٣٩) .

وفي ١٨ أكتوبر ١٩٠٤ صدر مرسوم بإعادة تكوين السودان الفرنسى الذى تكون من الأراضي الواقعة في أعالي النيجر والسنغال وأسندت إدارة مستعمرة السودان الفرنسى إلى وليم بونتى الذى عمل على مد النفوذ الفرنسى في المناطق الصحراوية كذلك شن سلسلة من الحملات العسكرية ضد الطوارق في المنطقة الواقعة بين النيجر وتشاد ، وقد كلف الكولونيل ايمريش Aymerich بإدارة الأراضي الواقعة بين تمبكتو نيامى وزندر^(٦٤٠) فعمل على إنشاء أربع مراكز في كل من زندر وتشاد ، وفي عام ١٩٠٥ أنشئ مركز فرنسى في أجادس وفي عام ١٩٠٥ أنشئ مركزاً آخر في ييلما من أجل مراقبة القوافل المتجهة إلى تبستى وفزان^(٦٤١) .

وجدير بالذكر أن فرنسا بعد الاستيلاء على تمبكتو حققت حلمها القديم الذى طالما رواد القواد العسكريين وحكام السنغال ألا وهو ربط الجزائر بالسودان الفرنسى ، وتدعيم الاتصال بين المنطقتين الجزائرية السودانية Jonction Algéro - Soudanaise تقابل كل من الكابتن لابرين Laperine القائد العسكرى لأراضى الواحات الجزائرية مع الكابتن تيفينو Theveniaud الموفد من قبل حاكم السنغال في تمبكتو ، من أجل تحديد الحدود بين الجزائر والسودان الفرنسى وفي ٦ أبريل ١٩٠٤ تم الاتفاق على أن يمر خط الحدود الجنوبى

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, pp. 236 - 237.

(٦٣٨)

Spitz, G. : op. cit., p. 47.

(٦٣٩)

(٦٤٠) تكونت من هذه الأراضي جمهورية النيجر فيما بعد .

Hanotaux, g : op. cit., Tome IV, p. 328.

(٦٤١)

للجزائر عند عين أوزل . وفى عام ١٩٠٦ خرجت ثلاث بعثات لتحقيق الاتصال بين السودان الفرنسى والجزائر . فخرج الكابتن لابرين Laperine من عين صلاح فى جنوب الجزائر . كذلك خرج الملازم كورتيه Cortier من Bou Djebiha فى تمبكتو ومن الشرق اتجه الكابتن أرنو Arnaud نحو عين صلاح وتقابلت البعثات الثلاث فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٠٧ فى Timiaouine مع فرقتين عسكريتين من الهجانة قادمة من السودان . وأثبتت هذه البعثات إمكان الاتصال بين الجزائر والسودان الفرنسى وفى ١٩٠٧ قام فليكس دوبو Felix Dubois بمفرده وبدون مصاحبة أى قوة عسكرية بالتجول بين الجزائر وتمبكتو وأثبت أن عملية ربط المنطقتين أصبحت حقيقة واضحة (١٤٣) .

خلف كلوزيل Clozel بونتى كحاكم للسودان عام ١٩٠٨ فاهتم بتدعيم الوضع فى المنطقة ، وخاصة فى المناطق الصحراوية فكون فرقاً من الهجانة سنة ١٩٠٩ عملت فى مناطق السودان الفرنسى لوضع حد لعمليات السلب والنهب على القوافل التجارية ، وخصصت لكل منطقة فرقة من الهجانة . وتكونت هذه الفرق من ضباط من السودان والجزائر ، وتجولت هذه الفرق بين عين صلاح وجاو وبين عين صلاح ، وزندر ، كما تولت مراقبة المنطقة الواقعة شمال تمبكتو (١٤٣) .

وأخيراً وقبل أن نختم الحديث عن تمبكتو وكيفية الاستيلاء عليها ، ينبغى أن نشير بأن تدعيم السيطرة الفرنسية على تمبكتو وتأمين الحافات الصحراوية شمالاً وربط السودان الفرنسى بالجزائر واتجاه فرنسا نحو الأراضى الواقعة شرق تمبكتو وتكثيف قوتها فى هذه المنطقة لم يمنع من نشوب الثورات ضد الفرنسيين رغم الاحتلال العسكرى فقد ظل فهران زعيم قبيلة أولميدون فى صراع مع الفرنسيين حتى عام ١٩١٥ وإذا كانت فرنسا قد أنشأت مركزاً لها فى جاو لمراقبة المنطقة والسيطرة على الطوارق إلا أن هذه القبائل عملت على الاصطدام مع الفرنسيين ، فقامت بالثورة ضدها وقاد الكولونيل لافردور Laverdure قائد أراضى تمبكتو ونيامى الفرق الفرنسية للقضاء على هذه الثورة . وفى عام ١٩١٠ نجح الكابتن لوزرن Lauzarne فى إلقاء القبض على ثمانية عشر من زعماء قبيلة أولميدون منهم خليفة فهران وكان يدعى لاؤى Laouéi الذى حكم عليه بالسجن أما فهران فقد ظل حراً ولكنه

Ibid., p. 328.

(٦٤٢)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 328.

(٦٤٣)

ألقى القبض عليه ١٩١٢ ثم أفرج عنه ولكنه ما لبث أن قاد ثورة أخرى ضد الفرنسيين ، وقد ازداد الموقف سوءاً بإعلان قبائل الطوارق فى النيجر الثورة ١٩١٤ ولكن السلطات الفرنسية ألقت القبض عليه وعين أخوه Zohor بدلا منه ولكن ثورات الطوارق لم تنقطع فى المنطقة (١٤٤) .

وبفضل السيطرة على تمبكتو تمكنت فرنسا من مد سيطرتها حتى بحيرة تشاد وخاصة بعد أن دعمت سيطرتها على نيامى وزندر ، ولكنها اصطدمت فى تشاد بزعيم وطنى كبها خسائر فادحة وهو رابح الزير .

ثانيا - الامتداد الفرنسى نحو تشاد :

حققت فرنسا أهدافها فى غرب أفريقيا ، ونجحت فى اكتساح الأقاليم الواقعة بين السنغال والنيجر ، ودمرت فى سبيل تحقيق هدفها العديد من الممالك والدول ، ولإتمام هذا النجاح العسكرى كان لابد من تدعيم السيطرة الفرنسية على بحيرة تشاد وما حولها . ورغم أن تشاد دخلت فيما بعد ضمن منطقة أفريقيا الاستوائية الفرنسية إلا أننا لابد لنا من الحديث عنها لأن فرنسا أثناء توسعها شرقا استتبع ذلك الاستيلاء على الكثير من الأراضى الواقعة فيما بين النيجر وتشاد مثل زندر ونيامى وغيرها من الأراضى التى كونت فيما بعد جمهورية مالى .

وقد ترتب على الامتداد نحو تشاد ضرورة اصطدام الفرنسيين برابح الزير الذى كان لا يقل صلابة عن غيره من الزعماء الأفارقة الذين اصطدمت بهم فرنسا من قبل . وقد تضاربت الأقوال فى حقيقة نسب رابح الزير^(٦٤٥) وإن كان الأرجح ما كتبه عنه القائد إميل جنتيل Emile Gentil أنه كان ابنا لأحد ملوك القبائل التى استوطنت حوض بحر الغزال وقد نشأ نشأة حربية خالصة فشارك أباه وهو لا يزال صغيراً فى المعارك التى خاضها ضد القبائل المجاورة حتى لقي والده مصرعه^(٦٤٦) .

بدأ رابح فى تكوين دولته الإسلامية فأتجه غربا وجمع القبائل المتفرقة حوله وركز جهوده فى حوض نهر شارى وعلى بحيرة تشاد واحتل مناطق قبائل الملتوس والبواسى والساريسى وغيرها من القبائل واستطاع تجميع القبائل الوثنية فى وحدة واحدة وأخذ فى نشر الإسلام بينهما^(٦٤٧) .

(٦٤٥) لقب رابح بالزير نسبة إلى الزير رحمت الذى تبناه وأصبح رابح قائد القوات .

(٦٤٦) سعد الدين ، الزير : امبراطورية رابح الزير ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٢٢ .

(٦٤٧) أحمد ، شلبى : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٢٤٢ .

وجدير بالذكر أن رايح وطد صلته بالسنوسيين وخاصة السيد محمد المهدي السنوسي الذي اتصل به وقويت تلك الصلة بالمصاهرة بين الطرفين وكان السيد السنوسي شديد الكراهية للفرنسيين ولنشاطهم في المنطقة ولذلك اتفق الطرفان على الحد من نفوذ الفرنسيين وحماية البلاد من تسرب البعثات الفرنسية ولذلك قام رايح ١٨٩١ بقتل المكتشف الفرنسي بول كراميل عند بلدة كوتي مما أدى إلى اصطدامه بالفرنسيين ذلك الصدام الذي استمر عشر سنوات وإن كان السنوسي قد تنصل من مقتل كراميل خوفاً من الفرنسيين وتبادل معهم البعثات تاركا رايحا يواجه الموجات المتتالية من الحملات الفرنسية (٢٤٨) .

استمر رايح في تكوين دولته الإسلامية في الغرب واتخذ من بلاد شاري مركزاً له ودعم سيطرته على نهر شاري وأقام بيلدة كوتي فغزا بلاد سؤمرای وأقام سنة ١٨٩٢ في بلدة بوسو على نهر شاري ثم جهز حملة للاستيلاء على باجرمي (٢٤٩) . وترجع أهمية باجرمي نظراً لموقعها جنوب بحيرة تشاد وقد أهلها الأوربيون فترة من الزمن حتى قام دنهام Denham بزيارة الجزء الشمالي منها عام ١٨٢٤ ، كما زار المدينة د . بارث في سنة ١٨٥٢ فكتب عنها مما أدى إلى اهتمام الفرنسيين بالمنطقة فتطلعوا للاستيلاء عليها (٢٥٠) حكم باجرمي خلال فترة التنافس الاستعماري السلطان عبد الرحمن جورانج ، وكان احتلال المدينة أمراً ضرورياً لرايح لكي يفتح طريقاً له إلى ما وراء نهر شاري ، وقد أحكم رايح الحصار حول بلدة مانهافا الواقعة جنوباً لمدة خمسة أشهر حتى سقطت ١٨٩٤ ، وبسقوطها فتح الطريق أمام باجرمي (٢٥١) . ثم اتجه رايح نحو بورنو وتمكن من إحراز النصر على جيوشها ، وبذلك اتسعت دولته فشملت دارفور التي احتلها قبل سقوط الخرطوم ووادي وبعض أجزاء باجرمي ، وبورنو ، واتخذ رايح دكوه عاصمة له بدلا من كوكه . وشهدت مدينة دكوه عصراً زاهياً في عهده فاستتب فيها الأمن ونشطت فيها حركة التجارة (٢٥٢) .

وقد أرسلت الحكومة الفرنسية موتى في بعثة من سانت لويس وحتى تشاد في عام ١٨٩٠ ، وذلك خلال فترة تولي ارشينار القيادة العسكرية في السودان ، ورحل موتى من

(٢٤٨) سعد الدين ، الزبير : المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢١ .

(٢٤٩) لوثرروب ، ستوبارد : المرجع السابق ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٢٥٠) حائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الثالث ، ص ٢٥٤ .

(٢٥١) سعد الدين ، الزبير : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٢٥٢) أحمد ، شلبي : المرجع السابق ج ٦ ، ص ٢٤٦ .

السنغال واتجه نحو سيجو على النيجر وعقد معاهدات مع بعض المدن الصغيرة ، ثم توغل بعد ذلك بين دورى Dori وتشاد ووقع معاهدات مع الزعماء المحليين فى كل بورنو وزندر وكوكه ولذلك كان ظهور رايح الزاير واكتساحه هذه المناطق يشكل خطراً للنفوذ الفرنسى ومعناه إلغاء الاتفاقيات التى سبق وأن عقدتها فرنسا زعماء هذه البلاد^(٦٥٢) كما أن فرنسا بمقتضى الاتفاق الفرنسى البريطانى ١٨٩٠ حددت مناطق النفوذ الفرنسى والبريطانى بين النيجر وتشاد وضمت فرنسا استحواذها على هذه الأراضى بمقتضى هذا الاتفاق^(٦٥٤) . ولذلك كان لابد من إرسال بعثة فرنسية لاستطلاع الموقف فى المنطقة فأرسل الكابتن كزماجو Gazemajou فى بعثة من النيجر إلى تشاد فوصل شمال سوكونو وبورنو كما زار زندر التى كان يحكمها أحمدو مادانى وتقع بين النيجر وتشاد ، ولكن السلطان أحمدو قتله لأنه ارتاب فى نوايا بعثته وقتل من معه من أفراد البعثة وهاجم معسكرهم وفر الناجون إلى دوسو Dosso وهو حصن فى شمال داهومى وقام أحمدو بإلقاء جثث الفرنسيين فى الآبار^(٦٥٥) .

وجدت الحكومة الفرنسية أن الموقف يتدهور بالنسبة لها فى المنطقة الواقعة بين زندر وتشاد وأنه لابد لها من تدعيم السيطرة العسكرية على هذه المنطقة ، فعملت على إرسال الحملات العسكرية ، وإذا كان نهر شارى قد لعب دوراً كبيراً فى إقامة دولة رايح إلا أنه لعب دوراً أيضاً فى انهيار هذه الدولة وذلك بتسهيله تسلل القوات الفرنسية إلى مناطق السودان الوسطى ، فقد نقلت هذه القوات على صفحة النهر وأبحرت فيه البواخر النيلية مما ساعد على سرعة انتقال القوات إلى هذه المناطق وعلى نقل المؤن والعتاد ، وذلك لأن النهر صالح للملاحة فى أكثر أجزائه . وهو ينبع من المرتفعات الواقعة عند بحيرة تشاد ثم يجرى ببطء فى اتجاه الجنوب لمسافة قصيرة يغير بعدها اتجاهه إلى الشمال الغربى حول سهل كبير ليصب فى النهاية فى جنوب بحيرة تشاد بدلتا واسعة^(٦٥٦) .

ارتبط تاريخ المنطقة فى الفترة الواقعة من ١٨٩٥ حتى ١٩٠٠ باميل جنتل الذى لعب دوراً كبيراً فى سقوط دولة رايح . وقد واقع اختيار الحكومة الفرنسية عليه لإرتياد الكونفو

Beslier, G. : op. cit., p. 170.

(٦٥٢)

Knapp, Wilfrid : (North West Africa) Third edition, (N. Y. 1977,) p. 238.

(٦٥٤)

Meynier, O. : op. cit pp. 50 – 51.

(٦٥٥)

(٦٥٦) سعد الدين ، الزير : المرجع السابق ، ص ٦١ .

ومنطقة نهر شارى واستغرقت بعثته من ١٨٩٥ حتى ١٨٩٨ منح خلالها الميدالية الذهبية الكبرى من الجمعية الجغرافية الفرنسية وكانت أولى نتائج رحلته تسوية الموقف بين السنوسيين والفرنسيين ، وعقد معاهدة حماية مع سلطان باجرمى جورانج سنة ١٨٩٧ ، ولكن ما كاد جنتيل يغادر المنطقة حتى أغار رايح على باجرمى ، لأنه شعر بأن هذه المعاهدة موجهة ضده وأعاد رايح الوضع إلى ما كان عليه قبل وصول بعثة جنتيل^(٦٥٧) . أما جورانج فقد أسرع يطلب الحماية من الفرنسيين وترك بلاده ودخل رايح ماسينا ولكن ما كادت أنباء تقدم رايح فى الباجرمى تصل إلى الحكومة الفرنسية حتى هب جيلان وزير المستعمرات لإتخاذ الإجراءات الحاسمة فصدرت الأوامر إلى جنتيل بقطع إجازته والعودة إلى منطقة نهر شارى لمعاونة السلطان جورانج . وعين الضابط بروتونيه Bretonnet فى المنطقة أثناء غياب جنتيل . فعسكر فى بلده كانو . وفى ١٧ يوليو ١٨٩٩ هاجم رايح بروتونيه وحمل على المواقع الفرنسية وأشاع الاضطراب فى الفرق الفرنسية وذبح عدداً كبيراً من رجال بروتونيه وعرفت هذه المذبحة بمذبحة تجباو ولم ينج من القوات الفرنسية سوى ثلاث من السنغاليين فر واحد منهم إلى جنتيل وأخبره بما حدث^(٦٥٨) . وقد أسرع جنتيل لمحو عار هزيمة بروتونيه وعسكر فى فورت ارشمبولت الواقعة على بعد مائة ميل من كانو وأصدر أوامره فى أكتوبر ١٨٩٩ إلى الكابتن روبيلوت Robillot بأن عليه محو عار هزيمة تجباو . وخلال هذه الفترة جرت حادثة أخرى أثارت الفرنسيين ضد رايح فقد قتل فرديناند دى بيهاجل Ferdinand De. Behagale وكان يعمل مندوباً لإحدى المؤسسات التجارية فى فرنسا ثم اتجه فى بعثة لإنشاء مركز تجارى حول بحيرة تشاد ونهر شارى وقد أحسن رايح استقباله فى بداية الأمر وعلم رايح أنه يمتلك عدداً من البنادق فعرض عليه شراءها ولكن دى بيهاجل رفض فاحتجزه رايح فى دكوه وعاد يفاوضه من جديد ولكنه رفض فألقي القبض عليه وبعد انتصار رايح على بريتونيه أمر بإعدام دى بيهاجل^(٦٥٩) .

وأدت هذه الحادثة إلى ازدياد سخط الفرنسيين على رايح فهاجمت قوات جنتيل كانو واضطر رايح إلى إخلائها . وأيقنت وزارة المستعمرات بأن الأمور لن تستقر لها فى تشاد وفى أفريقيا الغربية الفرنسية إلا بالقضاء على رايح ولذلك تكونت ثلاث حملات كان

(٦٥٧) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٦٥٨) سعد الدين ، الزبير : المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

(٦٥٩) المرجع السابق ، ص ١١٠ .

هدفها جميعا الوصول إلى تشاد والقضاء على دولة رايح خرجت الحملة الأولى ١٨٩٩ من السنغال بقيادة كل من فوليه Voulet وشانوان Chanoine - والحملة الثانية خرجت من الجزائر بقيادة فورو - لامي Foureau-Lamy ، أما الثالثة فجاءت من الكونغو بقيادة إميل جنتيل وكان هدف البعثات الثلاث الالتقاء فى تشاد والقضاء على دولة رايح التى امتدت فى أفريقيا الوسطى من بورنو حتى تشاد . ولكن هذه الحملات الثلاث عانت الكثير من أجل الوصول إلى تشاد ، فبعثة فوليه وشانوان القادمة من السنغال عانت من نقص المياه وعداء السكان الذين هاجموا أفراد الحملة أثناء اختراقهم الإقليم الصحراوى فى Tessaoua ، كذلك حملة فورو لامي القادمة من الجزائر تعرضت للكثير من المخاطر حتى وصلت إلى زندر ومنها إلى تشاد ، وقد وصلت البعثتان بعثة فورو لامي القادمة من الجزائر وبعثة جنتيل القادمة من الكونغو إلى تشاد ^(٦٦٠) أما بعثة شانوان وفوليه القادمة من السنغال فبالإضافة إلى عداء الأهالى ارتكب أفراد البعثة الكثير من المخالفات ، فقد حدث نزاع على القيادة بين كل من شانوان وفوليه ، فأرسل إليهم القائد الأعلى للفرق العسكرية فى السودان كلا من جلوب Klobb وباليه Pallier لتولى القيادة منهم ولكن شانوان رفض وأطلق النار على كلوب ولكن سرعان ما قتل الجنود الفرنسيون كلا من شانوان وفوليه وأصبحت القيادة فى يد باليه الذى تقدم واحتل Tessaoua وزندر ^(٦٦١) وعاد باليه تاركا القيادة لجولان Jolland الذى قام بقتل أحمدو مادانى سلطان زندر انتقاما لمقتل كزماجو Cazemajou وجدير بالذكر أن الحملة ارتكبت الكثير من الفظائع أثناء تقدمها جنوب تشاد . كما قامت بذبح العديد من النساء والأطفال . وخلفت الحملة وراءها جثث هؤلاء وقد حاول المؤرخون الفرنسيون تعليل هذه المذابح والاضطرابات التى حدثت لأفراد الحملة مثل إقدام شانوان على قتل زميله الفرنسى جلوب ورفضه تسليمه القيادة إلى أن العداة الذى لقيه أفراد الحملة ومهاجمة الوطنيين لهم أثناء تقدمهم هو العامل الرئيسى الذى أدى إلى إرهاب أعصابهم بالإضافة إلى رداءة الطقس ^(٦٦٢) . ولكن فى الواقع كما ذكرنا من قبل أن الضباط الفرنسيين أراد كل منهم أن يحقق لنفسه مجدا عسكريا ، ولذلك كان من الصعب على واحد منهم أن يتنازل عن القيادة لقائد آخر ولا يمكن تعليل أو تبرير قتل شانوان لزميله كذلك المذابح التى ارتكبت ضد النساء والأطفال أنها كلها كانت بسبب إرهاب الجنود وقوادهم ، فهو عمل

Beslier, G. : op. cit pp. 175-185 .

(٦٦٠)

Crowder, M. : op. cit Colonial P.106.

(٦٦١)

Bory, p. : op. cit, p. 2uo .

(٦٦٢)

إجرامى أولاً وأخيراً . ولكن يحق للكتاب الفرنسيين تبرير أعمال وتصرفات جنودهم العدائية والإجرامية بينما يصفون الزعماء الوطنيين الذين قاوموا النفوذ الفرنسى بأنهم دميون ، فقد وصف رايح الزبير كما وصف سامورى من قبل بأنه دمي متعطش للدماء فى حين نجد أن هدف رايح كان أسى بكثير من أهداف القادة الفرنسيين ، فلقد أراد تكوين دولة إسلامية موحدة والتصدى للخطر الفرنسى .

عمل جوالان بعد توليه القيادة على أن يعيد تنظيم قواته ، فاتجه نحو نجيمى Nguigmi الواقعة على بعد عدة كيلو مترات شمال تشاد ووقع جوالان معاهدة حماية فى هذه المنطقة ، ثم اتجه إلى نهر شارى وسار نحو Goulfei فوجد قوات رايح تحتل المدينة فلم يحاول مهاجمتها وانتظر وصول قوات جنتيل^(٦٦٦) وفى ٢١ أبريل ١٩٠٠ التقى جنتيل بالبعثات الثلاث فى كوسرى Koussri فعمل على تنظيمها ، وقام الجيش الفرنسى بمهاجمة رايح الزبير الذى هزمت قواته وقتل هو نفسه وقطعت رأسه وأحضرت إلى معسكر كوسرى وحققت البعثات الثلاث هدفها وقضت على رايح . كما حققت هدفا آخر فقد تأكد الفرنسيون من إمكانية ربط مستعمراتهم فى أفريقيا فى كل من الجزائر والسنغال والكونغو^(٦٦٧) .

ولكن رغم القضاء على رايح إلا أن مقاومة أبنائه استمرت فى الباجرمى حتى عام ١٩٠٢ واستمر ابنه فضل الله يقاوم النفوذ الفرنسى حتى قتل هو الآخر ، ولقى نفس مصير والده . واستمرت مقاومة الوطنيين فى تشاد حتى ١٩١١ عندما تمكنت فرنسا من سيطرتها على شمال تشاد^(٦٦٨) .

وجدير بالذكر أن فضل الله بن رايح الزبير حاول الفرنسيون التفاوض معه ولكنه قطع رؤوس المبعوثين الذين أرسلتهم فرنسا وحاول التفاوض مع السلطات البريطانية فى النيجر الأدنى ، ولكن عند عودته إلى بورنو قتل فى فوجبه فى أراضى المستعمرة الانجليزية^(٦٦٩) . وقد أثارت تحركات فضل الله واتجاهه نحو بريطانيا قلق الفرنسيين كذلك أثارت التساؤلات

Beslier, G. : op. cit, p. 187.

Ibid pp. 189 – 190.

Zerbo, J. op. cit, p. 424.

(٦٦٣)

(٦٦٤)

(٦٦٥)

(٦٦٦) لوثرروب ، ستودارد : المرجع السابق ، ج ٣ ص ٦٤ .

فى مجلس العموم البريطانى فوجهت الأسئلة إلى وكيل وزارة المستعمرات عن الأوضاع السائدة فى بورنو ، وعن مدى تأثير القتال الدائر بين فرنسا وفضل الله على المستعمرة البريطانية (٣٣٧) .

أما عن السنوسيين الذين كانوا على الحياد فى الصراع الدائر بين رايح والفرنسيين ، فسرعان ما أدركوا الخطر الذى يهددهم وخاصة بعد مقتل رايح فشنوا عدة هجمات من واحة جغبوب مركزهم الرئيسى على القوات الفرنسية فى المنطقة فقاد سيدى محمد البرانى الهجمات على الفرنسيين ولكن سرعان ما سقطت المراكز السنوسية فى أيدي الفرنسيين خلال عامى ١٩٠٢ - ١٩٠٣ وانتهى الأمر بأنسحابهم نحو الشمال تاركين الجنوب غنيمة للفرنسيين (٣٣٨) .

استتبع وصول فرنسا إلى بحيرة تشاد ضرورة اتفاقها مع ألمانيا التى أرادت مد نفوذها من شمال الكاميرون حتى تشاد ، وقد دارت المفاوضات بين الحكومتين بشأن تحديد الحدود على ساحل بحيرة تشاد فأرسل وزير الخارجية الفرنسى ريبو Ribot إلى السفير الفرنسى فى برلين فى ٢١ اغسطس ١٨٩٠ بضرورة تحديد الحدود حول بحيرة تشاد وأن يكون لفرنسا حق السيطرة على المنطقة التى يصب فيها نهر شارى فى بحيرة تشاد . وأن تكون منطقة بورنو وادماواة مناطق نفوذ ألمانية وباجرمى منطقة نفوذ فرنسية ، كذلك الإقليم الشرقى من ادماواة (٣٣٩) .

على أن المباحثات بين الجانبين توقفت ثم استؤنفت من جديد فى عام ١٨٩٣ ، وحرصت فرنسا بعد استئناف هذه المباحثات على ضمان حقوقها فى المنطقة ولذلك فقد أرسل السفير الفرنسى فى برلين هريت Herbette إلى وزير الخارجية الفرنسى دوفيل Develle يخبره بعزم الحكومة الألمانية على تحديد مناطق نفوذها فى غرب أفريقيا ، وقد وزعت الخرائط المفصلة على أعضاء الحكومة الألمانية لتوضيح مناطق نفوذ ألمانيا فيها وكما لفت السفير الفرنسى نظر الحكومة الفرنسية إلى ضرورة تحديد الحدود الداخلية لمستعمرة الكاميرون الألمانية ، لمنع ألمانيا من الإمتداد نحو نهر شارى (٣٤٠) .

Hansard Fourth series Vol. 103, 1902, p. 185.

(٣٣٧)

(٣٣٨) زاهر ، الرياض : المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

D. D. F. I er serie Tome VIII. Tr° 70 confident p.220.

(٣٣٩)

Ibid I er Serie Tome X D° N° 3° p. 147.

(٣٤٠)

وجدير بالذكر أنه في الوقت الذي اهتمت فيه الحكومة الفرنسية باستئناف المفاوضات مع ألمانيا بشأن تحديد الحدود حول بحيرة تشاد ، اهتمت الحكومة الألمانية أيضا بهذا الموضوع ، فطلب وكيل وزارة الخارجية الألمانية البارون مارشال Marschall من السفير الفرنسي في برلين بضرورة إبلاغ حكومته بتحديد الحدود ، وخطورة الموقف وأعرب عن تخوفه من قيام نزاع بين البلدين بخصوص الأراضي الداخلية للكاميرون ، خاصة بعد جهود المكتشفين والرحالة الفرنسيين في المنطقة وطالب مارشال من السفير الفرنسي ضرورة الاتفاق على تحديد الحدود عند سواحل بحيرة تشاد ، فأرسل السفير الفرنسي إلى وزير الخارجية دوفيل في ٩ مايو ١٨٩٣ يخبره بموقف الحكومة الألمانية ^(٦٧١) كما طالب السفير الفرنسي من حكومته في ١١ مايو سنة ١٨٩٣ بضرورة تحديد الحدود بين فرنسا وألمانيا في الكاميرون مع مراعاة أن يكون مصب نهر شارى منطقة نفوذ فرنسية ^(٦٧٢) .

وقد قبلت الحكومة الفرنسية استئناف المفاوضات مع ألمانيا ، وأرسل دوفيل وزير الخارجية إلى هيريت السفير الفرنسي في برلين برقية تفيد قبول الحكومة التفاوض مع ألمانيا في ١٥ مايو ١٨٩٣ ^(٦٧٣) ورغم استئناف المباحثات بين الجانبين إلا أنه تمت تسوية بين الحكومتين الألمانية من جانب والبريطانية من جانب آخر من أجل الاتفاق على تحديد حدود الكاميرون واعترفت ألمانيا بحقوق بريطانيا في يولا حتى تشاد ، ولذلك فقد أسرع السفير الفرنسي بتوضيح حقوق فرنسا في المنطقة للحكومة الألمانية وأرسل برقية بذلك إلى حكومته في ١٨ نوفمبر ١٨٩٣ ^(٦٧٤) . وقد احتجت فرنسا على هذه التسوية ، وطلبت من سفيرها في برلين إبلاغ الحكومة الألمانية بحقوق فرنسا في تشاد ، تلك الحقوق التي اكتسبتها بفضل جهود المكتشفين الفرنسيين وطلبت كل من ألمانيا وبريطانيا باحترامها وعدم إغفالها ^(٦٧٥) .

D. D. F. I er serie Tome X T° N. 47 p. 342 .

(٦٧١)

Ibid N° 31 p. 342.

(٦٧٢)

Ibid T° N° 25 p. 348.

(٦٧٣)

Ibid T° N° 94 p. 643.

(٦٧٤)

Ibid T° N° 49 p. 658.

(٦٧٥)

وأخيراً تم الاتفاق بين الحكومتين الفرنسية والألمانية فى عام ١٨٩٤ فتضمن الاتفاق حصول فرنسا على المناطق الجنوبية لبحيرة تشاد ، متضمنة ضفتى نهر شارى وأراضى باجرمى ووادى ومعظم Sangha ومدينة Bifara (٣٧) .

وكان معنى هذا الاتفاق هو تحديد الحدود الشمالية لمستعمرة الكاميرون الألمانية ، وعدم السماح لألمانيا بمد نشاطها فى المناطق الشمالية كذلك إنفراد فرنسا وانجلترا بمنطقة النيجر ، ويتضح لنا ذلك من رسالة أرسلها القائم بالأعمال الفرنسى فى برلين برينيه Prinett إلى وزير الخارجية الفرنسية دلكاسيه Delcassé فى ٢٠ سبتمبر ١٩٠١ وضع فيها أن ألمانيا ترقب نشاط كل من انجلترا على حدود ليبيريا والكاميرون ونشاط فرنسا فى تشاد . وأنها عاجزة عن تطوير مستعمرة الكاميرون وهى تبحث عن أفضل الوسائل لتطوير وإنعاش المستعمرة واكتشاف الطرق التجارية فى المناطق الداخلية وقد أرسلت بعثة صغيرة بقيادة الملازم دومنيك Dominik لبناء مركز مراقبة فى Geroua (٣٨) .

وهكذا يتضح لنا بأن الاتفاق الفرنسى الألمانى ١٨٩٤ حدد حدود الكاميرون ومنع ألمانيا من مد نشاطها صوب تشاد جنوباً كذلك منعها من أن يكون لها سيطرة على منطقة النيجر غرباً وخاصة بعد قبولها الاعتراف بنفوذ بريطانيا فى يولا .

Hanotaux, Gabriel : *Le Partage de L'Afrique Noire*, (Paris 1909), p. 182.

(١٧١)

D. D. F. 2er serie Tome I D° N° 249. P. 486.

(١٧٢)

ثالثا - موريتانيا (شنقيط) :

(أ) العلاقات الفرنسية الموريتانية حتى منتصف القرن التاسع عشر :

وصل البرتغاليون فى النصف الأول من القرن الخامس عشر إلى سواحل موريتانيا وزار فرانديز Joas Fernandez منطقة وادان الواقعة شرقى ادرار^(٦٧٨) وفى عام ١٤٤٨ أنشأ البرتغاليون حصن أرجيوم وهو مقابل للرأس الأبيض ومنه توغلوا نحو المناطق الداخلية فتقدموا صوب السودان الغربى بهدف الوصول إلى مدينة تمبكتو التى ذاعت شهرتها بسبب كثرة مناجم الذهب فيها . ولكن البرتغاليين سرعان ما انصرفوا إلى تجارة الرقيق وأصبحت أرجيوم هى المركز الرئيسى لتجميعه ومنها كان ينقل عبر الأطلس^(٦٧٩) .

لم يستقر الأمر للبرتغاليين فى المنطقة ففى القرن السابع عشر ازداد التنافس بين الدول الأوروبية البحرية واتخذت هذه الدول من مصاب الأنهار عند سواحل أفريقيا نقاط ارتكاز ومحطات بحرية لتموين أساطيلها . وظهرت هولندا خلال هذه الفترة كدولة بحرية كبيرة واستطاعت ١٦٣٨ انتزاع حصن أرجيوم من البرتغال^(٦٨٠) ولكن بوصول الفرنسيين واستقرارهم فى السنغال بدأوا يتطلعون لإقامة علاقات تجارية مع القبائل الموريتانية الموجودة على الضفة اليسرى لنهر السنغال . وفى الواقع اختلفت علاقة فرنسا بهذه القبائل عن علاقتها مع القبائل المقيمة فى السودان أو السنغال . فقد اضطرت فرنسا إلى دفع الضرائب للقبائل الموريتانية كما دفعت مبالغ سنوية وهدايا لزعماء هذه القبائل وكان الغرض من ذلك الإبقاء على تجارة الصمغ وتنظيم هذه التجارة من جهة وإرضاء هذه القبائل من جهة أخرى لمنعها من عبور نهر السنغال ومهاجمة الوكالات الفرنسية التجارية^(٦٨١) .

(٦٧٨) صلاح العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ، ص ٢٨ .

(٦٧٩) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(٦٨٠) صلاح ، العقاد : المرجع السابق ، (موريتانيا) ص ٢٨ .

(٦٨١)

فى عهد لويس الرابع عشر اهتم كولبير تثبيت أقدام الفرنسيين عند مصب نهر السنغال فأقام حاميات عسكرية لحماية الوكالات التجارية من هجمات القبائل الموريتانية ورغم إقامة هذه الحاميات إلا أن هذه القبائل لم تمتنع فى كثير من الأحيان عن مهاجمة الفرنسيين ولكن نظراً لتزايد اهتمام الأوربيين بتجارة الصمغ وما حققته هذه التجارة من أرباح للطرفين فقد أصبح لأمراء القبائل الموريتانية مثل الترازة والبراكنة ممثلون تجاريون يتولون عملية التجارة مع الأوربيين وعرف هؤلاء باسم كاتى Cati^(٢٨٢) كما كان التجار الأوربيون يتجمعون مرة كل عام للصعود فى نهر السنغال والإبحار فيه حتى رافده الفاليمى حيث توجد جالام وفيها تتم عملية مبادلة السلع مع الموريتانيين^(٢٨٣).

ولكن الجهود الفردية للتجار الفرنسيين أو الأوربيين كان لابد وأن يتبعها عملية تنظيم العلاقة التجارية بين الأوربيين من جانب والقبائل الموريتانية من جانب آخر ولذلك عقدت المعاهدات مع هذه القبائل لتنظيم عملية التبادل التجارى وكانت أولى هذه المعاهدات تلك التى عقدت بين كل من مدير الوكالة الفرنسية دورانت Durant وقبيلة Darmancoeurs فى ٢ مايو ١٧٨٥ تبعثها معاهدة أخرى وقعت فى ١٠ مايو ١٧٨٥ وقام بتوقيع المعاهدتين دى ريبنتى De. Repentigny حاكم السنغال^(٢٨٤) كما وقع دورانت اتفاقية أخرى فى يوليو ١٧٨٥ مع على كورى أمير الترازة لتنظيم تجارة الصمغ . ولكن لم يمض وقت طويل على توقيع هذه الاتفاقيات حتى نشبت الثورة الفرنسية وما تبعها من حروب نابليون وفقدت فرنسا مواقعها فى السنغال إلا أن معاهدة باريس سرعان ما ردت الحكومة الفرنسية هذه المواقع^(٢٨٥) فقد نصت المادة الثانية من معاهدة باريس ١٨١٤ على إعادة جميع الوكالات والمنشآت التى كانت تمتلكها فرنسا منذ عام ١٧٩٢ على الساحل الغربى لأفريقيا فاستعادت فرنسا بذلك ممتلكاتها فى السنغال ولكن انجلترا حصلت على حق التجارة فى بورتنديك فى الشمال وحتى خليج ارجوين^(٢٨٦).

وباستعادة مراكز فرنسا فى السنغال عاد التجار الفرنسيون لاستئناف نشاطهم التجارى ولكنهم وجدوا أن القبائل الموريتانية قد وصلت إلى الضفة اليسرى لنهر السنغال إلى منطقة

(٢٨٢) صلاح ، العقد : المرجع السابق ، موريتانيا ، ص ٢٩ .

Poulet, G. : op. cit, p. 152.

(٢٨٣)

Ibid p. 152.

(٢٨٤)

(٢٨٥) صلاح ، العقد ، المرجع السابق ، موريتانيا ، ص ٢٩ .

Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV p. 78.

(٢٨٦)

أوالو Oualo حيث احتكرت التجارة ورفضت السماح للفرنسيين بإنشاء مراكز أو وكالات في هذه المنطقة كما رفضوا قبول ممثلين أو مندوبين فرنسيين في بلادهم^(٦٨٧) ولذلك كان على التجار الفرنسيين تأمين تجارتهم حتى ولو أدى إلى دفع الأتاوات للقبائل الموريتانية وخاصة قبائل الترازو وزاد من خطورة الموقف أنه كان لهذه القبائل نفوذ على مسلمي السنغال وبالإضافة إلى تهديد القبائل الموريتانية للتجارة الفرنسية واجه الفرنسيون خطراً آخر تمثل في منافسة التجار البريطانيين لهم فقد كان لهم الحق في التجارة في المنطقة وخاصة بورتنديك وفقاً لمعاهدة باريس ١٨١٤^(٦٨٨). ولذلك كان الحل الوحيد أمام التجار الفرنسيين للإبقاء على تجارة الصمغ هو استمرار دفع الضرائب للقبائل الموريتانية والعمل على إرضائها بمختلف الوسائل. وقد وصل الأمر بهؤلاء التجار إلى تحديد الهدايا السنوية ونوعيتها. لهذه القبائل لضمان حسن الجوار معهم وعدم الاعتداء على تجارتهم وتوقفت أرباح التجار الفرنسيين على مدى نجاحهم في توطيد الصلات مع القبائل الموريتانية وذلك لأنه في ذلك الوقت لم يعتمد الفرنسيون على القوة العسكرية لتدعيم سيطرتهم على المنطقة، ولكن هذا لا ينفي حدوث بعض الاشتباكات بين الطرفين ولكنها كانت أقل من أن توصف بأنها حملات عسكرية^(٦٨٩).

وتدعيماً لحسن الجوار بين الطرفين عقدت فرنسا عدة معاهدات مع القبائل الموريتانية في مطلع القرن التاسع عشر ففي ١٨١٩ عقدت معاهدة مع عمرو بوري ملك أولو تعمدت فيها فرنسا بدفع مبلغ سنوي للملك مقابل قبوله السماح للتجار الفرنسيين بالتجارة. وكان لمنطقة أوالو أهمية كبيرة فهي تقع على ضفة السنغال اليسرى وكانت على اتصال مباشر بالإدارة الفرنسية في سانت لويس كما تم عقد معاهدة أخرى مع زعماء البراكنة والترازو وتم تأسيس مركز داجنا على الضفة اليسرى للسنغال^(٦٩٠) وقد تزايدت المعاهدات التي عقدتها فرنسا مع القبائل الموريتانية لتنظيم التجارة في المنطقة ففي ٢٥ يوليو ١٨٢١ عقدت معاهدة مماثلة مع البراكنة وذلك من أجل استمرار تجارة الصمغ بين الطرفين وتعمدت فرنسا بدفع مبالغ سنوية لزعماء البراكنة وفي ٢٥ يونيو ١٨٢١ عقدت معاهدة مع قبيلة الدويش

Guernier, E. : op; vit, Tome I p. 56.

(٦٨٧)

(٦٨٨) صلاح ، العقاد ، المرجع السابق ، (موريتانيا) ص ٤٠ .

Ajayi , J : oP. cit, vol II. P.356 .

(٦٨٩)

Hanotiaux, G. : op. cit, Tome IV p. 94.

(٦٩٠)

Douaich وهي من القبائل الموريتانية التي تعيش في وادي السنغال شمال شرق داغنا سمحت فيها هذه القبيلة للفرنسيين بإنشاء مركز لتجارة الصمغ بالقرب من نهر باقل . ثم توالى المعاهدات بين الموريتانيين والفرنسيين في ١٩ أغسطس ١٨٢٤ و ٢٦ فبراير سنة ١٨٢٦ - ٢٥ أبريل ١٨٢٩ - و ٢٤ أغسطس ١٨٣١ وأول يونيو ١٨٣٢ ، ٢٠ أغسطس ١٨٣٥ و ١٠ أغسطس ١٨٥٣^(١١١) وتوضح لنا هذه المعاهدات المتوالية حقيقة هامة ، ألا وهي حرص فرنسا على التعامل والاتفاق ومهادنة القبائل الموريتانية لتمكنها من الإغارة على الوكالات الفرنسية ونهبها ، كذلك لتوفير الحماية للتجار الفرنسيين والمكتشفين . ففي عام ١٨٢٤ قام رينيه كاييه برحلته الشهيرة إلى قبائل البراكنة حيث تعلم اللغة العربية وأطلع على عادات وتقاليدها أقال المنطقة وأفاد الكثير أثناء إقامته فيها ثم استكمل رحلته بعد ذلك إلى تمبكتو^(١١٢) .

وجدير بالذكر أن حكام السنغال أولوا اهتمامهم لعقد المعاهدات مع القبائل الموريتانية فكلما تولى حاكم جديد مهام منصبه سعى للاتفاق مع هذه القبائل وإرضائها فعندما تولى دي جوبلان De Jublin إدارة السنغال وقع في ٢٥ أبريل ١٨٢٩ مع قبيلة Dakhelifa معاهدة للتجارة وكانت هذه القبيلة منفصلة عن بقية القبائل الموريتانية الأخرى فهي لا تتبع الترابزة ولا البراكنة^(١١٣) .

ويفضل سياسة برو مدير الشركة الملكية للسنغال والرأس الشمالي وساحل أفريقيا امتد النشاط الفرنسي التجاري حتى أرجيوم وبورتنديك كما عمل برو على الاتصال بالقبائل الموريتانية^(١١٤) .

وعلى الرغم من جهود حكام السنغال والتجار الفرنسيين إلا أن الفرنسيين اصطدموا بالقبائل الموريتانية بسبب التنافس على منطقة أوالو التي اعتبرتها القبائل الموريتانية ضمن مناطق نفوذها فقد ثار محمد عمار Mohamed Ammar وأعلن الجهاد في أوالو خلال فترة حكم يرو للسنغال من ١٨٢٩ - ١٨٣١ واجتاح المراكز الفرنسية واتجه نحو داغنا وأغار على مركز ريتشارد تول ولكن برو تمكن من إلحاق الهزيمة بقوات محمد عمار واضطر قائد

Poulet, G. : op. cit, P. 152.

(٦٩١)

Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV p. 101.

(٦٩٢)

Ibid p. 103.

(٦٩٣)

Molard, R. : op. cit p. 133.

(٦٩٤)

قواته نياجا Niagaissa إلى الفرار إلى داكار حيث طلب الحماية من حاكمها مختار ديوب Moktar-Diop وأمر برو ديوب بتسليم القائد الهارب ولكنه رفض . وكما ذكرنا من قبل أن القبائل الموريتانية كان لها نفوذ على مسلمى السنغال وفى فوتا ولذلك رفض ديوب تسليمه بل منع سكان الرأس الأخضر من إمداد جوريه بالمياه واضطر الفرنسيون إلى التفاوض مع ديوب وانتهت الأزمة بين الطرفين بموافقة ديوب على التفاوض مع القائد الفرنسى فى جوريه هيس Hesse حيث قبل إعادة العلاقة بين الطرفين بشرط عدم تسليم نياجيا (٦١٥) .

وفى ١٨٣٢ تزوج زعيم الترابزة من وريثة منطقة أوالو فأصبح بذلك للترابزة نفوذ على الضفة اليسرى لنهر السنغال واقتربوا من المراكز الفرنسية ولذلك كان هدف حاكم السنغال والتجار الفرنسيين يتلخص فى ضرورة إبعاد الترابزة عن منطقة أوالو بأن ثمن ولكن لم يكن من السهل عليهم تنفيذ ذلك فى القوات الراهن (٦١٦) ولذلك فضلوا العودة إلى أسلوب مهادنة الترابزة وقبول دفع الأتاوات ومنحهم الهدايا السنوية واكتفى الفرنسيون بتجديد المواقع التى يريدون التعامل فيها مع التجار الموريتانيين القادمين من إمارة الترابزة . وفى ٢١ مايو ١٨٣٢ عقدت معاهدة سلام بين الترابزة وحاكم السنغال جاء فيها أن أمير الترابزة يلتزم بمعهوده السابقة بحماية التجارة . وعليها التعهد بعدم إجبار وتكليف التجار الفرنسيين الذين يشتركون منه الصمغ بدفع أية غرامة . كذلك عليه منع رعاياه من فرض أتاوات على التجار وأن يتولى حماية جميع الأماكن التى تقع فيها المراكز التجارية كما يتعهد بمعاينة من يحاول الاعتداء عليها وقد عقدت المعاهدة مقابل مكافأة سخية قدمت لأمير الترابزة من قبل حاكم السنغال (٦١٧) .

كذلك عقدت معاهدة مماثلة فى ٥ مايو ١٨٣٤ مع أمير البراكنة تعهد فيها أحمد بن سيدى على أمير البراكنة بحراسة المراكب الفرنسية حتى جزيرة ماهوغيز فى مقابل تعهد الطرف الفرنسى بدفع جزية إلى الأمير بالإضافة إلى تقديم هدية سنوية له (٦١٨) .

Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV p. 104.

(٦١٥)

Guernier, E. : op. cit, Tome I p. 56

(٦١٦)

(٦١٧) صلاح العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٠ .

(٦١٨) المرجع السابق ، ص ٤٤ .

كذلك وقع بيجول Pujol حاكم السنغال معاهدة في ٣٠ أغسطس سنة ١٨٣٥ مع الترابزة وذلك لإغارتهم على المراكز الفرنسية من جديد وقد أثار غضب الترابزة أن بيجول حاول منعهم من التجارة مع البريطانيين في بورتنديك ولكنه خشى تقاوم الموقف واستخدم معهم الطرق الدبلوماسية واضطر إلى رفع حظر التجارة عن بورتنديك كما تعهد الترابزة بدورهم إحضار الصمغ إلى داجنا (٣١١) .

وفي عام ١٨٤٠ ظهرت عدة تنظيمات جديدة في السنغال لعل أبرزها أن الحاكم العام فيها أولى اهتمامه بتجارة الصمغ وعمل على تنظيمها بحيث يتم إصدار تصاريح للتجار الفرنسيين للعمل في أوقات وأماكن محددة . كما كان على حاكم السنغال تحسين علاقته مع الأمراء المحليين (٣١٢) .

ولعل أول حاكم فرنسي اتخذ سياسة أكثر حزما في المنطقة تجاه الموريتانيين هو بوييه ويلوميه فممنذ عام ١٨٤٤ بدأ في صد هجمات القبائل الموريتانية بعد تكرار شكوى التجار الفرنسيين منهم وكانت سياسته هذه بموافقة البرلمان الفرنسي الذي خشي من تزايد نفوذ هؤلاء التجار بعد أن تعددت شكاوهم (٣١٣) كما أنشأ ويلوميه حصن في أوالو وآخر في فوتا لحماية التجار ولكن لم تلبث الأوضاع أن اضطربت في المنطقة بسبب إنشاء هذا الحصن وتعرضت مستعمرة السنغال لموجه من الاضطرابات سببها هجوم القبائل الموريتانية عليها وظل الحال كذلك حتى مجيء فيدهرب فاستخدم القوة مع هذه القبائل لإخضاعها (٣١٤) .

وطوال عهد فيدهرب اقتصرت أهداف فرنسا في السنغال على الزحف نحو السودان بمحاذاة النهر، أما في الشمال الصحراوي فقد اقتصر الأمر على الرغبة في تأمين الوضع والتجارة وقد ساد الهدوء في السنغال حتى الحرب السبعينية (٣١٥) .

Hanotaux, G. : op cit, Tome IV p. 106 .

(٦٩٩)

(٧٠٠) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٠

Hagreaves, J. : op. cit, Prelude p. 99.

(٧٠١)

(٧٠٢) انظر جهود فيدهرب تجاه القبائل الموريتانية (الفصل الثاني) .

(٧٠٣) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤١ .

(ب) مهادنة فرنسا للقبائل الموريتانية :

بعد هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية ركز حكام السنغال اهتمامهم على مهادنة القبائل الموريتانية حتى يتفرغوا للتوسع الفرنسى نحو الشرق ولكن توافدت البعثات الاستكشافية على المنطقة فأوفدت فرنسا بعثة استكشافية ١٨٧٩ بقيادة بول سوليه لدراسة إمكانية ربط خط حديدى بين الجزائر والسنغال^(٧٠٤) وأفادت هذه البعثات فى إلقاء الضوء على الأوضاع الداخلية لموريتانيا . وتتابع البعثات الفرنسية منها بعثة كاميل دول Camille Douls عام ١٨٨٦ - وبعثة فابر Fabert ١٨٩١ - ١٨٩٤ وبعثة دونات Donnat ١٨٩٤ بلانشيه Blanchet ١٩٠٠ وقد أسر فى إدرار ولم يفرج عنه إلا بواسطة القوات الفرنسية كما قام الفرنسيون بعملية مسح شامل للصحراء جنوب موريتانيا وأرسلت البعثات العلمية والجغرافية^(٧٠٥) .

وبالإضافة إلى إرسال البعثات العلمية والاستكشافية استمرت السياسة الفرنسية فى مهادنة القبائل الموريتانية وفى عقد المعاهدات معها . وفى ٢٢ مارس سنة ١٨٨٠ صدر مرسوم ينظم التجارة مع هذه القبائل وأعطى الموريتانيين نسبة ٣ ٪ من حصيلة التجارة وكانت هذه النسبة يتم دفعها على عدة دفعات فى أوائل مارس وأبريل ويونيو من كل عام . وكانت قبيلة البراكنة من ضمن القبائل التى تحصل على هذه النسبة ولكن فى ٢٢ مايو ١٨٨٠ استبدلت نسبة ٣ ٪ بدفع مبلغ سنوى محدد لزعماء القبائل الموريتانية بلغ ١,٢٠٠ جنيه لكل زعيم^(٧٠٦) .

وجدير بالذكر أنه على الرغم من المعاهدات التى ارتبطت بها فرنسا مع الزعماء الموريتانيين إلا أننا نلاحظ أنه كانت هناك علاقات تجارية بين بعض التجار الفرنسيين والقبائل الموريتانية ولم تكن لهذه العلاقة صفة رسمية كالاتفاقيات والمعاهدات التى عقدتها السلطات الفرنسية وإنما تعهد التجار بتقديم هدايا سنوية لزعماء القبائل وكانت هذه الهدايا هى أساس التعامل بين الطرفين وقد سمحت الحكومة الفرنسية لهؤلاء التجار بالاستمرار فى تعاملهم وتجاريتهم مع القبائل الموريتانية ولكن على مسؤولياتهم الخاصة دون تدخل الحكومة لحمايتهم^(٧٠٧) .

(٧٠٤) صلاح العقاد : المرجع السابق ، (موريتانيا) ص ٤١ .

Guernier, E. : op. cit, Tome I p. 80.

(٧٠٥)

Poulet, G. : op. cit, p. 154.

(٧٠٦)

Poulet, G. : op. cit, P. 153

(٧٠٧) .

واتسمت علاقة الفرنسيين بالقبائل الموريتانية حتى أواخر القرن التاسع عشر بالهدوء النسبي وذلك لأن تركيز فرنسا خلال هذه الفترة كان نحو الشرق والتوغل من السنغال والنيجر نحو الأقاليم الشرقية . بحيث أننا نجد في كثير من الأحيان أن القبائل الموريتانية تتعاون مع الفرنسيين ففي عام ١٨٨١ حاربت الفرق الفرنسية عبد الله أبو بكر زعيم بوسيه في منطقة ندوربدان N'Dourbadian وذلك لأنه ثار ضد الفرنسيين ، ورفض مد خط تلغراف في أراضيه وعمل على تحطيم الخطوط كلما مدتها الفرنسيون ولجأ في النهاية إلى قبائل أولاد على ولكن حاكم السنغال وقع معهم معاهدة بمنع إيواء الفارين أو اللائذين صد فرنسا وخاصة من جماعات بوسيه ووقع المعاهدة محمد ولدابيا زعيم أولاد على كذلك نصت المعاهدة على حماية القوافل التجارية التي تحمل الصغ أو أى منتجات أخرى ونعمه محمد ولدابيا بالعمل على نجدة القوافل في حالة تعرضها للخطر ، كذلك تعهد بحماية القوافل المارة بين سلاطه ، وماتام . كما تعهدت فرنسا مقابل ذلك بدفع ٤٠٠ قطعة حبه ذهبية له سنويا (٧٠٨) .

وجدير بالذكر أن المعاهدات التجارية التي عقدت بين كل من فرنسا والقبائل الموريتانية حددت العلاقة بين الطرفين ونظمتها ، فقد تعددت هذه المعاهدات وبكثرة معظمها كان بهدف التجارة وتحديد أنصبة زعماء القبائل من المبالغ المدفوعة لهم سواء من قبل الحكومة الفرنسية . ففي ٨ أكتوبر ١٨٩١ عقدت معاهدة مع أحمد سألوه أمير لشرارة بمقتضاها حصل على ٩,٩٩٩٦ فرنك و ١,٦٦٦ قطعة ذهبية من الحكومة الفرنسية سواء . كذلك وقعت معاهدة مماثلة مع كل من شمس Chems زعيم قبيلة Darmanours وأحمدو ملك البراكنة وزعيم الدويش الذي حصل بمقتضى المعاهدة من فرنسا على ألف قطعة حبه ذهبية سنويا . وفي ١٩ يناير ١٨٩٤ كان نصيب زعيم أولاد على ٥٠٠ قطعة حبه ذهبية . وهكذا نلاحظ أن فرنسا قبلت دفع هذه المبالغ السنوية للقبائل الموريتانية من أجل حل مشاكل تجارتها وتأمين الطرق المؤدية إليها ، وعدم تعرض هذه القبائل للقوافل التحذرية .. وقد قدر مجموع ما دفعته فرنسا لهذه القبائل من ١٨٩١ حتى ١٨٩٤ حوالي ٣٧,١٧٥ فرنك سنويا (٧٠٩) .

وبالإضافة إلى المعاهدات التجارية المعقودة بين الجانبين وقعت أيضاً معاهدات ذات طابع سياسى مع زعماء القبائل ، فعقدت فرنسا معاهدة أمير إدرار فى ٨ أغسطس ١٨٩٢ اتفقا فيها الجانبان على إعلان رغبتهما فى العيش فى سلام وصداقة ، وتعهدت فرنسا بعدم التدخل فى شئون إدرار السياسية وحماية ملك إدرار من أى عدوان خارجى ، وحماية القوافل التجارية القادمة من إدرار إلى السنغال وفى حالة تعرض هذه القوافل لاعتداء من قبل أى قبيلة أخرى موريتانية فعلى فرنسا سرعة توقيع العقوبات على القبيلة المعتدية ، كما حددت المعاهدة مبلغ ٥٠٠ قطعة ذهبية تدفع لملك إدرار زيدت فيما بعد إلى ٨٠٠ قطعة . أما الملك فقد تعهد هو الآخر بعدم توقيع أية معاهدة مع أى قوة أجنبية أخرى ، أو إعطاء حق احتكار التجارة لأى دولة باستثناء فرنسا وعليه استئذان حاكم السنغال عند الاتصال بأى دولة أوروبية أخرى . وقد لعب حكام السنغال دوراً كبيراً فى توطيد العلاقة بين الإدارة الفرنسية والقبائل الموريتانية ، وكثيراً ماتدخل حاكم السنغال لمنع الحروب بين هذه القبائل . ويلاحظ أن بعض القبائل رفضت التعامل مع الفرنسيين نهائياً ، واعتبرتهم دخلاء على المنطقة ورغم محاولات حكام السنغال تأكيد حرص حكوماتهم على عدم التدخل فى الشئون الداخلية لهذه القبائل إلا أنها رفضت التعامل معهم ^(٣١٠) .

(جـ) بعثة كوبولانى Coppolani وإخضاع موريتانيا :

بمقتضى الاتفاق الفرنسى / البريطانى الذى عقد فى عام ١٨٩٠ حصلت فرنسا بمقتضاه على الأراضى الواقعة جنوب البحر المتوسط من ساي على النيجر حتى بارواة على بحيرة تشاد . وكان معنى هذا الاتفاق أن أراضى موريتانيا اعترفت بها بريطانيا كمناطق نفوذ تابعة لفرنسا ولذلك ضمت فرنسا بأن الاستيلاء على موريتانيا لن تواجهه أى مشاكل من قبل الدول الأوروبية وخاصة بريطانيا ^(٣١١) ولذلك توالى البعثات الكشفية على موريتانيا ولعل أهمها بعثة كوبولانى التى أرسلت فى أواخر القرن التاسع عشر . فقد قام كوبولانى بعدة رحلات إلى المنطقة الأولى ١٨٩٨ والثانية ١٨٩٩ حيث تنقل خلالها فى موريتانيا ونجح فى الوصول إلى تمبكتو ^(٣١٢) وترجع أهمية رحلات كوبولانى إلى أنها نبهت الحكومة الفرنسية

Poulet, G. : op. cit, pp. 157 – 158.

Knapp, W. : op. cit, p. 238 .

Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV p. 255 .

(٣١٠)

(٣١١)

(٣١٢)

ووزارة المستعمرات لأهمية ضم موريتانيا (٣٧) فحتى عام ١٩٠٠ كانت الحكومة الفرنسية مشغولة بحملاتها في غرب أفريقيا وفي تشاد لتدعيم سيطرتها على المناطق التي استولت عليها (٣٨) وكان الفرنسيون لا يفكرون في اختلال الصحراء الواقعة شمال السنغال لاعتقادهم بأن نفقات الاحتلال لا تساوي هذا الإقليم الضحل ولذلك جاء استعمار موريتانيا متأخراً عن استعمار فرنسا لباقي مناطق غرب أفريقيا ، ولكن الفرنسيون أثناء حربهم مع ساموري عاشوا في توتر وخوف من أن ينتهز الموريتانيون الفرصة لشن الإغارات على نهر السنغال ولذلك كونوا حراسة قوية على حدود الصحراء (٣٩) ففي أول يوليو ١٩٠٠ كتب مدير نيورو الواقعة على نهر النيجر بأن الفرنسيين دعموا سيطرتهم على الضفة اليمنى لنهر السنغال . وتم إنشاء ثلاث مراكز عسكرية في السنغال المركز الأول على بعد ٨٠ كم من باقل وقد أتاح هذا المركز السيطرة على الطرق المؤدية إلى تجانت حيث تعبره القوافل المتجهة إلى السودان والعائدة من باقل . كما أتاح هذا المركز للفرنسيين مراقبة قبائل سيدي محمود أما المركز الثاني فهو في شمال بحيرة Aleg على بعد ٧٠ كم من نهر السنغال وهو يقع بالقرب من أواد Quad حيث الأراضي الخصبة وقد أتاح هذا المركز السيطرة على كل من البراكنة والدويش ومراقبة تحركاتهم . أما المركز الثالث والأخير فقط أنشئ شمال كايور على بعد ٥٠ كم من داجنا وأتاح السيطرة على الترابزة وقد دعمت هذه المراكز الثلاث بالحاميات العسكرية وفرق من الرماة والجنود (٤٠) .

وبوصول كوبولاني إلى السنغال عرض مشروع احتلال موريتانيا على الحاكم العام لغرب أفريقيا ولكنه عارض المشروع كما عارضه التجار الفرنسيون الذين كانوا يفضلون بقاء موريتانيا بعيدة عن السلطة الفرنسية حتى يحتكروا تجارة الصمغ ويحددوا سعره دون تدخل من حكومتهم . كذلك لم تلق الفكرة ترحيباً من وزارة الخارجية الفرنسية لاعتبارات دبلوماسية فلم تجد الوزارة في ضم موريتانيا ما يساوي ويعادل غضب كل من إنجلترا وألمانيا وأسبانيا الذين كانوا يطالبون بحقوق في المغرب في مناطق غير محددة ولم يكن يعرف فيما إذا كانت هذه المناطق تشمل موريتانيا أو جزء منها . وقد ظلت فرنسا مشغولة

Guernier, E. : op. cit, Tome I P. 80.

(٧١٣)

Crowder, M. : op. cit, Colonial P. 107 .

(٧١٤)

(٧١٥) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٢ .

Poulet, G. : op. cit, P. 168 .

(٧١٦)

عن منطقة موريتانيا حتى ١٩٠٥ ، وذلك لأن اهتمامها الأكبر إنما كان بالمغرب فعمدت الاتفاق الإبدى مع بريطانيا سنة ١٩٠٤ ، ثم الاتفاق الفرنسى الأسبانى . وركزت فرنسا بذلك جهودها على المغرب للاستحواذ عليه . أما فى غرب أفريقيا فقد انطلقت من السنغال نحو المناطق الداخلية كذلك اتخذت من سواحل غينيا قاعدة للانطلاق نحو الداخل^(٣٧) . ولكن رغم تجاهل الحكومة الفرنسية لمنطقة موريتانيا ، إلا أن كوبولانى أصر على لفت نظر حكومته إلى هذه المنطقة ولم ينتابه اليأس فطلب مقابلة رئيس الوزراء الفرنسى فالداك روسو ونجح فى إقناعه بمشروع احتلال موريتانيا . وفى أكتوبر ١٩٠٢ صدر المرسوم التنظيمى العام لأفريقيا الغربية وفيه تم تعيين كوبولانى حاكما على موريتانيا^(٣٨) .

كان كوبولانى على دراية كبيرة بأحوال المسلمين فى موريتانيا ، وقد أتقن اللغة العربية واطلع على العادات والتقاليد الإسلامية^(٣٩) ، ولذلك فقد عين ١٩٠٣ فى وظيفة مفوض فى الأراضى المدينة الموريتانية Territoire Civil de la Mauritanie^(٤٠) ، وخلال فترة إقامته فى المنطقة وطد علاقته مع المسلمين وزعمائهم وطرق الصوفية ، وقد كتب كوبولانى تقريراً أوضح فيه بأن سوء العلاقات بين الفرنسيين والموريتانيين راجع إلى أخطاء المترجمين السود الذين لا يجيدون الترجمة الدقيقة ، كما أن الفرنسيين لا يحاولون تفهم عقلية الزنوج . وقد وطد كوبولانى علاقته بالشيخ سيديا زعيم الطائفة القادرية مقابل ضمانات خاصة . وكان كوبولانى هو أول من مهد للسيطرة الفرنسى على القبائل الموريتانية بفضل تعامله معهم^(٤١) .

يمكن تقسيم الاحتلال الفرنسى لموريتانيا إلى ثلاث مراحل - المرحلة الأولى فيما بين عامى ١٩٠٠ - ١٩٠٥ ويصفها المؤرخون بأنها مرحلة التغلغل السلمى حيث يعرفها الموريتانيون بأنها بداية عهد السيطرة غير المباشرة ، المرحلة الثانية بين عامى ١٩٠٥ - ١٩١٤ وهى مرحلة الإخضاع العسكرى بقيادة جورو - المرحلة الثالثة ١٩١٤ - ١٩٣٤ وتتسم

(٧١٧) شوقى ، الجمل : المرجع السابق (المغرب) ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

(٧١٨) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٢ .

(٧١٩) Crowder, M. : op. cit, Colonial P. 107.

(٧٢٠) تملت الأراضى المدينة الموريتانية كل من :

Brakna - Kroufa - Trarza - Schoutelma - Nouakchott - Boutilimit - Aleg .

(٧٢١) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٢ .

بأنها تأمين للاحتلال وتصفية لجيوب المقاومة لاسيما قبيلة الرقيبات التي التجأت إلى الصحراء الغربية التي كانت خاضعة للنفوذ الأسباني .

أما عن المرحلة الأولى وهي مرحلة التغلغل السلمي من ١٩٠٠ إلى ١٩٠٥ ، فقد بدأت بقدوم كوبلاني إلى المنطقة وقد أقنع رئيس الوزراء الفرنسي بضرورة احتلال موريتانيا وتم وضع لجنة لدراسة خطة ربط الجزائر بمستعمرات فرنسا في غرب أفريقيا وكان لابد من إرضاء يد فرنسا على موريتانيا . وقد جاء في تعليمات رئيس الوزراء الفرنسي بأنه ينبغي تحقيق هذه الأهداف بأقل النفقات ودون إثارة أزمات دبلوماسية (٣٣٣) .

ورغم أن هذه المرحلة اتسمت بالتغلغل السلمي إلا أن هذا لم يمنع من حدوث بعض الاضطرابات فقد رفضت القبائل الخاضعة لأحمد سالوم احترام الاتفاقيات المبرمة مع فرنسا فأرسلت إليه حملة بقيادة دولابيلين Delaplane أجبرت أحمد سالوم على إعلان الحماية الفرنسية على بلاده (٣٣٣) .

كذلك احتجزت القبائل الموريتانية إثنين من العلماء الفرنسيين أرسلوا في بعثة علمية إلى إطار عاصمة إدرار وهما جيونو جمبتا Juinot Gambetta وبول بلانشيه Paul Blanchet ولم يفرج عنهما إلا بعد وساطة الشيخ سعدبوه أحد زعماء الطرق الصوفية وقد تبين بعد هذه الحوادث بأن توقيع المعاهدات والاتفاقيات مع الزعماء الوطنيين لا يكفي لتأمين البلاد أو تأمين عمل البعثات والتجار الفرنسيين (٣٣٤) .

وجدير بالذكر أن كوبلاني فور تعيينه ١٩٠٣ عقد معاهدة حماية مع كل من أمير الترازو والبراكنة ولذلك أغراه هذا النجاح بأن يواصل خططه في التوسع فيما وراء هاتين الأمارتين في إقليم إدرار وتجانن علما بأنه لم يكن قد وضع خطة احتلال شاملة للامارتين بل كان يكتفي بإقامة مراكز عسكرية متناثرة فأقام أولا المراكز كما أنه اختار موقع ميناء ليكون مركزاً لمصايد الأسماك فوق اختياره على نواذيبو التي اشتهرت باسم بورت ايتين . وقد اختلفت الأوضاع في تجانن وإدرار عنها في مناطق الترازو والبراكنة فقد اصطدم الفرنسيون هناك بمقاومة عنيفة وظهر الكثيرون من أبطال المقاومة من أمثال

(٧٢٢) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٢ .

Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV, p 257.

(٧٢٣)

(٧٢٤) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤ .

أحمد بن الديد ولد عساس ويكار ولد اسوف أحمد وسيدى أحمد ولد عيده وقد نجحت هذه المقاومة الوطنية فى أن تضع أمام التقدم الفرنسى حداً ، وقد دفع كوبولانى حياته ثمناً لتدخله فى المنطقة فقتل أثناء ذهابه فى فرقة استطلاعية فى المنطقة بالقرب من تيجيقجة حيث هاجمه جماعة من الموريتانيين من طرف فرق مولاي الزين الصغير وذلك فى شهر مايو ١٩٠٥ وقد اعتبر هذا الحادث نهاية لمرحلة التغلغل السلمى (٣٢٥) .

وبعد مقتل كوبولانى أعلن أمير الترابزة عدم قبوله للمعاهدة التى وقعها مع كوبولانى ثم غزا تجانت وحاصر الحامية الفرنسية فى تيجيقجة فتدخلت المغرب وطلبت من فرنسا ترك تجانت (٣٢٦) .

يلاحظ أن بوليه Poulet فى كتابه عن موريتانيا يؤكد دائماً بأن معظم القبائل الموريتانية كانت تريد الانضواء تحت الحماية الفرنسية ، ولكنها كانت تخشى إغارات وانتقام بقية القبائل ، كما أكد بأن معظم هذه القبائل فضلت الخضوع للنموذج الفرنسى وأكد هذه الفكرة أيضاً المسيو روليه Relhié المدير الفرنسى لمركز سوكولو الذى كتب بأن سكان منطقة ولاته كانوا يرغبون فى الخضوع للحماية الفرنسية واستدل على رأيه بإرسال شريف ولاته ابنه إلى سوكولو من أجل التفاوض على إنشاء هذا المركز (٣٢٧) ولكن فى الواقع من الصعب التأكد والتثبت من هذا رأى فقد تكون بعض القبائل الموريتانية قد قبلت الحماية الفرنسية لتحقيق حماية لنفسها ولمصلحة لها . ولكنها سرعان ما تعلن رفضها لهذه الحماية كما حدث من قبائل الترابزة . كذلك لا يمكن تقبل هذا رأى لسبب هام ألا وهو ثورة هذه القبائل المستمرة واستمرار مقاومتها للقوات الفرنسية . فإذا كانت رغبة حقا فى الانضواء تحية الحماية الفرنسية فما الذى يدفعها الثورة والتمرد .

أما عن المرحلة الثانية من مراحل الغزو الفرنسى ١٩٠٥ - ١٩١٤ فيلاحظ أنه بعد اغتيال كوبولانى خلفه فى المنطقة قائد عسكري آخر وهو مونتانيه كاب دوبوسك Montané Capdeboncq الذى وصل إلى تيجيقجة وعمل على تنظيم المنطقة والقضاء على الاضطرابات فيها (٣٢٨) .

(٧٢٥) صلاح ، المقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٤ .

Crowder, M : op. cit, Colonial p. 107.

(٧٢٦)

Poulet, G. : op. cit, PP. 161 - 162.

(٧٢٧)

Hauotiaux, G. : op. cit, Tome IV P. 321.

(٨٢٨)

وقد ظهرت عدة آراء حول مستقبل المنطقة فظهر اتجاه بالإنسحاب منها وسحب المواقع التي أنشئت لدى الترازة والبراكنة ولكن أنصار التوسع العسكرى رفضوا هذه الخطة وذلك لأنها ستؤدى إلى جمع شمل القبائل الموريتانية تحت لواء زعماء المقاومة مما يشكل خطرا على السنغال وقد أخذت الحكومة الفرنسية برأى العسكريين وعملت على تنفيذه (٣١٧) .

أما القائد مونتانيه فقد كلف بالبحث وتقصى الحقائق حول مقتل كوبولانى وعلم بأن زميله قد قتل بتحريض من الشيخ ماء العينين Ma El Ainine وهو زعيم دينى له نفوذ فى منطقة أدرار استقر فى الساقية الحمراء فى الأراضى الأسبانية وقد ساعده فى قتل كوبولانى أحمد ولد عيد حاكم ادرار (٣١٨) وقد لجأ الشيخان إلى سلطان مراكش مولاي عبد العزيز يطلبان مساعدته ضد التدخل الفرنسى فأرسل السلطان ابن عمه إدريس من أجل بحث الوضع فى المنطقة وذلك فى ٦ أكتوبر ١٩٠٦ وقابل مبعوث السلطان مولاي إدريس الكابتن تيسو Tissot قائد حصن تيجيقيجة وطلب منه باسم سلطان المغرب إخلاء تجانت ولكن تيسو لم يستمع إليه فتحرك مولاي إدريس نحو تجانت للاستيلاء عليها ، فأرسل تيسو قوة من الرماة السنغاليين بقيادة كل من الملازم اندريو Andrieux وفرانسو Franssu فى ٢٤ أكتوبر للتصدى لقوات مولاي إدريس الذى تحرك وشن هجوما جنوب تيجيقيجة حتى وصل نيملان Niémelane الواقعة جنوب تيجيقيجة وقتل كلا من الملازم اندريو وزميله فرانسو . وقد بادرت إدارة السنغال بإرسال نجدة سريعة بقيادة الملازم ميشار Michard . ثم حدث أن استولى مولاي عبد الحفيظ على السلطة فى المغرب من السلطان عبد العزيز فكلفت الحكومة الفرنسية المندوب الفرنسى فى فاس بالاعتراض لدى السلطان الجديد على تصرفات أولاد عمه وتحريضهم للقبائل الموريتانية (٣١٩) . كذلك احتج القنصل الفرنسى فى المغرب على إرسال المساعدات إلى ادرار ولكن السلطان عبد الحفيظ وعد ببحث الأمر والتحقيق فيه . وفى الوقت نفسه أرسلت تعليمات مشددة من الإدارة الفرنسية فى السنغال بعدم قيام الضباط الفرنسيين بأية مغامرة عسكرية فى منطقة إدرار والاكتفاء بالمواقع الحالية (٣٢٠) .

(٣١٩) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٤ .

(٣٢٠) تؤكد المصادر المغربية مساعدة سلاطين المغرب للقبائل الموريتانية .

Hanotaux, G. · op. cit, Tome IV pp. 321 - 322

(٣٢١)

(٣٢٢) صلاح ، العقاد : المرجع السابق موريتانيا ، ص ٤٥ .

وهكذا بدأ العداء بين فرنسا والشيخ ماء العينين والذي اتهمته السلطات الفرنسية بالتحريض على قتل كربولانى . وقد ولد الشيخ ماء العينين فى ولاته واستقر فى الساقية الحمراء جنوب مراكش وهو ابن محمد فاضل - أحد المصلحين الدينيين وسرعان ما أصبح للشيخ ماء العينين مكانة كبيرة وقد اتصل بسلطان المغرب وحصل على تأييده ضد نسيين واعتقدت القبائل الموريتانية بأن سلطان مراكش سيقف معهم ضد الفرنسيين ، فقد استمروا فى الإغارة على شواطئ السنغال وسببوا المتاعب للإدارة الفرنسية فيها ، أصيبوا بخيبة أمل بعد تخلى سلطان مراكش عنهم^(٧٣٣) فعندما احتل الفرنسيون إقليم الشاوية فى المغرب اضطر السلطان إلى التوقف عن مساعدة وتأييد القبائل الموريتانية الثائرة^(٧٣٤) .

أصبح للشيخ ماء العينين سيطرة روحية وعسكرية على المنطقة الصحراوية الواقعة فى شمال موريتانيا وجنوب المغرب ، واعتنق الطريقة الفاضلة التى أسسها والده محمد الفاضل وهى فرع من فروع القادرية . وقد استقر الشيخ فى الساقية الحمراء منذ ١٨٨٤ حيث عمل على محاربة الفرنسيين والتصدى لمطامعهم فى منطقة إدرار ويلاحظ أن الشيخ ماء العينين تلقى مساندة من بعض القوى الأجنبية إذ كانت السفن الألمانية والأسبانية واليونانية وغيرها تزوده بالأسلحة والذخيرة كذلك راجت الإشاعات حول اتصاله بألمانيا التى كان لها توغل اقتصادى معروف فى مراكش ، كذلك اتصاله بالسلطان العثمانى مما أزعج السلطات الفرنسية^(٧٣٥) .

فى عام ١٩٠٧ أصبح الكولونيل جورو مفوضا فى المنطقة وكان من أنصار التوسع العسكرى ولذلك رأى ضرورة الاستيلاء على تجانت ولذلك بنى حصنا فى Akjoucht فى عام ١٩٠٨ ، وقد أثار بناء هذا الحصن أحمد ولد عيدا فقام بتهديد الحصن وأغار عليه . وفى ٨ ابريل أرسل ماء العينين قواته فهاجمت الفرنسيين فى Damane جنوب حصن اكجوشن وأعلن الشيخ حسان أحد أبناء ماء العينين الجهاد ضد الفرنسيين والمسلمين المتعاونين معهم وقام أتباعه بقطع خطوط البرق ، واستمرت قوات الشيخ حسان فى مهاجمة الفرنسيين

Suret - Canale, J. L'Afrique Noire Occidentale. (Paris 1961), P 124.

(٧٣٣)

(٧٣٤) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٥ .

(٧٣٥) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

والاعتداء عليهم ، واشتدت الاشتباكات بين أتباع ماء العينين حتى بلغ عدد القتلى من ١٦ مارس ٦ ديسمبر ١٩٠٨ وهم ١٤٢ قتيل في ١٢٥ اشتباك (٣٧) .

وكان لابد لفرنسا من اتخاذ خطوات حاسمة للقضاء على هذا الوضع ، فتم اختلال إدارر حيث تركزت المقاومة ضد الفرنسيين فأرسل جورو حملة ١٩٠٨ ، لاحتلال المنطقة (٣٨) وقد وصلت الحملة إلى Moudjeria في أوائل ديسمبر ١٩٠٨ وتكونت من ٢٤ ضابطاً ، ٤٤ من رجال المدفعية وألف مقاتل ودامت الحملة عشرة أشهر من ديسمبر ١٩٠٨ حتى أكتوبر ١٩٠٩ ، وتعرضت الحملة للهجمات من الشمال والجنوب فهاجمها الطوارق في الشمال والموريتانيون من الجنوب وتكلفت فرنسا خسائر فادحة . واستولت القوات الفرنسية على إطار عاصمة إدارر وتراجعت قوات ماء العينين لتعيد تنظيم نفسها استعداداً لشن هجوم جديد ، وتركزت القوات في Idjil ولكن جورو كون حملة من ٥٠٠ رجلاً وترك إطار واستعد للهجوم على ماء العينين مرة ثانية فاضطر إلى الهرب إلى ريودي أورو (٣٩) .

ورغم هزيمة ماء العينين إلا أنه استمر في الجهاد فلقب نفسه سلطاناً وسار إلى فاس على رأس حملة . وتغلب على القائد الفرنسي في تادلة في ٢٣ يونيو سنة ١٩١٠ ولكنه توفي في أكتوبر من نفس العام (٣٩) .

عمل الفرنسيون على تنظيم البلاد فقام الملازم بانيه Panet بإرسال بعثة لدراسة منطقة هضبة إدارر وفي ١٩١١ أرسلت حملة استولت على Tichit الواقعة شرق تاجنت وتم أسر أحمد ولد عيذاً أمير إدارر والذي سبب للفرنسيين الكثير من المتاعب (٤٠) .

ويرجع سبب تركيز الحملات الفرنسية على منطقة إدارر أنها كانت مركز تجمع القبائل الموريتانية التي كانت تغير على السنغال ثم تتراجع سريعاً متخذة من إدارر مركزاً للحماية بالإضافة إلى أن فرنسا أرادت القضاء على المقاومة الوطنية التي تزعمها أحمد ولد عيذاً (٤٠) .

Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV pp. 322 - 323.

(٣٦)

Suret - Canale, J. : op. cit, p. 124.

(٣٧)

Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV p. 324.

(٣٨)

(٣٩) صلاح العقاد : المرجع السابق موريتانيا (ص ٤٦) .

Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV p. 324.

(٤٠)

Guernier, E. : op. cit, Tome I p. 56.

(٤١)

خلف الهيبة El Hiba ولده ماء العينين وعمل هو الآخر على مقاومة الفرنسيين واستمر في هجموه على الحصون الفرنسية حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (٧٤٢) وقد أعلن الهيبة نفسه سلطاناً على المغرب في مايو ١٩١٢ وحاول محاربة سلطان مراكش (٧٤٣) . وفي ١٨ أغسطس بدأ الهيبة وأتباعه يتقدمون نحو منطقة الشاوية ، كما تمكن بعض أتباعه من احتلال أغادير وتفاقت حركة الهيبة بعد تنازل مولاي عبد الحفيظ فالتجته إليه الأنظار ، وتكتلت حوله النفوس الوطنية ولجأ الفرنسيون إلى الدس بينه وبين أتباعه لإحداث بلبلة في صفوفه ونجحوا في الانتصار عليه في ٧ سبتمبر ١٩١٢ بقيادة الكولونيل مونجان Mengin . ثم بدأوا في تأمين مواصلاتهم بين فاس ومكناس والرباط (٧٤٤) ولكن الهيبة استمر في ثورته ضد الفرنسيين ، وفي الإغارة على مراكزهم العسكرية كذلك عمل على معاقبة القبائل المتعاونة معهم فأغار عليهم وبالإضافة إلى مقاومة الهيبة استمرت مقاومة القبائل الموريتانية الأخرى في كل من Tichitt و Gaeub الواقعة جنوب موريتانيا ورغم إلقاء القبض على كثير من زعماء القبائل مثل أحمد ولد عيدا أمير إدرار ، إلا أن المقاومة الوطنية استمرت طوال أعوام ١٩١٠ - ١٩١٣ وتصدى الكولونيل مونييه للقبائل الثائرة (٧٤٥) كذلك ظهر يد الأغدف بن ماء العينين وشقيق الهيبة فشن هجوماً على الفرنسيين جنوب المنطقة لأسبانية ريودي أورو في اتجاه هضبة أورار واستطاع يد الأغدف تكبيد القوات الفرنسية الخسائر الفادحة (٧٤٦)

واستمرت المقاومة ضد الفرنسيين ففي عام ١٩١٣ ثار أهالي منطقة سمارة Samara الواقعة شمال موريتانيا فشنت القوات الفرنسية حملة ضد هذه القبائل واخترقت الحملة أقاليم مجهولة للفرنسيين ولكنها نجحت في ملاحقة الثوار وتوقيع أشد العقوبات بهم (٧٤٧) .

ومما لا شك فيه أن السيطرة على سمارة كان له أثر كبير في قمع حركة المقاومة فتم عقد معاهدة في ١٩١٣ بين أمير إدرار ومندوب الحاكم الفرنسي العام في موريتانيا تعهد فيها

Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV p. 325.

(٧٤٢)

Guernier, E. : op. cit, Tome I p. 56.

(٧٤٣)

(٧٤٤) شوقي ، الجمل : المرجع السابق (المغرب) ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

Guernier, E. : op. cit, Tome I p. 56.

(٧٤٥)

(٧٤٦) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٨ .

(٧٤٧)

Guernier, E. : op. cit, Tome I p. 56.

الأخير بأن يستشير المندوب الفرنسي في أموره وعلاقته مع الأمراء وأن يمتنع عن تحصيل الغرامات في مقابل الحصول على مخصص سنوي قدره ثمانية آلاف فرنك (٧٤٨) .

وهكذا نلاحظ أنه خلال المرحلة الثانية من مراحل غزو موريتانيا اشتدت المقاومة الوطنية وهدد الثوار مراكش نفسها ولم تنجح فرنسا في تدعيم سيطرتها العسكرية التامة على المنطقة ، ويرجع سبب تعثر الفرنسيين في إخضاع شمال موريتانيا إلى أن الأسبان لم يسمحوا لهم بتتبع المسلمين الثائرين في منطقة النفوذ الأسبانية فكثيراً ما كان زعماء المقاومة يلجأون إلى القسم الشمالي من الصحراء ويختبئون فيها ولكن بعد استيلاء فرنسا على المغرب وإعلان الحماية عليها عملت على إرسال الحملات العسكرية من الشمال الإفريقي كذلك أرسلت أيضاً حملات عسكرية من السنغال للقضاء على مقاومة القبائل الموريتانية وحوصرت هذه القبائل بين الحملات المكثفة من السنغال في الجنوب وحملات المغرب من الشمال (٧٤٩) .

أما المرحلة الثالثة لإخضاع موريتانيا فقد استمرت من ١٩١٤ حتى ١٩٣٤ ، واتسمت المقاومة الوطنية طوال هذه الفترة وخاصة من جانب قبائل الرقيبات وبين دليم ورغم إعلان أولاد دليم استسلامهم للنفوذ الفرنسي في عام ١٩١٨ كذلك استسلام أحد أبناء الشيخ ماء العينين عام ١٩١٩ إلا أن تعسف الإدارة الفرنسية وفرضها الضرائب على القبائل أدى إلى حدوث ثورة واضطرابات في المنطقة لم تنقطع إلا بعد ١٩٣٤ (٧٥٠) .

أما عن تحديد الحدود بين موريتانيا والجزائر فقد امتد خط الحدود في اتجاه مستقيم يلتقى في رأسه الشمالي مع حدود الصحراء التي كانت تابعة لأسبانيا وفي رأسه الجنوبي حدود مالي . وقد وضعت فرنسا الحدود بين موريتانيا والجزائر عام ١٩٠٥ وبلغ طولها نحو ٣٠٠ ميل وتشمل منطقة تندوف . أما الحدود بين موريتانيا والصحراء الأسبانية فقد خططت بين فرنسا وأسبانيا عام ١٩٠٠ وتأكد ذلك في معاهدة عام ١٩٠٤ . وقد انتهى الطرفان إلى تقسيم الصحراء ووضعاً حدوداً اصطناعية هندسية مستقيمة تتفق مع خطوط الطول والعرض وقد اتفقا على أن يكون الحد الجنوبي للنفوذ الأسباني موازياً لرأس بلانكو بحيث يقسمه

(٧٤٨) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٨ .

Knapp - W. : op. cit, p. 238.

(٧٤٩)

(٧٥٠) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٩ .

إلى قسمين ويمتد خط الحدود هذا بحيث تدخل مناجم الجبل للملح ضمن موريتانيا ثم تمتد الحدود باتجاه شمالي شرقي حتى تقاطع خط طول ١٢ غربا مع مدار السرطان ، ثم تمتد نحو الشمال بشكل خط مستقيم مواز لخط طول ١٢ غربا حتى تقاطعه مع خط عرض ٢٧ شمالا ثم تتجه الحدود شمالا ويخط مستقيم حتى التقاء نقطة الحدود مع الجزائر عند خط طول ٨٤٥ غربا (٧٥١) .

وبالاستيلاء على موريتانيا حققت فرنسا حلمها وهدفها التوسعي واستكملت مخططاتها العسكرية وبدأت الخطوة التالية وهي تجميع مستعمراتها فى وحدة واحدة ليسهل عليها إدارتها وإحكام قبضتها عليها .

(٧٥١) صلاح ، العقاد : المرجع السابق ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

الفصل الخامس

إنشاء أفريقيا الغربية الفرنسية وإدارتها

- ١ - توحيد أفريقيا الغربية الفرنسية
- ٢ - سياسة فرنسا والم
- ٣ - دور الزعماء المحلي

١ - توحيد أفريقيا الغربية الفرنسية :

ما كاد القرن التاسع عشر يصل إلى نهايته ، حتى كان الاحتلال الفرنسي لغرب أفريقيا قد أوشك على الاكتمال ، وكان من الصعب على الإدارة الفرنسية فى السنغال أن تدعم سيطرتها على تلك المساحة الشاسعة من الأراضى التى سيطرت عليها القوات الفرنسية ، والتى امتدت إلى المناطق الساحلية فتطلب الأمر توحيد المصالح الفرنسية فى المنطقة وإيجاد حكومة عليا تشرف وتدير المستعمرات كلها^(٧٥٢) .

ولذلك ظهرت فكرة تجميع المستعمرات الفرنسية فى وحدات فيدرالية حتى تسهل عملية إدارتها والتحكم فيها ، وتكونت أفريقيا الغربية الفرنسية A. O. F. وأفريقيا الاستوائية الفرنسية كوحدتين فيدراليتين وتكون الاتحاد الفيدرالى من عدة وحدات تخضع كل منها لحاكم يخضع بدوره للحاكم العام فى الاتحاد . ويمثل الأخير الجمهورية الفرنسية ، وهو المسئول الأول أمام وزير المستعمرات الفرنسى فهو الوسيط بين المستعمرات الفرنسية ووزارة المستعمرات وقد ساد فى كل هذه الوحدات نظام الحكم المباشر فيما عدا السنغال^(٧٥٣) .

وجدير بالذكر أن أفريقيا الغربية الفرنسية تكونت بمقتضى أربعة مراسيم على النحو التالى :

أولا : مرسوم ١٦ يونيو ١٨٩٥ : حدد هذا المرسوم معالم أفريقيا الغربية الفرنسية ، وأعلن تكوينها تحت النفوذ الفرنسى ، كما تكونت بمقتضاه الحكومة العامة لغرب افريقيا ، وأوجد هذا المرسوم وظيفة الحاكم العام الفرنسى لغرب افريقيا كذلك وظيفة حاكم المناطق الساحلية للمستعمرات الذى كان يعمل كنائب للحاكم العام . وقد تمتع الحاكم العام بسلطات مطلقة ، فكان من حقه وضع ميزانية الاتحاد ، وله حق الاتصال المباشر مع وزارة

Adloff, R. : op. cit p. 160.

(٧٥٢)

(٧٥٣) عبد الملك ، عوده : المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

المستعمرات كذلك أصبح هو صاحب السلطة والمسيطر على المناطق الداخلية فى السودان كما كان عليه التنسيق بين المستعمرات الفرنسية وتوحيد سياستها (٧٥٤) .

ضم اتحاد أفريقيا الغربية الفرنسية كلا من السنغال وغينيا الفرنسية - السودان الفرنسى - ساحل العاج . ولم تكن داهومى ضمن هذا الاتحاد . ويمكن تعليل عدم انضمام داهومى إلى الاتحاد إلى أن المناطق الساحلية تمتعت خلال هذه الفترة بالاستقلال فى ميزانيتها بالإضافة إلى أن الحماية الفرنسية أعلنت على داهومى فى يناير ١٨٩٤ ولكن إخضاع المناطق الداخلية استغرق فترة طويلة ولذلك لم يكن الوضع قد استتب فيها بعد (٧٥٥) .

وقد تولى شوبييه وظيفة الحاكم العام للاتحاد من عام ١٨٩٥ حتى ١٩٠٠ وبأشر مهام منصبه من سانت لويس فى السنغال (٧٥٦) . وقد اختيرت سانت لويس باعتبار أن السنغال من أقدم المستعمرات الفرنسية . ولذلك كان الحاكم العام للاتحاد هو الذى يتولى أيضا إدارة مستعمرة السنغال وملحقاتها (٧٥٧) .

ثانياً : مرسوم ١٧ أكتوبر ١٨٩٩ : بمقتضى هذا المرسوم أصبحت داهومى ضمن نطاق الاتحاد . كذلك قسم السودان الفرنسى بين كل من غينيا الفرنسية والسنغال وساحل العاج ، وداهومى وتم تعيين حاكم على كل مستعمرة برتبة ملازم يتبع الحاكم العام للاتحاد ، وقد أعطى هذا المرسوم سلطات أوسع ونفوذ أكبر للحاكم العام (٧٥٨) .

وقد قسمت أراضى السودان الفرنسى إلى أربعة أقاليم كبرى هى :

الاقليم الأول : الإقليم الشرقى يضم باماكو - كيتا - سيجو - جنى .
الاقليم الثانى الساحلى ويضم نيورو - جومبو - سوكولو .

Ajayi, J. : op. cit., Vol. II, pp. 437 - 438.

(٧٥٤)

Cornevin, R. : op. cit., p. 370.

(٧٥٥)

Hanotaux, G. : op. cit., Tome. IV, p. 315.

(٧٥٦)

Suret - Canale, J. : op. cit., p. 117.

(٧٥٧)

Hanotaux, G. : op. cit., p. 198.

(٧٥٨)

الإقليم الثالث الشمالى والغربى ويضم كورى - بوبو ديولاسو - كوتياالا Koutiala - دورى - بورا Bourra كونج - جوروسا .

الإقليم الرابع الجنوبى ويضم سيجيرى - دينجويرى - كوروسا - بوجونا - كيسيد وجو - كمنكان - ييلا - توبا .

وضمت هذه الأقاليم إلى ساحل العاج وغينيا الفرنسية ولم يبق من السودان الغربى سوى منطقة ثنية النيجر التى أصبحت أراضى عسكرية مركزها تمبكتو^(٧٥٩) .

ثالثاً : مرسوم ١٩٠٢ : بمقتضى هذا المرسوم أصبحت داكار هى العاصمة بدلا من سانت لويس ، كما أصبح على حاكم كل مستعمرة مقابلة الحاكم العام كل سنة لمناقشة ميزانية المستعمرة والإدارة العامة^(٧٦٠) ، كذلك لم يعد الحاكم العام هو الذى يتولى بنفسه إدارة مستعمرة السنغال كما جمعت الأقاليم القديمة التى لم تندمج مع غينيا الفرنسية وساحل العاج وعرفت باسم أراضى سنغمبيا والنيجر ، وأصبح الاتحاد يتكون من السنغال - غينيا الفرنسية - ساحل العاج - داهومى^(٧٦١) أراضى سنغمبيا والنيجر^(٧٦٢) .

رابعاً : مرسوم ١٨ أكتوبر ١٩٠٤ : بمقتضى هذا المرسوم تدعمت سلطة الحاكم العام المالية ، وأصبحت ضرائب المستعمرات كلها تؤول إليه وأصبح عليه المشاركة فى تنمية اقتصاد الاتحاد والمشاركة فى الأشغال العامة مثل مد الخطوط الحديدية بناء الموانى ، وقد ساعد ذلك على تقدم اتحاد A. O. F.^(٧٦٣) .

وبمقتضى مرسوم ١٩٠٤ أعيد للسودان الفرنسى حدوده القديمة باستثناء بعض المراكز فى الجنوب والتى ضمت إلى الساحل ولكن خوفا من عواقب نسبية السودان الفرنسى فضل الفرنسيون إطلاق اسم أعالي السنغال والنيجر على هذه المستعمرة Haut Senegal et Niger وأصبح السودان الفرنسى من جديد مستعمرة قائمة بذاتها وأعيدت له حدوده . كما أصبحت

Guernier, J. : op. cit., Tome I, p. 60.

(٧٥٩)

(٧٦٠)

(٧٦١) لمزيد من التفاصيل عن المقاومة الوطنية فى ساء

ذهنى - سياسة فرنسا التوسعية فى عرب افريقيا من منتصف القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى .

Hanotaux, G. : op. cit., p. 198.

(٧٦٢)

Gann, L. : op. cit., Vol. I, p. 175.

(٧٦٣)

موريتانيا أراضى مدنية Territoire Civile ودخلت ضمن نطاق الاتحاد^(٣٦٤) . وذلك لأن الفرنسيين نظروا إلى موريتانيا باعتبارها حلقة اتصال بين أفريقيا والجزائر وازدادت أهميتها بعد الاتفاق مع أسبانيا على تخطيط حدود مناطق النفوذ ومع ذلك ظل الفرنسيون مترددون فى إلحاقها بأى من المستعمرات المجاورة وإن كانت الدلائل تشير إلى أنها ستنضم إلى مجموعة غرب أفريقيا وظلت موريتانيا تدار من سانت لويس حتى ١٩٥٨ وهو تاريخ بناء نواكشوط^(٣٦٥) .

وبانضمام موريتانيا أصبح اتحاد A. O. F. يتكون من السنغال - غينيا الفرنسية - ساحل العاج - داهومى - أعالي السنغال والنيجر - موريتانيا^(٣٦٦) .

وبمقتضى مرسوم ٧ سبتمبر ١٩١١ فصلت أراضى النيجر عن السنغال لتكون أراضى عسكرية تحت سيطرة ضابط فرنسى ، أما فولتا العليا فقد تكونت من الأراضى الداخلية لساحل العاج ، والأراضى التى اقتطعت من أعالي السنغال والنيجر فى عام ١٩١٩^(٣٦٧) .

وجدير بالذكر أن فرنسا لم تفكر فى ربط مستعمراتها وتكوين اتحاد A. O. F. قبل عام ١٨٩٥ ، رغم أن بريطانيا سبقتها فى هذه الخطوة إذ عملت على ربط مستعمراتها فى غرب أفريقيا منذ عام ١٨٩٠ ، واتخذت من فريتاون مركزاً لها وكان هدف بريطانيا من توحيد مستعمراتها لأسباب تجارية واقتصادية ولتسهيل عملية التبادل التجارى بين المستعمرات . أما فرنسا فلم تفكر فى توحيد مستعمراتها لعدة أسباب :

١ - لأن فرنسا سيطرت على منطقة كلها أنهار وطرق تجارية ، وأية محاولة لتركيز الإدارة كانت تحتاج لعدد كبير من القوات العسكرية .

٢ - كانت إدارة المستعمرات الفرنسية عام ١٨٩٤ تابعة لوزارة البحرية التى كانت عاجزة عن وضع إدارة سليمة وثابتة للمستعمرات الفرنسية .

٣ - كان هناك انقسام فى غرب أفريقيا فى الأراضى التى سيطرت عليها فرنسا فالأقاليم الساحلية لها تجارة مستقلة واقتصاد مستقل عن المناطق الداخلية .

Hanotaux, G. : op. cit., p. 198.

(٣٦٤)

(٣٦٥) صلاح ، العقاد . المرجع السابق « موريتانيا » ، ص ٥٠ .

Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 178.

(٣٦٦)

Ibid., p. 178.

(٣٦٧)

٤ - المقاومة العنيفة التى لقيها الفرنسيون فى المنطقة حالت دون ربط المستعمرات وتوحيدها . ولكن بعد التغلب على هذه المقاومة وإضعافها أمكن توحيد المستعمرات الفرنسية ، ولذلك تعاقبت المراسيم وتوالت على المنطقة حتى تم توحيدها (٣٨) .

ولإحكام السيطرة الفرنسية على المنطقة كان لا بد من تنظيم القوات العسكرية الفرنسية العاملة فى غرب أفريقيا . وقد استغرق تكوين جيش خاص للمستعمرات الفرنسية أكثر من عشرين عاما ، لأن الساسة الفرنسيين لم يهتموا بإنشاء هذا الجيش ، فقد عارضت الكثير من الأصوات التصويت على الإعتمادات المالية اللازمة لإنشاء هذا الجيش ، فقد كان الرأى السائد أنه من الأفضل التركيز على جيش للدفاع عن فرنسا نفسها ، يكون هو الحارس للنظام الإجتماعى فيها بدلا من تشتيت الجهد بإنشاء جيش للمستعمرات . وقد تم أخيراً تكوين هذا الجيش فى عام ١٩٠٠ بعد محاولات عنيفة استمرت أكثر من عشرين سنة ، فى الوقت الذى كانت فيه قوات المستعمرات قد أتمت غزو غرب أفريقيا قبل تكوين هذا الجيش (٣٩) .

يلاحظ أن فرنسا اعتمدت على القوى الوطنية فى تكوين مختلف الفرق العسكرية فمنذ عهد فيدهرب أهتم بتشديد فرقة الرماة السنغاليين الذين لعبوا دورا هاما فى التوسع الفرنسى واستمر خلفاؤه من بعده على هذه السياسة ونادى مانجان سنة ١٩١٠ بضرورة الاعتماد على القوى السوداء فى المنطقة La Force Noire من أجل تقوية الجيش الفرنسى ، وقد طبق ذلك خلال الحرب العالمية الأولى ففى سنة ١٩١٧ تم تجنيد حوالى خمسين ألفا من سكان غرب أفريقيا للخدمة فى الجيش الفرنسى ومساعدته (٤٠) .

ويمكننا القول بأن نظام الحكم الفرنسى فى أفريقيا اتخذ شكلا هرميا ففى القمة وزير المستعمرات وهو عضو من أعضاء الحكومة الفرنسية ، يليه الحاكم العام وهو الحاكم العام للمستعمرات ومقره داكار ، ثم زعماء القرى فى ذيل القائمة (٤١) .

Ajayi, J. : op. cit., Vol. II, pp. 435 - 436.

(٧٨)

Forstner, K. : op. cit., p. 387.

(٧٩)

Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 387.

(٨٠)

Fage, J. : op. cit., p. 169.

(٨١)

تكونت وزارة المستعمرات عام ١٨٩٤ وكانت المستعمرات تتبع من قبل لوزارة البحرية ثم خضعت لإشراف وزارة التجارة وقد تمتع وكلاء وزارة المستعمرات بنفوذ كبير ، فقد وكلت إليهم أمور المستعمرات فى غرب أفريقيا ، وإذا جاز لنا أن نتساءل عن سبب تزايد هذا النفوذ سنجد أن عزلة السودان جعلته بعيداً عن المجرى الرئيسى للسياسة العليا مما أدى إلى تقليل الحاجة للإشراف عليه (٣٣) .

وقد تولى منصب وكيل المستعمرات عدد من الشخصيات البارزة مثل فليكس فور - أوجينى ايتيان - دلكاسيه ، وكانوا جميعاً من أنصار التوسع العسكرى (٣٣) .

وكان لوزارة المستعمرات مجلس أعلى للمستعمرات استبدل به المجلس الأعلى لشئون فرنسا فيما وراء البحار وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ - المجلس الاستعماري ويتكون من وزراء المستعمرات السابقين وحكام المستعمرات السابقين وممثلين من وزارة الخارجية والحرية والبحرية .

٢ - المجلس الاقتصادى .

٣ - المجلس التشريعى .

وكانت الأوامر الصادرة للمستعمرات تصدر من قبل الحكومة الرئيسية فى باريس وإن كان تفاصيل تطبيقها تترك لحكام المستعمرات فيصدرونها بأوامر محلية .

أما الشؤون المالية فقد تدخل فيها البرلمان الفرنسى كذلك المشاريع الداخلية التى يتطلب تنفيذها مساعدة من الحكومة الفرنسية كان من حق البرلمان الفرنسى الإشراف عليها (٣٤) .

جدير بالذكر أنه إذا كانت الحكومة الفرنسية قد حرصت على تنظيم المستعمرات بتكوين وزارة خاصة لها وبإصدار عدة مراسيم حدد من خلالها المستعمرات الفرنسية فى غرب أفريقيا إلا أن هذا لا ينفى وجود بعض الهيئات الاستعمارية التى عملت على تدعيم

Forstner, K : op. cit., p. 68.

(٧٢)

Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 76.

(٧٣)

(٧٤) زاهر ، رياض : المرجع السابق ، ص ٢٥ ، ٢٧ .

السيطرة الفرنسية الاستعمارية فى المنطقة مثل المدرسة الاستعمارية التى يرجع الفضل فى تأسيسها إلى أوجين ايتيان وكان الغرض منها تخريج عدد من الشباب الفرنسى القادر على العمل فى إدارة المستعمرات ، وكان طلاب هذه المدرسة يتلقون تدريباتهم فى المراكز الاستعمارية ، وفى عام ١٩٠٧ تخرج حوالى ٤٨٩ من هذه المدرسة منهم الضباط والموظفين ، كما دربت هذه المدرسة صفار الضباط وكان خريجوها قادرين على أداء مختلف الوظائف القضائية والإدارية ونظراً لتوسع فرنسا فى غرب أفريقيا فى مناطق مختلفة الثقافات والديانات ، لذلك كان لابد لطلاب هذه المدرسة من دراسة مختلف الثقافات ، لكى يتمكنوا من العمل فى أى مكان ولم تقتصر هذه المدرسة على تخريج دفعات صالحة للعمل فى إدارة المستعمرات الإفريقية فقط وإنما خرجت كوادر كثيرة لإدارة مستعمرات فرنسا فى الهند الصينية ، وغيرها من المناطق (٣٥) .

ورغم جهود الحكومة الفرنسية فى المنطقة ، إلا أنه تكونت بفضل الجهود الفردية عدة هيئات اهتمت بمنطقة غرب أفريقيا ، وكان لها دور هام فى تاريخ الاستعمار الفرنسى ومن هذه الهيئات لجنة أفريقيا الغربية الفرنسية Comité de L'Afrique Française التى تأسست عام ١٨٩٠ وكانت رمزاً للاستعمار الحقيقى وأصدرت اللجنة مجلة شهرية تحوى معلومات هامة عن القارة الإفريقية كما أن أعضائها المؤسسين لها من ذوى الميول التوسعية ففى ١٨ نوفمبر ١٨٩٠ أصدرت اللجنة بياناً حددت فيه أهدافها جاء فيه « نحن نشهد أن تقسيم أفريقيا قد تم بواسطة أمم أوروبية متحضرة وفى هذا التقسيم حصلت فرنسا على أكبر نصيب ، ولكنها تركت حقوقها فى شرق أفريقيا ، ويفضل جهود فرنسا تأكد وجودنا فى الجزائر وتونس والسنغال والكونغو ، وبمقتضى الاتفاق الفرنسى البريطانى ١٨٩٠ تقررت وحدة السنغال والجزائر عبر الصحراء . كما أعطانا الاتفاق بحيرة تشاد أيضاً التى سنصل إليها عبر الكونغو . ولا بد لنا من إتمام الوحدة عبر السودان من الكونغو الفرنسى إلى السنغال والجزائر وتونس .

لقد قررنا تكوين لجنة من أهم مهامها تنمية النفوذ الفرنسى فى غرب أفريقيا ووسط وشمال أفريقيا ، وهذه اللجنة لها نشاطها الخاص ولا علاقة لها بأى مشروع فى العالم ومن أهم أهدافها مد النفوذ الفرنسى دون تحميل الدولة أى مسؤولية (٣٦) .

Gann, L. : op. cit., Vol. I, p. 172.

(٣٥)

Hanotaux, G. : op. cit., pp. 180 – 183.

(٣٦)

لقد تكونت اللجنة من عدد كبير من الشخصيات وكان من بينهم وزراء وقواد عسكريون ، وأعضاء الجمعية الجغرافية ، وأعضاء من البرلمان الفرنسى وغيرها من الشخصيات ، وقد عملت اللجنة على وحدة السواحل حول بحيرة تشاد ، والربط بين ممتلكات فرنسا فى السودان الفرنسى والجزائر وتونس والكونغو ، وقد أسندت هذه اللجنة إلى بول كراميل القيام ببعثة فى المنطقة الواقعة بين الكونغو وبحيرة تشاد لاستطلاع المنطقة ، وقامت بتمويل هذه الحملة دون الاعتماد على الحكومة الفرنسية .

وجاء فى بيان اللجنة بأن الغرض من البعثة خدمة النفوذ الفرنسى دون تكبيد الحكومة أية مصاريف أو تحملها لأية مسؤوليات ولعبت هذه اللجنة دوراً كبيراً فى تاريخ الاستعمار الفرنسى (٣٣) .

٢ - سياسة الفرنسة والمشاركة :

بلغت مساحة المستعمرات الفرنسية فى أفريقيا ضعف مساحة المستعمرات البريطانية فتبلغ مساحة أفريقيا الغربية الفرنسية حوالى ١,٨٥٠,٠٠٠ ميل مربع وتغطى أفريقيا الإستوائية الفرنسية حوالى مليون ميل مربع آخر ، وامتدت المستعمرات الفرنسية فى غرب أفريقيا من داكار غرباً حتى بحيرة تشاد شرقاً ، ومن الصحراء شمالاً حتى خليج غينيا جنوباً ، طولها من الشرق إلى الغرب أكثر من ٢٠٠٠ ميل ومن الشمال للجنوب حوالى ١٥٠٠ ميل ، ورغم امتداد المستعمرات الفرنسية فى هذه المساحة الشاسعة من غرب أفريقيا ، إلا أن فرنسا أرادت رغم اتساع هذه المساحة أن تصبغ المنطقة بالصبغة الفرنسية (٣٤) وبذلك فرضت فرنسا على المنطقة ما عرف بسياسة الفرنسة أو الإندماج Assimilation (٣٥) والتي كان معناها صبغ المستعمرات بالصبغة الفرنسية ، وفرض الثقافة والتقاليد والنظم الفرنسية وتشرب الأفارقة الثقافة الفرنسية ، واتقطاع كل صلة لهم بتاريخهم القومى وحضارتهم الإفريقية ومقوماتها ، ثم تشرب الثقافة الفرنسية والارتباط تاريخياً واجتماعياً وسياسياً بالأم الكبرى فرنسا (٣٦) .

Forstner, K. : op. cit., pp. 192 – 193.

(٣٣)

(٣٤) صلاح ، صبرى : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٣٥) أطلق عليها بعض الكتاب لفظ الاستيعاب .

(٣٦) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، تاريخ كشف ، ص ٥٢٧ .

لقد اعتقد الفرنسيون أن أعظم منة ومنحة يقدمونها للأفارقة فى المستعمرات هى ثقافتهم ولغتهم ونظمهم ومبادئهم وقيمهم ، وهذا الاعتقاد ينبع من اللهفة التاريخية التى انتابت فرنسا عقب الثورة الفرنسية ، فبعد الثورة وجد الساسة الجدد أن المستعمرات فى ذلك الوقت تخضع لعمليات دمج كاملة فى النظم والإدارة والقانون فارتبط هذا الواقع العملى فى أذهانهم بالأساس الفلسفى للثورة ، هذا الأساس هو المساواة والحرية والإخاء والتحرر ، أى أنه ما دام الناس متساويين وأن طريقهم جميعا هو طريق الحرية والإخاء فمن واجب فرنسا والفرنسيين أن يعملوا على إزالة كل تفرقة أو تباين بين المجتمعات فى سبيل إقرار الكرامة الإنسانية وانتصار مبادئ الثورة . ويلاحظ أن الفرنسيين اعتقدوا أنهم أصحاب رسالة إنسانية يجب عليهم حملها وتبليغها إلى الناس وزادت عقدة الاستعلاء عندهم بعد أن حاربهم أوروبا ورفضت مبادئهم ، فتزايد إيمانهم بمعتقداتهم وتعمدت نفسيتهم حتى اعتقدوا أنه لا توجد مبادئ ولا نظم تفضل مآلديهم وأنهم يمثلون دور الأنبياء ، وما عليهم إلا المثابرة ولكن المهم أن هذا الإيمان الفلسفى العميق الذى انتاب الساسة الفرنسيين بعد الثورة ، أصبح أداة للتوسع الاستعمارى وغزو أراضى أفريقيا ، والتبرير الذى يقدمه الساسة الفرنسيون أنه يجب على أهالى المستعمرات معرفة مآثر ومحاسن النظم الفرنسية ، وأن كل تقدم ورقى يصيبهم لن يأتى إلا عن طريق الثقافة واللغة الفرنسية (٧٨١) .

ولذلك عندما استكملت فرنسا توسعها فى غرب أفريقيا عملت على إدماج الأقاليم إدماجا كاملا مع فرنسا ، وربطها فى وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية واحدة ولذلك حاربت فرنسا الثقافات الإفريقية ، وظهرت فى المنطقة النعرة الفرنسية ، ونشرت فرنسا بين الأفارقة بأن ثقافتها أسمى الثقافات وأفضلها وأن مهمتهم التى خلقوا من أجلها هى حمل هذه الثقافة إلى العالم (٧٨٢) .

لقد اعتبرت فرنسا أن واجبها الثقافى يحتم عليها إحلال الأمن فى المنطقة وقد كتب أوجين جرنيه Eugène Guernier بأن واجب فرنسا ألا تقف ساكنة وهى ترى الأفارقة يقتلون ويذبح الآلاف منهم ، وأن لفرنسا واجب إنسانى وهو منع هؤلاء الأفارقة من إراقة الدماء ، وتخليصهم من تجارة الرقيق ، وإحلال السلام والعدالة فى المنطقة من أجل تحسين

(٧٨١) عبد الملك ، عودة : المرجع السابق ، ص ١٦٥

(٧٨٢) صلاح ، صبرى : المرجع السابق ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

أوضاع السكان وإدخال الحضارة الفرنسية ، لتبصير الأفارقة بواجباتهم وحقوقهم وتنمية شخصيتهم (٧٨٢) .

ولكن فى الواقع هذا الرأى يتناقى مع الحقيقة ففرنسا لم تعمل على إحلل السلام ، وإنما فرضت سيطرتها بالقوة على شعوب المنطقة أما مذكره الكاتب حول تنمية الشخصية الإفريقية ، فهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة لأنها عمدت إلى طمس الشخصية الإفريقية وإجبار سكان المنطقة على نبذ معتقداتهم وتراثهم فميزت بين من خضع لتقاليدها ومن تمسك بالتقاليد الأفريقية . ولم يقتصر الأمر على ضغ المنطقة بالصبغة الفرنسية فقط بل عمل الفرنسيون على نشر الدين المسيحى وحاولوا تحويل بعض الزعماء المسلمين إلى الديانة المسيحية ، فقد أرسل أرشيناى إلى القائد الفرنسى كيكندون Quiquondon فى ٣ ديسمبر ١٨٩٢ رسالة يحثه فيها على التفاوض مع تيبا Tiéba وكان عدو سامورى اللدود وسبق له الاتفاق مع الفرنسيين ضده - ومناقشته فى الدين الإسلامى وإقناعه بقبول الديانة المسيحية ، وبأنه إذا أراد صداقة الفرنسيين فعليه أن يتبع دينهم وهو المسيحية الكاثوليكية ، كما طلب أرشيناى فى رسالته من القائد الفرنسى إبلاغ تيبا بأنه يعلم بأنه محمداً كان رجلا عظيما ولكنه لم يكن رسولا ، وبأن الديانة الكاثوليكية تتيح للفرد أن يشرب ويحارب ويصلى فى الكنائس ، وأنه باتباعه الديانة المسيحية سيجنى الكثير من الفوائد (٧٨٤) .

وقد أدت سياسة الفرنسة إلى التفرقة بين الأفارقة على أساس قبولهم الفرنسة أو عدمه وقد استخدم الفرنسيون فى تطبيق هذه السياسة قانون الأحوال الشخصية الفرنسى ، وبجانب المستويات الثقافية واللغوية والنفسية ، اعتبر المشرعون الفرنسيون أن قبول الأفريقى الخضوع لقانون الأحوال الشخصية الفرنسية والقانون المدنى والجنائى الفرنسى ، إنما هو فارق كبير يميزه عن الأفريقى الذى يرفض الخضوع لهذا القانون ويتمسك بقانونه الخاص ولذلك تمتع بصفة المواطننة Citoyen الأفريقى الذى خضع للقانون الفرنسى بينما ظل الأفريقى الذى تمسك بقانونه الدينى أو القبلى رعية أو تابعا Sujet (٧٨٥) . وأصبح من حق الأفريقى الذى يحصل على المواطننة ، أن يعامل معاملة الفرنسيين تماما ويسند إليه

Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 56.

(٧٨٢)

Meniaud, J. : op. cit., Tome II, p. 310.

(٧٨٤)

(٧٨٥) عبد الملك ، عودة : المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

المناصب العليا ، ولكن على الرغم من كل هذه المزايا تمسك العديد من الأفارقة بترائهم القديم ، وفضلوا أن يكونوا رعايا بدلا من مواطنين (٧٨٦) .

وترتب على سياسة الفرنسة ظهور قانون الانديجينا Indigénat وهو مجموعة من الأوامر الإدارية والعرفية التي يطبقها الضباط والحكام العسكريون والمدنيون وتنطبق فقط على الرعايا الأفارقة الذين يرتقون إلى مستوى سياسة الفرنسة فى البيئة الفرنسية ، وكان هدف الفرنسيين من هذا القانون هو تطبيق سياسة الفرنسة على جميع الأفارقة بمختلف مستوياتهم ومكانتهم الاجتماعية أى فرنسة جماعية (٧٨٧) . وقد لجأ الفرنسيون إلى إلغاء السلطات القضائية التى كانت فى يد الزعماء المحليين ، وصدر قانون الانديجينا الذى أتاح للفرنسيين الحكم فى النواحي القضائية عن طريق الضباط الفرنسيين (٧٨٨) الذين كان من حقهم إلقاء القبض على أى إفريقي وجبسه لمدة خمسة عشر يوما لدواعى الأمن وبدون محاكمة بحجة المحافظة على الصالح العام . وبمقتضى هذا القانون أصبح القواد الفرنسيون هم أصحاب السلطة المطلقة ، ولم يكن من حق الأفريقي الاعتراض (٧٨٩) .

ولكن رغم جهود فرنسا لم تنجح المحاولة فى فرض سياسه الفرنسة على جميع الأفارقة ، وقد نادى بعض الكتاب الفرنسيين بضرورة اتباع سياسة جديدة فى المستعمرات وفى مقدمة هؤلاء جول هارموند Jules Harmand الذى دعا إلى ما عرف بسياسة المشاركة Politique d'Association (٧٩٠) ويعتبر جول فرى أحد أعلام هذا الاتجاه ، وهو يرى أن تطور الثورة الصناعية فى فرنسا ثم تصدير رأس المال والصراع حول الأسواق الاقتصادية لا يقبل مطلقا تجميد العلاقة بين فرنسا والمستعمرات فى الشكل الإدماجى السابق ، إنما يجب إعادة تنظيم العلاقة بين فرنسا والمستعمرات فى أشكال إدارية تقوم على المنطقة الاقتصادية وهذا يستلزم تغيير الأساس الإدارى والتنظيمى الذى نمت وتوسعت فى جوه سياسة الفرنسة ، وهذا الأساس الإدارى كان المركزية الإدارية الكاملة التى تبدأ وتنتهى فى باريس وحدها ، إذ أن أى أمر إدارى بسيط فى أقصى أركان المستعمرة كان لابد من تصديق

(٧٨٦) زاهر ، رياض : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٧٨٧) عبد الملك ، عودة : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

Ajayi, J. : op. cit., Vol. II. p. 449.

(٧٨٨)

Crowder, M. : op. cit., Colonial, pp. 192 – 193.

(٧٨٩)

(٧٩٠) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، تاريخ ، ص ٥٢٦ .

سابق من باريس لكى ينفذ ، وساندت هذا الاتجاه مدرسة فكرية أخرى هاجمت سياسة
الفرنسة ، على أساس أن هناك تطورا وتغييرا فى حياة الشعوب والمجتمعات ، ومن ثم
تتبع النظم والعادات وأن فرض قانون ونظم موحدة لكل الشعوب والمجتمعات إنما هو أمر
لا يتفق مع الطبيعة وهاجمت هذه المدرسة فكرة القانون الطبيعى الموحد للبشرية
جميعا (٣١١) .

وقد تبلورت هذه الأفكار فيما سعى بسياسة المشاركة ، أى أن يتم التعاون بين الإدارة
الحكومية الفرنسية وبين الأفراد المحليين من أجل تكوين زعامات إفريقية ، تقود الشعوب
والمجتمعات إلى طريق الحضارة والمدنية ، ويكون من أهداف هذه السياسة فرنسة هذه
الزعامات والقيادات أو فرنسة النخبة Elite بدلا من الفرنسة الجماعية للشعب ، وهكذا أصبح
هدف الرسالة تكوين نخبة تستوعب التراث الفرنسى ، وتشكل نفسيته ومفاهيمها وقيمها
بالتراث والقيم الفرنسية (٣١٢) .

أما عن النخبة أو الصفوة Elite فكان يتم اختيارهم من أكثر الطلاب تفوقا لإتمام
تعليمهم فى أرقى المدارس تهيئة للعمل فى الحكومة وتقلد المناصب الهامة (٣١٣) .

وهكذا يمكن أن نلخص الفرق بين سياسة الفرنسة ، وسياسة المشاركة أن الأولى هدفت
منها فرنسا فرنسة جماعية للأفارقة ليدوبوا فى كيان فرنسا الأوربية ، ويصبح مصيرهم هو
مصيرها ، ويعيشون هم والأجيال التالية كما يعيش الفرنسيون فى أوروبا وأن اختلفت
الألوان ، أما سياسة المشاركة أو النخبة فهى تهدف إلى خلق زعامات أو قيادات استوعبت
التراث الثقافى وانددمجت فى الهيكل الاجتماعى الفرنسى ، ولكن فى نفس الوقت يعيش
فى الإطار الإفريقى وتقود الشعب كله على أساس عاداته ونظمه الإفريقية (٣١٤) .

يلاحظ أن السنغال كان لها وضع مميز فى الاتحاد الفرنسى فعندما تكون الاتحاد A. O.
F. ١٨٩٥ اختيرت السنغال مركزاً له وأصبحت سانت لويس عاصمة للاتحاد ثم داکار ١٩٠٤ مما

(٧١١) عبد الملك ، عودة : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(٧١٢) المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٧١٣)

Pedler, F. : op. cit., p. 179.

(٧١٤) عبد الملك ، عودة : المرجع السابق ، ص ١٦٩ ، ص ١٧٠ .

يدلنا على مدى اهتمام الفرنسيين بالسنغال على اعتبار أنها المستعمرة المفضلة فهي من أقدم المستعمرات . وقد أعطيت السنغال حق انتخاب مندوب لها منذ عام ١٨٤٨ عندما سمح لمواطني سانت لويس وجوريه بانتخاب عضو في البرلمان الفرنسي ، ولكن هذه الخطوة التحريرية التي أقدمت عليها الجمهورية الثانية ، ألغيت في عهد الامبراطورية الثانية في عام ١٨٥٢ ، ثم أعيدت في عهد الجمهورية الثالثة ١٨٧١ (٣١٥) .

وهكذا منذ عهد الجمهورية الثالثة أصبح للسنغال وضعها الخاص وكونت فرنسا في كل من سانت لويس وداكار وجوريه وروفسك كوميونات ، وأصبح للكوميونات الأربع مجالس على غرار مجالس كوميونات فرنسا ، وقد ظهر التأثير الفرنسي بوضوح في هذه المناطق من حيث انتشار اللغة الفرنسية والمدارس والبعثات التبشيرية (٣١٦) وحصل مواطنو داكار وسانت لويس على الحق في إرسال نواب عنهم إلى البرلمان الفرنسي ، وإلى المجلس القومي في باريس ، وأصبح من السهل على الفرنسيين تقبل مواطنهم السود مثل البيض باعتبارهم مواطنين فرنسيين (٣١٧) وتم تأسيس مجلس بلدي في السنغال Conseil general مشابها لمجالس المقاطعات الفرنسية ، وفي عام ١٨٧٢ أسس في جوريه وسانت لويس مجلساً بلدياً منتخباً Elected Municipal Council وأسس مجلساً آخر في كل من روفسك ١٨٨٠ وداكار ١٨٨٧ وطوال القرن التاسع عشر ضم المجلس مرشحين أفارقة إلى جانب الأوروبيين والفرنسيين واهتم المجلس في المقام الأول بالمصالح الفرنسية ، ولكن ينبغي الإشارة بأن أعضاء المجلس من الأفارقة نافسوا التجار الفرنسيين ، وقد أطلق على هؤلاء الأفارقة Metis . وفي عام ١٩١٩ أصبح للقوى السنغالية Metis سيطرة كبيرة على المجلس (٣١٨) .

يلاحظ أن العديد من أهالي السنغال تأثروا بالثقافة الفرنسية ، فقد صيغت هذه المنطقة بالصبغة الفرنسية التامة ومن أشهر هؤلاء بليز دياجن Blaise Diagne الذي استطاع في عام ١٩١٤ أن يهزم عدداً كبيراً من المرشحين الفرنسيين وحصل على العديد من الأصوات كمندوب عن الأفارقة . وقد عمل دياجن في الجيش الفرنسي الاستعماري ، وتعلم في

Crowder, M. : op. cit., Colonial, 414.

(٣١٥)

Pedler, F. : op. cit, p. 123.

(٣١٦)

Fage, J. : op. cit, p. 117.

(٣١٧)

Crowder, M. : op. cit, Colonial p. 414.

(٣١٨)

المدارس الثانوية فى سانت لويس وتزوج بامرأة فرنسية عام ١٩٠٩ ، ثم ذهب إلى باريس ١٩١٣ بعد أن استبعد من غينيا بسبب عداؤه ومنافسته للتجار الفرنسيين ، وقد كتب فى باريس عدة مقالات عن سياسة فرنسا الاستعمارية ، ثم عاد دياجن إلى السنغال واستطاع تجميع القوى الوطنية حوله وكون جماعة « السنغال الفتاة » *The Young Senegalese* وأسس جريدة *La Democratie* ثم انتخب وكيلا لوزارة المستعمرات ١٩١٤ وقد نادى دياجن بأن يكون جميع سكان أقاليم ما وراء البحار متساويين فى الحقوق ، والواجبات ، ونادى بالمساواة بين الأفارقة الذين قبلوا سياسة الفرنسة ، وبين أولئك الذين رفضوها واحتفظوا بقوانينهم وتقاليدهم . لقد مثل دياجن الصفوة الفرنسية التى تثقفت وتسربت الحضارة الفرنسية ولكنه على الرغم من ذلك طالب بالمساواة بين جميع الأفارقة (٣٧) .

وأخيراً : إذا كانت فرنسا قد نجحت فى نشر ثقافتها ولغتها فى المنطقة وصبغت بعض المناطق كالسنغال بالصبغة الفرنسية إلا أننا نلمس عكس ذلك فى موريتانيا التى ظهر فيها التأثير الفرنسى ضعيفا وذلك لأن فرنسا لم تتغلغل فيها إلا بصعوبة ولذلك كانت موريتانيا أقل مناطق غرب أفريقيا تأثيراً بالثقافة الفرنسية وقد حاول الفرنسيون فرض التعليم الفرنسى وأغروا السكان بشتى الوسائل ولكن ظهرت معارضة واضحة من جانب الموريتانيين لتقبل الثقافة الفرنسية (٣٨) .

٣ - دور الزعماء المحليين فى A.O.F. :

كان المبدأ الأساسى الذى تدور حوله فلسفة الحكم الفرنسى فى أفريقيا منذ البداية هو الحكم المباشر ، والسياسة الاستعمارية الفرنسية مازالت فى أعماقها تؤمن بأن البلاد الأفريقية التابعة لها إنما هى ضياع وأرض ملحقة بأرضها الأوروبية تدور معها وتخضع لنفس نظمها وطرق حكمها . ولذلك كان الحكم المباشر هو سمة النظم الحكومية التى أقامتها فرنسا فى أفريقيا ، إذ هى لا ترى ضرورة لوجود زعامات أو تنظيمات قبلية أو محلية ، تقوم بين إدارتها وبين الأفارقة لقد تم تحطيم جميع الزعامات القبلية والمحلية والعسكرية والمدنية

Crowder, M. : op. cit, colonial p. 418.

(٧٩٩)

(٨٠٠) صلاح ، المقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ، ص ٥٢ .

الإسلامية والوثنية ، إن قيام الفرنسيين بهذا الإجراء هو تعبير عن كراهيتهم العميقة وحقدهم وانتقامهم من المقاومة العنيفة التى لاقوها من الأفارقة فى توسعهم فى القارة ، إن الاستعمار الفرنسى تلاقى مع دول وممالك أفريقية راقية ذات حضارية تاريخية سواء فى شمال أو غرب أفريقيا ، وكانت النظم السياسية ثابتة ذات خبرة تاريخية وولاء الناس لها دائم وثابت ومرتبص فى أغلب المناطق بالدين الإسلامى ، ودوره الحضارى والتنظيمى فى حياة الأفارقة ولذلك بذل الفرنسيون جهوداً متواصلة واستعملوا وسائل انتقامية متعددة حتى تمكنوا من تحطيم هذه المقاومة ، ولذا تجسم حقدهم وبرزت كراهيتهم لكل أنواع الزعامات الإفريقية فحطموها واجتثوها وانتزعوا منها كل سلطة أو نفوذ وحاربوا ولاء الناس لها (٨٠١) .

رغم كراهية الفرنسيين للزعماء المحليين إلا أن فرنسا بعد توسعها العسكرى فى غرب أفريقيا ، اضطرت إلى الاستعانة ببعض الزعماء الوطنيين لمساعدتها فى إدارة مستعمراتها ولكنها استعانت بهم مؤقتاً وما لبثت أن عينت ضباطاً فرنسيين فى المراكز المختلفة (٨٠٢) . وقد اعتمدت فرنسا فى إدارتها لأفريقيا الغربية الفرنسية A. O. F. على رؤساء البلاد من الوطنيين ، واستخدمتهم فى جمع الضرائب وكانوا مسؤولين أمامها عن تجميع القوى البشرية اللازمة للعمل فى المزارع الأوروبية ، وكان لهؤلاء الزعماء نصيب من الضرائب التى يحصلونها ولذلك أساء الكثير منهم استخدام سلطته فزادوا الضرائب على الناس وتجاهلت الإدارة الفرنسية هذا العمل مكنتية بولاء الزعماء لها ولمصالحها ، وهكذا كان تعيين الزعماء المحليين لخدمة الإدارة الفرنسية فى أفريقيا ، وقد تحول هؤلاء الزعماء بعد زعامتهم للقبائل أو للدول إلى مجرد عملاء للإدارة الفرنسية وأداة استخدمها لفرض سيطرتها (٨٠٣) .

ويلاحظ أن الإدارة الفرنسية عمدت على اختيار هؤلاء الزعماء فاستبعدت الزعماء الثائرين عليها ولكن فى بعض المناطق التى استمرت فيها المقاومة لفترة طويلة ، اضطرت فرنسا إلى الاعتراف بسلطة بعض الزعماء مثلما حدث فى بلاد الموصى اعترفت فرنسا بسلطة ملك الموصى ، لأنه كان يملك سلطة فعلية على أراضى الموصى واضطرت فرنسا إلى الاحتفاظ مؤقتاً به كما اضطرت إلى الاحتفاظ بزعماء فوتجالون ، وظل أئمة هذه المنطقة

(٨٠١) عبد الملك ، هودة : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

Page, J. : op. cit., p. 168.

(٨٠٢)

Crowder, M. : op. cit, Colonial p. 186.

(٨٠٣)

يتولون الحكم لفترة من الوقت ولكن ما لبثت فرنسا أن تخلصت منهم لأنها حرصت على تعيين زعماء لا حول لهم ولا قوة وظيفتهم الرئيسية جمع الضرائب وتنفيذ الأوامر^(٨٠٤).

انقسم الزعماء المحليون إلى :

١ - زعيم أو رئيس أعلى للأقليم *Chef Superieur de Province* وقد اختير لهذا المنصب بعض أفراد الأسر الإقطاعية التي حكمت فى السابق .

٢ - رؤساء المقاطعات *Chefs des Cantans* وشكلوا حجر الأساس فى الإدارة الفرنسية .

٣ - زعماء القرى *Chef des Villages* .

وعلى رأس هؤلاء الزعماء قادة المراكز الفرنسية وبهذا التسلسل حكمت فرنسا ممتلكاتها فى غرب أفريقيا حكما مباشرا^(٨٠٥) وكان عمل رؤساء الأقاليم تنفيذ التعليمات الصادرة إليهم من قائد المركز الفرنسى وعليه إصدار التعليمات إلى رؤساء المقاطعات وزعماء القرى^(٨٠٦) .

وجدير بالذكر أن قائد المركز الفرنسى كان له سلطات واسعة على الزعماء المحليين ورغم اختيار هؤلاء القادة من المدنيين إلا أنهم استخدموا العنف مع هؤلاء الزعماء فقد كان لقائد المركز الكثير من الحقوق فمن حقه سجن الزعماء المحليين وإلقاء القبض عليهم وضربهم ، إذا ما تهاونوا فى أداء واجبهم أو تأخروا فى جمع الضرائب أو فشلوا فى الأعمال الإدارية الموكلة إليهم^(٨٠٧) .

وأما عن اختيار هؤلاء الزعماء فأحيانا كانوا يختارون من ضمن الجنود الأفارقة العاملين فى الفرق الفرنسية . وقد حرصت الإدارة الفرنسية على التخلص من الزعماء المنحدرين من أصول حاكمة وخاصة بعد أن دعمت سيطرتها على المنطقة فتخلصت من زعماء الموبى وأئمة فوتاجالون^(٨٠٨) . ويتضح لنا وجهة النظر الفرنسية فى التخلص من السلالات الحاكمة من الحاكم العام وليم بونتى *William Ponty* الذى أعلن فى مجلس حكومة *A. O. F.* بأنه

Suret - Canale - J. : op. cit, pp. 100 - 101.

(٨٠٤)

Crowder, M. : op. cit, Colonial p. 189.

(٨٠٥)

Kilson, Martin : Colonial Africa. (N. Y. 1966) p. 78

(٨٠٦)

Suret - Canale - J. : op. cit, p. 107.

(٨٠٧)

Crowder, M. : op.cit, Colonial p. 190.

(٨٠٨)

لا بد من تدمير زعامة وسيادة أى سلالة حاكمة وتدمير المجموعات الوثنية ، ومحاربة نفوذ الارستقراطية المحلية واستبعاد كبار القادة الوطنيين ^(٨٠٩) .

وبالنسبة لتعيين الزعماء المحليين ، لجأت فرنسا إلى الآتى :

١ - إما تعيين زعماء كانت لهم الزعامة من قبل ، وقضى عليها منافسهم مثل البمبرا الذين انتزع منهم التكرور السلطة فأعادت فرنسا لهم زعامتهم من جديد ^(٨١٠) .

٢ - أما التعامل مع السلالات أو الأسرات الحاكمة ، ولو مؤقتا مثل تعيين فرنسا لاجولى أجويا شقيق بيهانزون فى داهومى ، ثم التخلص منه بعد ذلك وكان الهدف من هذا الإجراء الاستعانة بهذه الأسرات الحاكمة ولو مؤقتا حتى يتم إخضاع المنطقة نهائيا .

٣ - تعيين زعماء جدد يدينون بالولاء لفرنسا ^(٨١١) .

وجدير بالذكر أن فرنسا اتخذت هذه الإجراءات فى معظم مناطق غرب أفريقيا ، أما فى موريتانيا فقد اختلف الوضع فقد اضطرت فرنسا إلى الأخذ بنظام الإدارة غير المباشرة فى بداية الأمر عن طريق رؤساء الإمارات الكبيرة مثل الترارزة ، والبراكنة وزعماء إدار ، ويرجع إلى كوبولانى الفضل فى وضع أسس الإدارة غير المباشرة إذا أنه لم يبلغ نظام الإمارات بل على العكس ثبت أمراء لم يكونوا موجودين من قبل كما حدث فى منطقة تاجنت وإن كان يلاحظ فى نفس الوقت أن المعاهدات التى عقدت مع الترارزة والبراكنة فى عام ١٩٠٣ كانت تخلع السلطات الفعلية عن الأمراء ، ففرنسا تتولى تحصيل الضرائب ، وتعيين القضاة وتقديم للأمراء المخصصات الثابتة ، وبعد الاستيلاء على تاجنت وإدار وضع باتى خطة جديدة تقوم على أساس تقسيم البلاد إلى منطقتين الجنوبية غرب نهر السنغال تدار بصورة مباشرة ، والمنطقة الشمالية بواسطة الرؤساء التقليديين على أن يزودوا بجيش خليط من البدو الزنوج والسنغاليين ، وذلك حتى لا تحتاج فرنسا لإقامة مراكز عسكرية كبيرة فى الشمال ، والواقع أن فرنسا لم تستطع التخلص من الشيوخ المحليين واكتفت بتجريدهم من سلطتهم ولعلها قدرت أن وجود أولئك يساعدها على تجنب الإتصال المباشر

Suret - Canale - J. : op. cit, p. 103.

(٨٠٩)

Menaud, J. : op.cit, Tome I p.447.

(٨١٠)

Ajayi, J. : op. cit, vol, II p. 450.

(٨١١)

بين السكان والحكام العسكريين ، وبالتالي أصبح أولئك الشيوخ أو الأمراء بمثابة رؤساء إداريين أمام الولاة الفرنسيين حقيقة أن كثيراً من هؤلاء أعلن تمرده على هذا الوضع ، ولكن البعض الآخر ظل يتعاون مع الفرنسيين تعاوناً شبيهاً بما كان بين المستعمرين الفرنسيين وبعض الباشوات الكبار في المغرب^(٨١٢) .

وقد عملت الإدارة الفرنسية على التخلص من سلالة التوكولور الحاكمة ، وعينت منافسيهم السابقين من البمارا بدلاً منهم ، فضمت بذلك ولائهم ، فقد كانت الفكرة الرئيسية هي أنه على الزعماء الوطنيين خدمة أغراض فرنسا ، فهم حلقة الاتصال بينها وبين الأفارقة^(٨١٣) .

وجدير بالذكر أن بريطانيا في مستعمراتها استخدمت الزعماء المحليين على نطاق أوسع ولجأت إلى نظام مختلف عن النظام الفرنسي فلجأت إلى الحكم غير المباشر ، واعتبرت أن للزعماء المحليين دوراً هاماً في الإدارة البريطانية ، ولذلك عملت على وجود مجلس من القوى الوطنية . كما كان لابد للضباط البريطانيين الذين يتولون الإدارة في غرب أفريقيا أن يكونوا على اتصال دائماً بالزعامات الوطنية كذلك عليهم احترام التقاليد الوطنية واحترام رغبات الوطنيين في تعيين الزعماء وفقاً لرغباتهم^(٨١٤) لقد عملت بريطانيا على تدعيم الهيئات والزعامات المحلية والقبلية لتصبح جزءاً من تنظيم حكومي إداري ، يشرف على المستعمرة بينما هدفت فرنسا إلى إقامة هيكل ظاهري لا يمتلك أى سلطة وإنما يأخذ دور المنفذ^(٨١٥) ولذلك فإن إنجلترا في حكمها غير المباشر في غرب أفريقيا اعتمدت على تعاون الأفارقة والرؤساء معها ، ولم تقض على المؤسسات القبلية التقليدية الموجودة في المجتمعات الإفريقية ، أما فرنسا فقد قضت على جميع الزعامات القبلية والمحلية والنظم الموجودة ووضعت البلاد تحت حكمها المباشر حتى في الأوقات التي اضطرت فرنسا إلى الاعتماد على العناصر الإفريقية في الحكم فإن الأمر لم يهدف إلى تنفيذ سياسة الحكم المباشر ، فقد ظلت السلطة الحقيقية في يد القواد والموظفين الفرنسيين^(٨١٦) .

(٨١٢) صلاح العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٩ ، ٥٠ .

Hagreaes, J. : op. cit, France p. 210.

(٨١٣)

Kilson, M. : op. cit, p. 95.

(٨١٤)

(٨١٥) عبد الملك ، عودة : المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

(٨١٦) شوقي ، الجمل : المرجع السابق ، تاريخ ، ص ٥٢٦ .

الخاتمة

من الغرض السابق لموضوع الرسالة نرى أن التوسع الاستعماري الفرنسي في غرب أفريقيا ، وجد مقاومة عنيفة من قبل الوطنيين . لقد أدركت الممالك الإسلامية والوثنية في غرب أفريقيا خطورة الغزو الفرنسي ، وأدركت بأن التحدى ليس تحديا عسكريا فحسب ، وإنما هو تحدى أخطر من ذلك بكثير ، فهو تحدى حضارى هدفه القضاء على الحضارة الإسلامية ، وإحلال الحضارة الفرنسية محلها . لقد ساد الاعتقاد لدى الفرنسيين بأن قادة أفريقيا قبل مجيئهم لم تعرف النظم السياسية ، واعتقدوا أنهم منقذوا القارة من الظلام وهم الدافعون لها نحو الارتقاء .

وظن الفرنسيون بأن المهمة التى جاءوا من أجلها سهلة ميسرة ، ولكن سرعان ما خاب أملهم فقد واجهوا مقاومة عنيفة لم يسعهم إلا التعبير عنها وعن زعمائها وقادتها بلفظ المتوحشين Les Sauvages ، فسامورى تورى زعيم الماندينجو وصف بأنه دموى يثير الرعب فى كل مكان متعطش للدماء والحرب ، وتناسى الفرنسيون قسوتهم وعنفهم فى معاملة الوطنيين وإراقة الدماء .

ونظراً للمقاومة العنيفة التى لقيها الفرنسيون فى غرب أفريقيا أطلق على فترة إخضاع أفريقيا عصر القوى Le Temps de la Force ، لأنه تم بفضل استخدام القوة العسكرية وحدها ، ففرنسا كانت تمتلك فى ذلك الوقت من أسباب الدمار ، ومن قوة السلاح والعتاد ما يعجز عن تديره الحكام المحليون .

وبالإضافة إلى ذلك خصصت فرنسا لقيادة حركة التوسع فى غرب أفريقيا أشخاصا عرفوا بالقدرة العسكرية والإدارية ، أمثال فيدهوب ، جالينى ، أرشينار دودز ، جورو ، ممن يؤمنون بسياسة استخدام القوة العسكرية كوسيلة لتحقيق أحلام فرنسا فى تكوين إمبراطورية فرنسية فى غرب أفريقيا .

وقد سعى هؤلاء الضباط إلى تحقيق أمجاد شخصية لهم فى غرب أفريقيا ، فالبعض منهم نفذ الكثير من العمليات العسكرية حتى دون إخطار الحكومة الفرنسية والبعض الآخر تجاهل الأوامر الصادرة إليه بعدم ضم المزيد من الأراضى وعمل على التوسع والغزو . وقد زاد من خطورة الموقف تزايد سلطة ضباط البحرية الفرنسية مثل ازدياد نفوذ بنجر فى ساحل العاج ، وبالوت ذى داهومى ، وكان هؤلاء متحررون من الروتين الحكومى يسعون لإحراز مزيد من الانتصارات تسجل لهم بغض النظر عن أسلوبهم فى محاربة الوطنيين .

وكان من نتيجة ازدياد نفوذ العسكريين أنهم ارتكبوا العديد من المخالفات واقتنعوا بأنهم بمفردهم لهم خبرة بالظروف المحلية ولهم الحق فى اتخاذ القرارات وكانوا على ثقة كبيرة بقدراتهم العسكرية وكانت مشاعرهم تجاه المدنيين العاملين فى السودان لا تتعدى مشاعر الاحتقار .

لقد وقع عبء ومسئولية التوسع فى غرب أفريقيا على عاتق أنصار التوسع العسكرى وليس على عاتق الحكومة الفرنسية فنفذ هؤلاء سياسة التوسع ويفضل جهودهم امتدت المستعمرات الفرنسية من السنغال حتى تشاد . بعكس الحال عند غزو الجزائر كانت الحكومة الفرنسية وراء عمليات الغزو وعبر موليه عن ذلك ١٨٢٨ بقوله أن فرنسا ستعمل على إحياء أفريقيا الرومانية فوق عبء غزو الجزائر على الحكومة الفرنسية نفسها

أما فى غرب أفريقيا فقد كان هناك صراع بين أنصار التوسع العسكرى وبين رجال الإدارة المدنية الذين فضلوا اللجوء إلى الوسائل الدبلوماسية ، ولكن كانت الغلبة لأنصار التوسع العسكرى ، وساعد هؤلاء فى تنفيذ خططهم وجود رجال فى إدارة المستعمرات الفرنسية آمنوا بفكرة التوسع ودعوا إلى تطبيقها مثل أوجين ايتيان الذى نادى بضرورة استعمار المنطقة الواقعة من حدود تونس حتى تشاد .

لقد كان فيدهرب هو أول من استخدم القوة العسكرية ضد الوطنيين وذلك فى منتصف القرن التاسع عشر فقد عمل على إخضاع هذه القوة بواسطة الغزو العسكرى . وظلت سياسته هى أساس تعامل الفرنسيين مع القوى الوطنية حتى أوائل القرن العشرين فقد استمرت العمليات العسكرية فى غرب أفريقيا فى ساحل العاج وفى داهومى ، وغيرها من المناطق واتبع انجولفان فى ساحل العاج ماعرف بسياسة الدم Policy of blood لإخضاع المناطق الداخلية فيها حتى ١٩٠٨ .

ولكن إذا تسامنا عن سبب اندفاع العسكريين للعمل فى غرب أفريقيا دون غيرها من المناطق ؟ سنجد أن الحكومة الفرنسية ساهمت فى تشجيع هؤلاء الضباط على العمل فى أفريقيا ، فقد قدمت لهم الإغراءات المادية عن طريق زيادة رواتبهم كما أصبح العمل فى غرب أفريقيا يتيح فرصة سريعة للترقى . وقد اجتذبت المنطقة أولئك الضباط الذين لم يتحملوا الحياة الرتيبة فى فرنسا فأخذوا يبحثون عن مستقبل باهر فى ميادين القتال والمستعمرات .

ويكفى تعبير الرئيس الفرنسى فليكس فور Felix Faure عن طموح فرنسا وتوسعها الجامح العنيف فى منطقة غرب أفريقيا بقوله : « لقد تصرفنا كالمجانين فى أفريقيا » .

وإذا كان هناك أسماء لمعت للقادة العسكريين الفرنسيين فإن هناك أيضاً أسماء العديد من الحكام الأفارقة من أمثال الحاج عمر ، ومحمدو لامين ، ولات ديور ، وأحمدو شيخو ، وسامورى ، وبيهانزن ، ورايح الزير وكان لكل هؤلاء دور فى عرقلة النفوذ الفرنسى فى المنطقة التابعة له حتى شعر الفرنسيون بأن حملاتهم العسكرية فى غرب أفريقيا ليست مجرد نزهة أو جولات عسكرية خاطفة .

ولكن لنا أن نتساءل رغم هذه المقاومة العنيفة والمستميتة لماذا أخفق إذن الأفارقة فى تحقيق النصر ؟ .

فى الواقع للإجابة على هذا السؤال ينبغى أن نذكر العوامل التى ساهمت فى هزيمة الحكام الوطنيين ويمكن إجمالها فيما يلى :

١ - اعتمدت فرنسا على الأسلحة الحديثة المتطورة والفرق العسكرية المدربة ، كذلك حرص حكام السنغال على تجنيد الأفارقة فكونوا فرقاً من الرماة السنغاليين ليكونوا على دراية بطبيعة البلاد التى يتوغلون فيها . وكانت لدى هؤلاء المقدرة على تحمل الطقس . ويرجع إلى فيدهرب الفضل فى تأسيس هذه الفرق فى سانت لويس منذ عام ١٨٥٧ وقد أسدت هذه الفرق الكثير من الخدمات للفرنسيين فظهر فيها ونى بعض القواد المهرة أمثال يارا كومبا Yara Coumba الذى تولى الدفاع عن الحصن الفرنسى فى سيندوبو Senedoubou ضد محمدو لامين ، كذلك بول هول الذى تولى الدفاع عن حصن ميدين أثناء حصار الحاج عمر له . وهكذا نلاحظ بأن هذه الفرق تحملت أعباء القتال فى غرب أفريقيا وذلك لعدم توافر الفرق الفرنسية الكافية لصعوبة تحمل المناخ وانتشار الأمراض وخاصة الحمى الصفراء والملاريا .

٢ - عدم تعاون الحكام الوطنيين ضد الغزو الفرنسى فالمقاومة الإفريقية لم تكن منظمة فسامورى حارب فى جبهة منفصلة عن جبهة أحمدو شيخو زعيم التكرور رغم تقارب أراضى كل منهما على النيجر ، فلو توحدت قوتهما لكان من الممكن أن يحققا الكثير ، ولكن كلا منهما تخوف من أطماع ونفوذ الآخر وعندما أدرك سامورى أهمية التعاون مع أحمدو وعرض عليه تكوين تحالف فيما بينهما كانت القوات الفرنسية قد توغلت فى أراضى كل منهما ، كذلك أحمدو شيخو عمل على محاربة محمدو لامين زعيم الساراكولى بل شارك مع الفرنسيين فى إرسال الحملات للقضاء عليه .

٣ - اعتمدت فرنسا على الجماعات الوثنية ضد المسلمين فاعتمدت على البمبارا ضد التكرور وتحالفت معهم ووجد البمبارا فى ذلك مصلحة كبيرة لهم فقد سبق أن طردهم التكرور من النيجر واستولوا على أراضيه فى سيجو ، وأدرك البمبارا أن تحالفهم مع الفرنسيين سيعيد لهم تفوذهم المفقود وهذا ماحدث بالفعل فبعد استيلاء القوات الفرنسية على أراضى أحمدو كون أرشيناار دولة للبمبارا فى سيجو تدين بالولاء للفرنسيين وهكذا كانت بعض الجماعات الوثنية من عوامل تفوق فرنسا فى المنطقة .

٤ - لجأت السلطات الفرنسية إلى التحالف مع منافسى الزعامات الوطنية سواء الوثنية أو الإسلامية فتعاونت على سبيل المثال مع تيبيا زعيم كيندوجو ضد سامورى ، كذلك تحالفت مع حكام بورتو نوفو وكوتونو ضد ملوك داهومى ، وذلك بغرض تشتيت جهد الحكام الأفارقة نحو جبهتين جبهة ضد الفرنسيين وجبهة أخرى ضد منافسيهم .

٥ - انتشار الطرق الصوفية فى غرب أفريقيا مثل القادرية والتيجانية ولكن للأسف لم يحاول أنصار هذه الطرق التحالف فيما بينهم بل على العكس لجأ كل فريق لمحاربة الآخر فالحاج عمر زعيم التيجانية حارب أتباع الطريقة القادرية وعمل على إجبارهم على اعتناق التيجانية .

٦ - لجأت السلطات الفرنسية إلى قتل ونفى وتشريد الزعماء الأفارقة بعد التغلب عليهم لإرهاب سكان المنطقة فأحمدو شيخو بعد هزيمته اتجه نحو سوكتو بينما اتجه أولاده من بعده إلى مكة المكرمة أما سامورى فقد نفى إلى جزيرة أوجويه ، بينما قطعت رأس محمدو لامين زعيم الساراكولى ، كذلك قتل لات ديور زعيم كايور عام ١٨٨٦ ورابع الزير ، بينما نفى بيهانزن ملك داهومى إلى جزر الهند الغربية .

وقد عملت السلطات الفرنسية على استبعاد الزعماء الوطنيين بعد هزيمتهم حتى لا يكون لهم تأثير فى المناطق التى حكموها من قبل وحتى لا يلتفت الوطنيين حولهم من جديد .

٧ - انتشار الخرافات فى غرب أفريقيا وخاصة لدى الوثنيين فى بلاد موسى قبل الغزو الفرنسى للمنطقة وأثناء زحف القوات الفرنسية نحو أراضى موسى صعد ملك موسى فوق تل كبير وقام بذبح ديك وعبد وحمار أسود اعتقادا منه بأن ذلك سيؤدى بدون شك إلى هزيمة القوات الفرنسية وذلك يرجع إلى اعتقاد الجماعات الوثنية فى قوى الطبيعة الخارقة وفى السحر والشعوذة .

٨ - إيمان المسلمين بظهور المهدي المنتظر فعندما فقدوا الأمل فى استمرار المقاومة الإسلامية كتب أحد مسلمى فوتاجالون « إننا فى انتظار ظهور المهدي لإنقاذ الدين الإسلامى وسوف يحارب جياة الغرائب الفرنسيين ويقذف بهم إلى العالم الآخر » .

وإذا كانت السلطات الفرنسية قد نجحت فى التغلب على الزعماء الوطنيين بالنفى والتشريد والقتل إلا أن المقاومة الوطنية استمرت حتى الحرب العالمية الأولى .

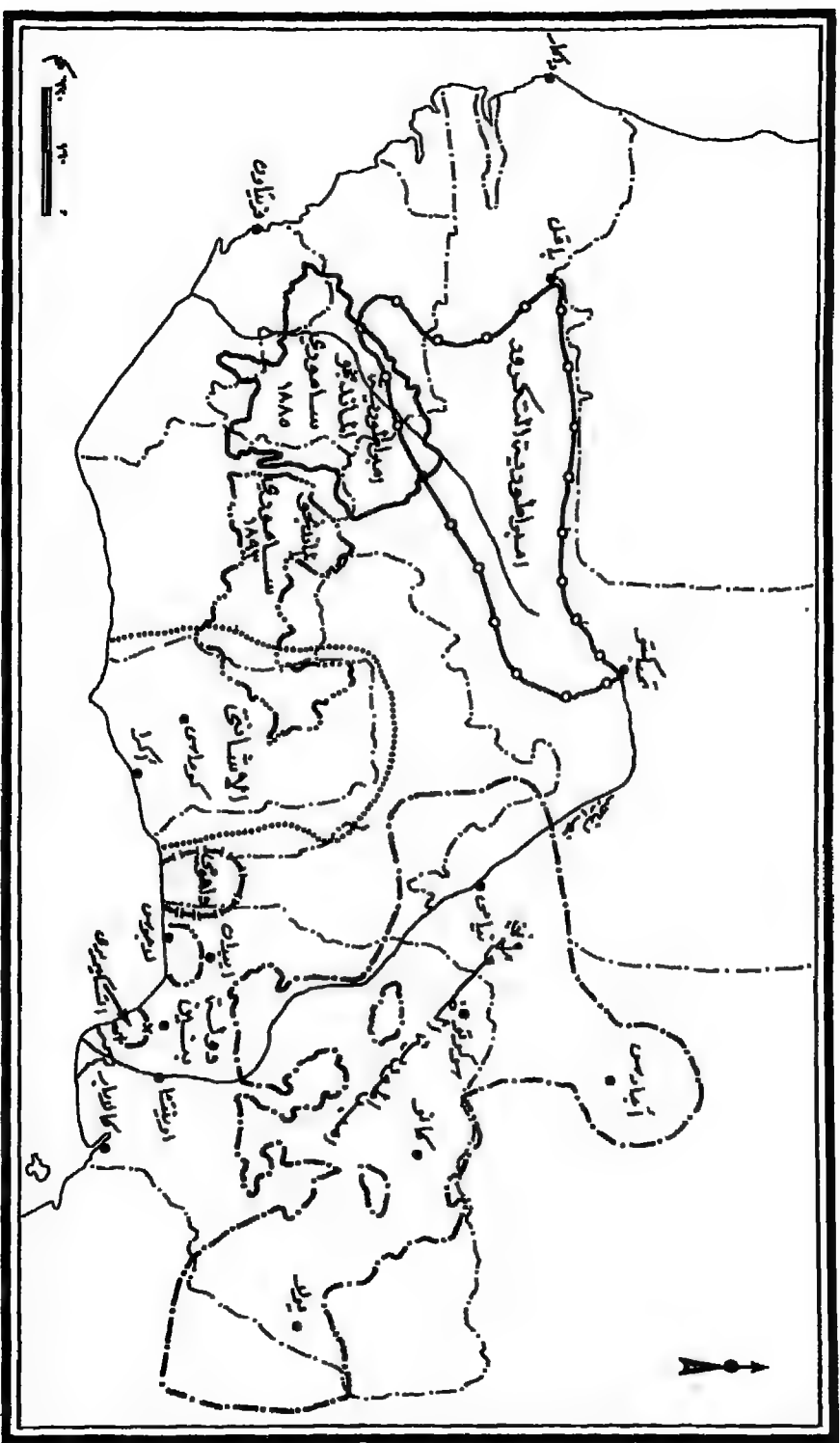
وأخيرا لا ننسى أن الظروف الدولية ساعدت فرنسا إلى حد كبير فى توسعها فى غرب أفريقيا ، فالحزب السبعينية أدت إلى اقتطاع الإلزامى واللورين من فرنسا ، كما انعكس آثار هذه الحرب على المستعمرات الأفريقية فسحبت فرنسا فرقها العسكرية من السنغال ومن ساحل غينيا وبدأ الشعب الفرنسى يفكر فى الانتقام لهذه الهزيمة ولكن ألمانيا عملت على استرضاء فرنسا فشجعت اتجاهها نحو القارة الإفريقية تعويضا لها عما فقدته من أراضى فى أوروبا ، كذلك كان من مصلحة بريطانيا إيجاد نوع من التوازن فى أوروبا فكان ظهور فرنسا كدولة قوية مستعمرة من الأمور التى تحظى برضاء بريطانيا . ثم جاء انعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٤ / ١٨٨٥ ليقر اعتراف كل دولة أوروبية معنية بالاستعمار بسيادة كل منها على المنطقة الواقعة تحت سيطرتها طالما أن هذه السيادة مدعومة عسكريا . وهذا ما نفذته فرنسا .

☆ ☆ ☆



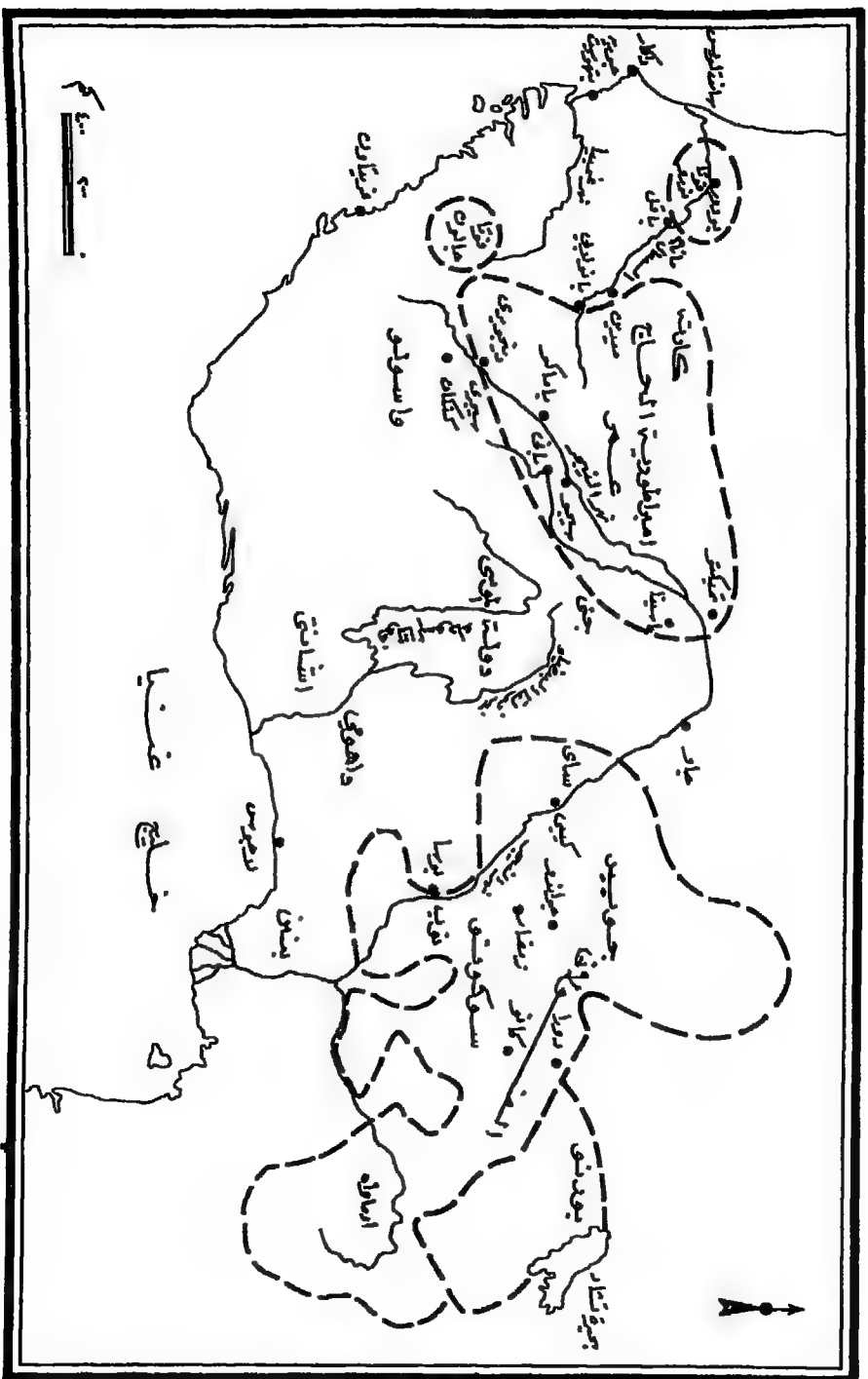
خريطة أفريقيا في القرن التاسع عشر

شكل (١)



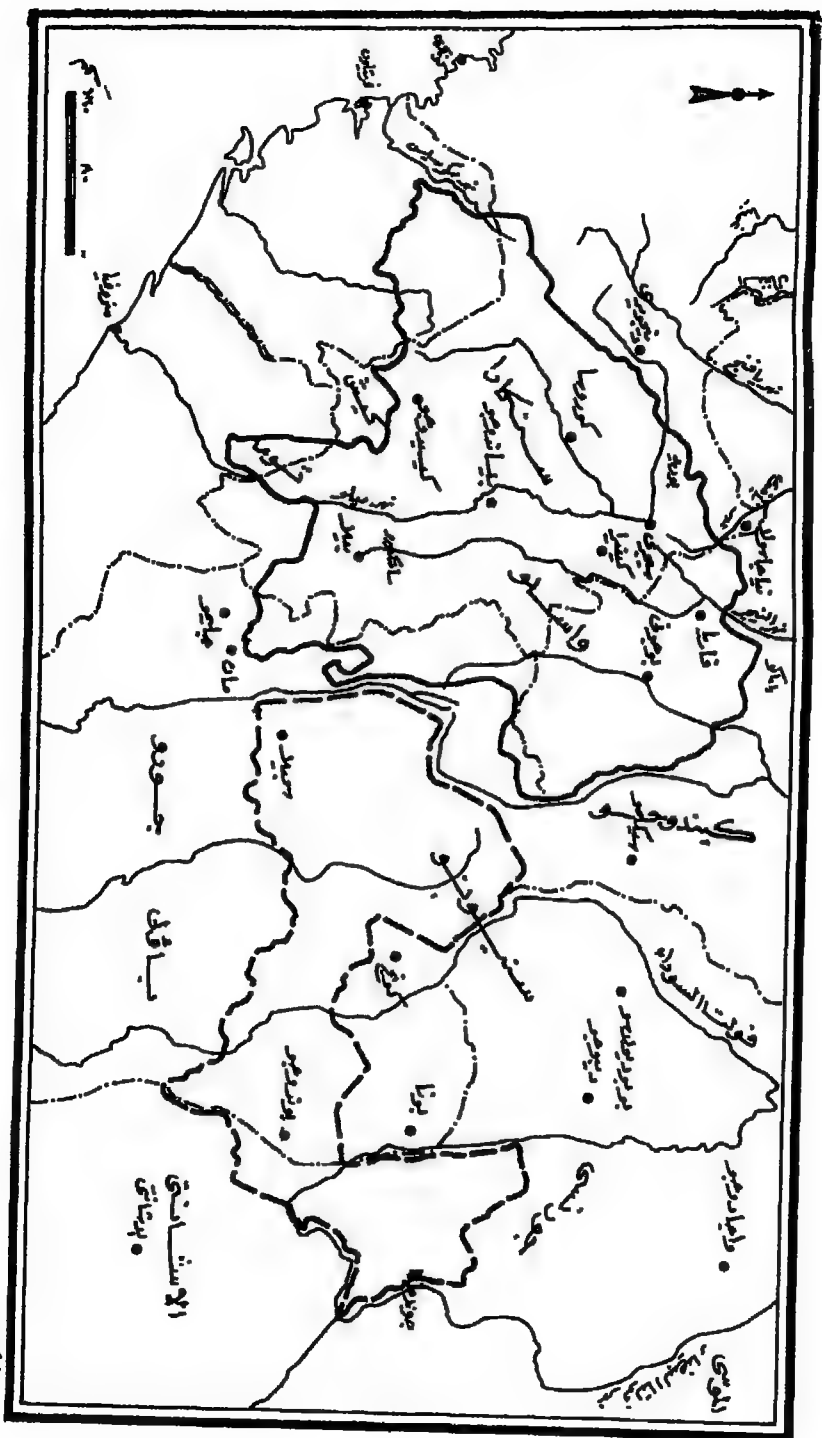
مناطق صنعتی متکرون و ساموری و المونولانی

شکل (۳)



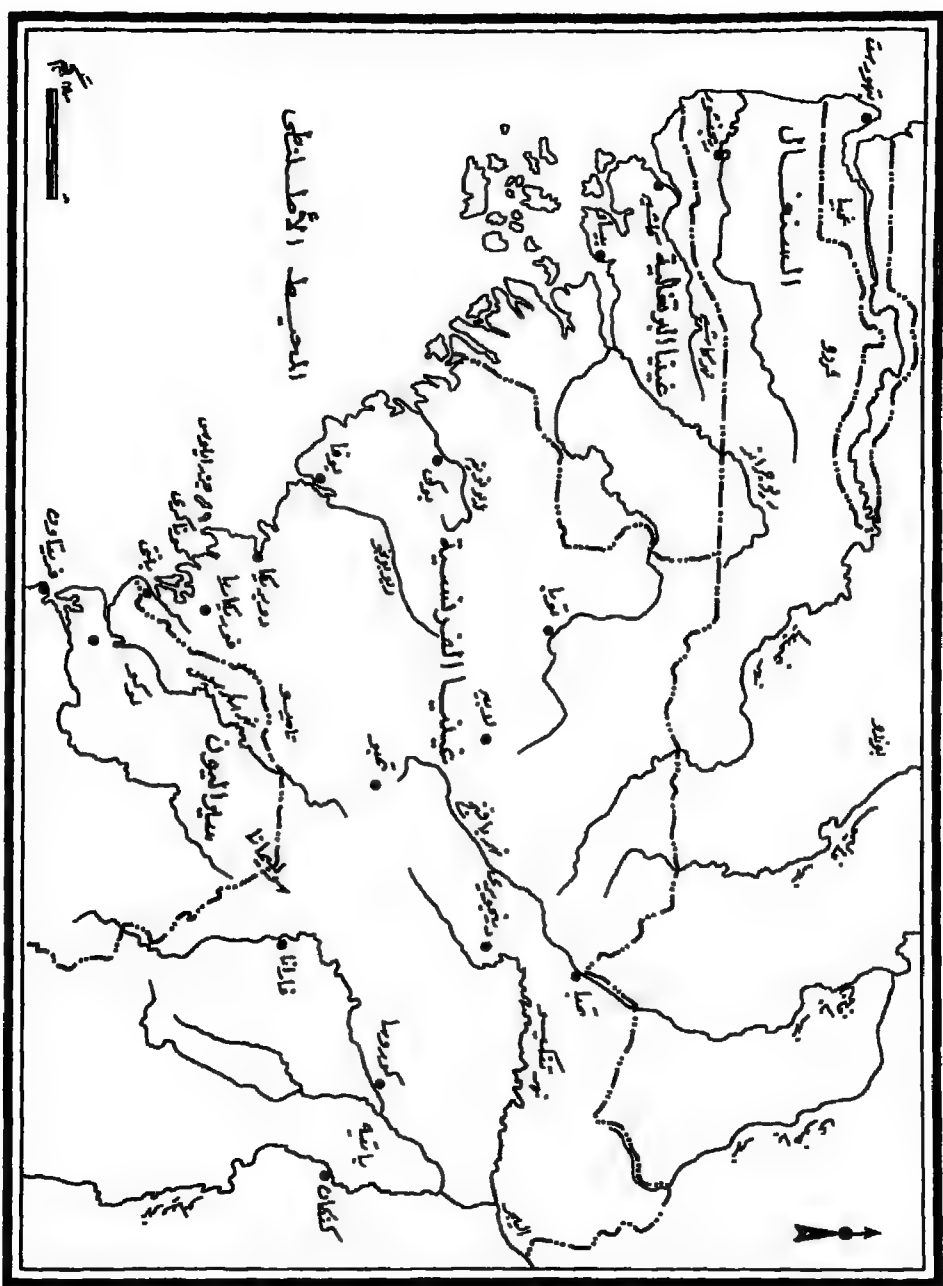
امپراطوری‌ها الحاج عمیر

شکل (۴)



مناطق نفوذ سسلا موری زکیم الماس اند مخرجو

شکل (۶)



شكل (٧) غينيا الفرنسية في القرن التاسع عشر

أولاً - الوثائق والمراجع الأجنبية :

- وثائق غير منشورة :

Public Record office.

F. O. :

403/4

N° 1	1842.
N° 4	1842.
N° 7	1843.
N° 12	1483.
N° 17	1843.
N° 24	1843.
N° 25	1843.
N° 28	1843.
N° 30	1844.
N° 32	1844.
N° 52	1844.
N° 62	1844.
N° 70	1844.
N° 72	1844.
N° 83	1845.
N° 89	1844.
N° 102	1845.
N° 106	1842.
N° 114	1844.

403/66

Nº	2	1884.
Nº	3	1884.
Nº	10	1884.
Nº	11	1884.
Nº	17	1884.
Nº	18	1884.
Nº	20	1884.
Nº	22	1883.
Nº	26	1884.
Nº	34	1884.
Nº	52	1884.
Nº	59	1884.
Nº	61	1884.
Nº	64	1884.
Nº	72	1884.

403/85

Nº	2	1887.
Nº	16	1889.
Nº	20	1888.
Nº	23	1889.
Nº	38	1889.
Nº	43	1889.
Nº	47	1889.
Nº	95	1889.
Nº	101	1889.
Nº	165	1889.
Nº	168	1889.

- الوثائق المنشورة :

(أ) الوثائق الفرنسية :

1. Documents Diplomatiques Français 1er serie Paris:

Tome VI	1934.
Tome VII	1951.
Tome IX	1939.
Tome X	1945.
Tome XI	1947.

2 en Serie Tome I

(ب) الوثائق الانجليزية :

1. Hansard's Parliamentary Debates

Third Series Fourth volume of session 1884 - 1885.

Third	Series	vol 306	1886.
Third	Series	vol 305	1886.
Third	Series	vol 319	1887.
Third	Series	vol 324	1888.
Third	Series	vol 337	1889.
Third	Series	vol CCC XL	VIII 1890.
Third	Series	vol CCC XL	VII 1890.
Third	Series	vol CCC L	IV 1890 - 1891.
Fourth	Series	Fifth volume	1892.
Third	Series	-third volume	1892.

Fourth.	Series	vol. XVII	1893.
Fourth	Series	vol. XXI	1894.
Fourth	Series	vol. XXX	1895.
Fourth	Series	vol. 38	1896.
Fourth	Series	vol. LI	1897.
Fourth	Series	vol. LVII	1898.
Fourth	Series	vol. LIII	1898.

Fourth	Series	vol. LVI	1898.
Fourth	Series	vol. 90	1901.
Fourth	Series	vol. 103	1902.
Fourth	Series	vol. 112	1902.

2. Albrecht-Carrié, René: The Concert of Europe U.S.A. 1968.
3. Hagreaves, John: France and west Africa Great Britain 1968.
4. Hertslet, Edward: The Map of Africa by treaty vol. I - II - London 1894.

المراجع الأجنبية

1. Adloff Richard; West Africa New York 1964.
2. Ajayi, J.F.A and Michael Crowder: History of West Africa Great Britain 1974. Vol. II.
3. Ambriere, Francis: Les Guides bleus L'Afrique Occidentale Française. Paris 1958.
4. Anderson, John: West Africa, East Africa in the Nineteenth and Twentieth centuries London 1972.
5. Anene, Joseph., Godfrey Brown: Africa in the Nineteenth and twentieth centuries. Ibadan 1966.
6. Avice, Emmanuel: La Côte d'Ivoire Paris 1951.
7. Beslier, G.G.: Le Senegal Paris 1925.
8. Betts, Raymond: The scramble for Africa U.S.A. 1966.
9. Boahen, A. Adu: Britain, the Sahara and the Western Sudan (1788 - 1861) Great Britain 1970.
10. Bory, Paul: A l'Assaut de l'Afrique.
11. Brunshwig, Henri: l'Avenement de l'Afrique Noire du XIX siècle à nos jours Paris 1963.
12. Brunshwig, Henri: Le Partage de l'Afrique Noire. Paris 1971.
13. Carrington, C., E.: The British Overseas. Exploits of a nation of shopkeepers. Cambridge 1950.
14. Coleman, James: Nigeria. Los Angelous 1960.
15. Collins, Robert: Problems in the History of Colonial Africa U.S.A. 1960.

16. Cornevin, Robert: Histoire du Dahomey Paris 1962.
17. Crowder, Michael: West Africa under colonial rule. Great Britain 1968.
18. Crowder, Michael: West African resistance. London 1973.
19. Cook, James: New French Imperialism (1880-1910) London 1973.
20. Cultru, P.: Les Origines de L'Afrique Occidentale Paris 1910.
21. Cultru, P: Histoire du Sénégal du XV siècle à 1870 Paris 1910.
22. Curtin, Philip: and Steven Feierman and Leonard thompson Jan Vansina; African History London 1978.
23. Davidon., Basil: Guide to African History. London 1963.
24. De Lanoye, F.: Le Niger et les Explorations de l'Afrique Centrale depuis Mungo Park jusqu'au Docteur Barth. Paris 1960.
25. Deschamps, Hubert: Peuples et Nations d'outre mer (Afrique -Islam - Asie du Sud) Paris 1954.
26. Deschamps, Hubert: Histoire Generale de l'Afrique Noire Paris 197 tome II.
27. Dike, Onwuka: Trade and Politics in the Niger Delta. Oxford 1956.
28. Fage, J: An introduction to the history of west Africa. Cambridge 1959.
29. Forde, Daryll and P.M. Kaberry: West African Kingdoms in the Nineteenth Century. Great Britain 1969.
30. Forstner, Kanya: The Conquest of the western sudan. Cambridge 1969.
31. Fyee, Christopher: A History of sierra Leone Oxford 1962.

32. Gann, L. and Peter Duignan: Colonialism in Africa 1870 - 1960 Vol. 1 Cambridge 1969.
33. Gay, J.M: A History of the Gambia. Cambridge 1940.
34. Guernier, Eugène: Afrique Occidentale Tom 1. Paris 1949.
35. Guy, Camille, L'Afrique Occidentale Française. Paris 1929.
36. Hagreaves, John: Prelude to the partition of west Africa. London 1963.
37. Hallet, Robin: Africa to 1875. London 1875.
38. Hanotaux, Gabriel: Le Partage de l'Afrique Noire. Paris 1909.
39. Hanotaux, Gabriel et Alfred Maritineau: Histoire des colonies Françaises et de l'expansion de la France dans le monde Tome IV. Paris 1929.
40. Hecquard, Hyacinte: Voyage sur la Côte et dans l'intérieur de l'Afrique Occidentale. Paris 1855.
41. Hogben, J.: An introduction to the history of Northern Nigeria. Ibadan 1967.
42. Hoskins, Halford: European imperialism in Africa 1928.
43. Labouret, Henri: L'Afrique Précoloniale. Paris 1959.
44. Langer, William: The Diplomacy of imperialism 1890 -1902. Part I. N. Y. 1951
45. Latimer, Elizabeth: Europe in Africa in the Nineteenth Century Chicago 1895.
46. Oloruntimehin, B: The Segun Empire London 1972.
47. Johnston, Harry: A History of the colonization of Africa. Cambridge 1913.
48. Knapp, Wilfrid: North west Africa third edition N.Y. 1977.

49. Kilson, Martin and
Cartey Wilfred: Colonial of Africa. N.Y. 1966.
50. M.A.C.: Histoire complète des voyages et de cou-
vertes en Afrique. Paris 1921.
51. Mage, E: Voyage dans le soudan Occidental Paris
1877.
52. Meniaud, Jacques: Les Pionniers du Soudan Tome I-II. Paris
1931.
53. Meynier, O.: Les Conquerants du Tchad. Paris 1223.
54. Molard, Richard: Afrique Occidentale Française Paris 1949.
55. Monnier, Marcel: France Noire (Côte d'Ivoire et Soudan)
Mission Binger Paris 1894.
56. Moore, Clarck: Africa yesterday and today. U.S.A. 1970.
57. Reeve, Henry Fen-
wick: The Gambia London 1912.
58. Robinson, Ronald
and John Gallaher
with Alice Denny: Africa and the victorians. N.Y. 1961.
59. Rooney, D: The Building of Modern Africa. London
1967.
60. Seligman, C.: Races of Africa. London 1959.
61. Soleillet, Paul: Les Voyages et decouvertes de Paul
soleillet dans le sahara et le soudan (en vue
d'un project d'un chemin de fer transsa-
harien) Paris 1881.
62. Sik-Endre: A History of Black Africa Vol. I. U.S.A.
1970.
63. Spitz, Georges: Soudan Français Paris 1955.
64. Suret, Canale, Jean: Afrique Noire occidentale et centrale.
l'Ere colonial (1900 - 1945) Paris 1961.

ثانيا - المراجع العربية والمعرية :

- ١ - أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية - الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقيا ج ٦ طبعة ١٩٧٢ .
- ٢ - أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٠ .
- ٣ - أحمد نجم الدين فليجة : أفريقيا - دراسة عامة وإقليمية (لأقطارها غير العربية) الاسكندرية - ١٩٧٨ .
- ٤ - أ . ج جرانت ، هارولد تمبولى : أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩ - ١٩٥٠ ج ٢ ترجمة محمد على أبودره مراجعة أحمد عزت عبد الكريم - القاهرة ١٩٧٨ .
- ٥ - أ . ي . بوفيل : الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا وأثرها فى تجارة الذهب - ترجمة زاهر رياض - القاهرة ١٩٦٨ .
- ٦ - توماس ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ترجمة وتعليق حسن إبراهيم حسن د . عبد المجيد عابدين اسماعيل النحراوى القاهرة ١٩٧٠ .
- ٧ - جمال الدين الدفاصورى : جغرافيا العالم دراسة إقليمية (لأفريقيا وأستراليا) ج ٢ القاهرة ١٩٧١ .
- ٨ - الحسن بن محمد الوزان الزياتى (ليون الإفريقى) : وصف أفريقيا ترجمة د . عبد الرحمن حميدة طبعة الرياض ١٣٩٩ هـ .
- ٩ - حسن محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا القاهرة ١٩٦٣ .

- ١٠ - دولت أحمد صادق ، محمد السيد غلاب - جمال الدين الديناصورى :
الجغرافية السياسية - القاهرة ١٩٨٢ .
- ١١ - رونالد واينز : تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء ج٢ ترجمة شوقى الجمل .
- ١٢ - زاهر رياض : الإستعمار الأوربى لأفريقيا فى العصر الحديث القاهرة ١٩٦٠ الطبعة الأولى .
- ١٣ - سعد الدين الزبير : امبراطورية رابح الزبير القاهرة ١٩٥٣ .
- ١٤ - شوقى الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها القاهرة ١٩٧١ .
- ١٥ - شوقى الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٧٧ .
- ١٦ - صلاح العقاد : مغرب الاستعمار الفرنسى بدون سنة طبع .
- ١٧ - صلاح العقاد : جمال زكريا - وآخرون الجمهورية الإسلامية الموريتانية - معهد البحوث والدراسات العربية طبعة ١٩٧٨ .
- ١٨ - صلاح ضهيرى : أفريقيا وراء الصحراء - القاهرة ١٩٦٠ .
- ١٩ - صفى الدين محمد : أفريقيا بين الدول الأوربية الطبعة الأولى القاهرة ١٩٥٩ .
- ٢٠ - عبدالله يوسف الشبل : محمد بن الوهاب . الرياض ١٣٩٩ .
- ٢١ - عبد العزيز نوار : التاريخ المعاصر أوربا من الحروب البروسية إلى الحرب العالمية الثانية ١٨٧١ - ١٩٤٥ القاهرة ١٩٧٧ .
- ٢٢ - عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون فى غرب أفريقيا بدون سنة طبع مجموعة محاضرات أُلقيت فى معهد الدراسات الإفريقية .
- ٢٣ - عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية - القاهرة ١٩٦١ .
- ٢٤ - عبد الملك عودة : السياسة والحكم فى أفريقيا - القاهرة ١٩٥٩ .
- ٢٥ - على إبراهيم عبده : المنافسة الدولية فى أعالى النيل القاهرة ١٩٥٨ .

٢٦ - لوثرروب مستودارد : حاضرم العالم الإسلامى نقله إلى العربىة عجاج نوىهض فىه تعليقات عن أحوال الأمم الإسلامىة بقلم الأمير شكىب أرسلان الطبعة الثالثة ج ٣ دار الفكر ١٩٧١ .

٢٧ - محمد قامم ، أحمد نجىب هاشم : التاريخ الحديث والمعاصر القاهرة بدون سنة طبع .

٢٨ - محمد كمال جمعه : انتشار دعوة الشىخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزىرة العربىة مطبوعات إدارة الملك عبد العزىز بالرىاض ١٩٨١ .

٢٩ - محمد عوض : السلالات والشعوب الإفرىقىة القاهرة ١٩٦٥ .

٣٠ - يسرى الجوهرى : أفرىقىا الإسلامىة دار المعارف ١٩٨٠ .

رسائل جامعىة :

- التغلغل الفرنسى فى النىجر وموقف الوطنىىن من ١٨٨٤ - ١٩٠٤ رسالة ماچستىر إعداد إلهام محمد على ذهنى إشراف أ . د محمد محمود السروجى أ . د سعد زغلول عبد ربه - جامعة القاهرة - معهد البحوث والدراسات الإفرىقىة ١٩٧٨ .

- سىاسة فرنسا التوسعىة فى غرب أفرىقىا من منتصف القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمىة الأولى رسالة دكتوراه - إعداد إلهام محمد على ذهنى - إشراف أ . د . عبد العزىز سلىمان نوار كلىة الآداب جامعة عىن شمس ١٩٨٤ .

الدورىات :

- مجلة الدراسات الإفرىقىة العدد السادس ١٩٧٧ مقالة للدكتور سعد زغلول عبد ربه عن التدخل البريطانى فى بنىن ١٨٥١ إلى ١٨٩٧ .

كشاف الاعلام

ادريس ١٩٩	(أ)
ارشيتار ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤	ابراهيم سورى ١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٩
١٤٥ - ١٤٦ - ١٥٤ - ١٥٦ - ١٥٧	ابن حوقل ٢١
١٥٨ - ١٦١ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٣	ابن ١٧٣
١٧٨ - ٢١٦ - ٢٢٥ - ٢٢٨	أبى العباس التيجانى ٣٢
ارنو ١٧٥	اجيو ١٢٨ - ١٣٢ - ١٤١ - ١٤٣
اشانتى (قبائل) ٢٩	١٤٩ - ١٥٨
السيد التارازى ٣٢	أحمد بن السيد ١٩٨
الفا ١٥٨	أحمد بن سيدى على ١٩٠
الكاماسا ١٤٧	أحمد سالوم ١٩٣ - ١٩٧
اليونسال ٨٨	أحمد ولد عيد ١٨ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠
اميل باننج ٧٤	٢٠١ - ٢٠٢
اميل جنتى ١٧٧	أحمد الثانى ٤٧
انجولفان ٢٢٦	أحمد الثالث ٤٧ - ٥٠
اندرىو ١٩٩	أحمد شيخو ٢٢ - ٣٩ - ٩٤ - ٩٥
اوب ١٧٠ - ١٧١	١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١٢ - ١١٤
اوبردوف ١١٣ - ١٢٧	١٢٨ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤
أوجينى ايتيان ٦٧ - ١٢٤ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٤٤	١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠
٢١٢ - ٢١٣ - ٢٢٦	١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥
اوجين جرنيه ٢١٥	١٤٦ - ١٥١ - ١٥٨ - ١٦٢ - ١٦٥
أوديوديو ١٢٧	١٦٩ - ٢١٧ - ٢٢٨
أولاد دلم (قبائل) ٢٦ - ٢٠٣	أحمد لوبو ٤٦ - ٤٨ - ٥٠ - ٥١
أولاد سيدى الشيخ حمزة (قبائل) ١٦٨	أحمد مادانى ١٧٩ - ١٨١

أولاد علي (قبائل) ١٩٣ - ٨٧

أولميدان ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥

امريش ١٧٤

ايو (قبائل) ٣٠

(ب)

بابا ١٣٠

بابكر ميباي ١٠٦

باجوبا ١٤٧

باراتيه ٥٦

بارث ٢١ - ٢٣ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٧٨

باسيرو ١٣٢

بالادمبا ١٢٦

بالنت (قبائل) ٢٨

بالوت ٢٢٦

باليه ١٢٨ - ١٢٩

باليه ١٨١

بامبا ١٦١

بانتيه ٢٠١

بايول ١٢٤ - ١٢٧

بتشت ١٢٧

بجا (قبائل) ١١٩

براكنة (قبائل) ٢٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٨٥ -

٨٨ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ -

١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٥ - ١٩٧ - ١٩٩ -

٢٢٣

بربر (قبائل) ٢٦ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٣

برو ١٨٩ - ١٩٠

برو تونيه ١٨٠

بروسلار فيدهرب ١٢٨

برولت ١٥٩

برينيه ١٨٥

برير دي ليل ١٠٤ - ١٢٢ - ١٣٤ -

١٣٥ - ١٣٧

بسمارك ٧٠ - ٧١

بكار ولد أسوف ١٦٥ - ١٦٨

بلات ١٢٣ - ١٢٧

بلاشير ١٤٦

بلانشار ١١٨

بلانشيه ١٩٢ - ١٩٧

بلير دياجن ٢١٩ - ٢٢٠

بمبارة (قبائل) ٢٦ - ٢٩ - ٤٥ - ٤٦ -

٤٧ - ٤٩ - ٥٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٤ -

٩٥ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٥ -

١٣٦ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٤ - ١٤٥ -

١٦٧ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٨

بتي كارا ماکو ١٥٣

بنجر ١٥٢ - ٢٢٦

بنيه لا براد ٨٩ - ٩٠ - ١٠٠ - ١٠٢ -

١٢٠ - ١٢١

بواتيه ١٤٦ - ١٦٩ - ١٧٠

بو المجد ٥١ - ٥٢ - ٩٦

بواليف ١٣٨ - ١٣٩

بودان ٨٣

بوربون ٦٢

بوريل ٨٨

بوسيه (قبائل) ١٠٤ - ١٩٣

البكائي ١٦٧ - ١٦٨

بوکار بيرو ١٢٩ - ١٣٠

بوکستون ١٦٠

بول جفاري ٦٥

بول سوليه ٦٦ - ٦٧ - ١٣٤ - ١٦٥ -

١٦٩ - ١٩٢

تورنيه ١٥٠
 توماس ارنولد ٣٥
 تومانيه ١١١
 تيبا ١٤٩ - ١٥٢ - ١٥٦ - ١٥٨ - ١٦١ -
 ٢٢٨ - ٢١٦
 تيتى ١٣٨
 تيجانية ٣١ - ٣٢ - ٣٧ - ٤٢ - ٤٨ -
 ٤٩ - ٥١ - ١٣١ - ١٤٢ - ٢٢٨
 تيسو ١٩٩
 تيفينو ١٧٣
 تينبو ١٦٥
 تير ٦٢

(جـ)

جادن ١٦١
 جاريت ١٥٥ - ١٥٦
 جاليني ١١١ - ١١٣ - ١٢٤ - ١٣٥ -
 ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٤ - ١٥٣ -
 ١٥٩ - ٢٢٥
 جان سوريه كنال ٥١
 جبريل ٣٥
 جرجنكة (قبيلة) ٢٦
 جروده ١٥٨ - ١٧١
 جمينا ٦٥
 جوترو ١٧٢
 جور جييري ٦٨ - ١٣٨
 جور دون لانغ ٢٢
 جوو ٦١ - ١٩٦ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٢٥
 جوفر ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣
 جول جريفي ٦٢ - ٦٧
 جولد سبوري ١٢٢

يوليناك ٦٠
 يوليه ١٩٨
 يول مول ٩١ - ٩٢ - ٩٣
 يونتي ٣٧ - ١٧٥
 يونيه ١٥٩ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١
 يويه ويلوميه ١٩١
 ييجول ١١٨ - ١٩١
 يمرام (اماره) ٤٢
 يمرور ٥٢ - ٥٤ - ٥٦ - ١٥٠ - ١٥١
 يمرعا ١٠٥
 ييكروفت ٢٢
 ييكى ٢٢ - ٢٣
 ييهانزن ٢٢٣ - ٢٢٧

(ت)

تارلزة (قبائل) ٢٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٨٦ -
 ٨٧ - ٨٨ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٨٧ -
 ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٧ -
 ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٢٣
 تارنتيان ١٧٣
 تشمبرلين ١٢١
 تكرر (قبائل) ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٣٦ -
 ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤٥ - ٤٧ - ٤٩ -
 ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٧ - ٨٤ - ٨٥ -
 ٩٠ - ٩١ - ٩٣ - ١٠٢ - ١٠٨ - ١٠٩ -
 ١١٢ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٣١ - ١٣٢ -
 ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٤٤ -
 ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٦٢ - ١٦٩ -
 ٢٢٤
 تنمية (قبائل) ٢٦
 توديه كبا ١٠٤

دی فریجات ۸۹	جول فری ۶۴ - ۶۵ - ۶۶ - ۶۸ - ۷۱
دی سنذر فال ۱۲۳ - ۱۲۴	۷۲
دی کرهالیه ۱۱۸	جول هارموند ۲۱۷
دی کورسال ۷۲	جولی ۱۱۱
دی لا رتیج ۱۶۱	جیلان ۱۸۰
دی لیسبس ۶۶ - ۶۷	جون کوئی ۱۲۲
دیلکاسیه ۱۵۸	جیونو جمبتا ۱۹۷
دینا سالینو ۱۲۹	
دیولا (قبائل) ۴۲ - ۴۸	(ح)

(ر)	حسان بن ماء العینین ۲۰۰
رابح الزیر ۱۷۶ - ۱۷۷ - ۱۷۸ - ۱۸۰ -	حسن ابراهیم ۳۵
۱۸۱ - ۱۸۳ - ۲۲۷ - ۲۲۸	الحسن بن الوزان ۲۱ - ۶۵ - ۱۶۶
راسینی ۱۵۰	جمودی ۱۷۳

راندون ۹۸	(د)
رانو ۴۲	دارسی ۶۵ - ۱۰۱
رقیبات (قبيلة) ۲۶ - ۲۰۳	دزرائیلی ۷۸
رنیه کاییه ۲۲ - ۱۱۸ - ۱۸۹	دلا موت ۱۵۷
روییلوت ۱۸۰	دودز ۱۰۸ - ۲۲۵
روجه ۱۱۸	دورا (امارة) ۴۲
روسی ۱۳۴	دوکاس ۸۵
روستان ۶۸	دوکریه فیلونوف ۱۱۹
روسل ۱۶۸	دومینک ۱۸۵
روسو ۱۹۶	دونات ۱۹۲
رولیه ۱۹۸	دویش (قبيلة) ۱۸۸ - ۱۹۳ - ۱۹۵
روی ۱۲۲ - ۱۳۵ - ۱۵۲	دی برازا ۷۰
ریان ۱۰۴	دی بیکمان ۱۲۹
رینتی ۱۸۷	دیورد ۱۳۶ - ۱۳۷ - ۱۳۹ - ۱۴۸ - ۱۴۹
رینو ۱۵۴	دیوک ۵۲
ریشمیرج ۱۱۲	دی جرامون ۹۱
رعی ۶۳	دی جوبلان ۱۸۹

(ز)

زرجز (اماره) ٤٢

زويفل ١٢٣

الزين الصغير ١٩٨

(س)

ساراكولى (قبيلة) ٣٦ - ٥٧ - ١٠٨ -

١٠٩ - ١١١ - ١١٢ - ١٣٦ - ٢٢١

ساراسى (قبيلة) ١٧٧

سامبا ١٠٨

سامبالا ٩٢ - ٩٣ - ١٣٤

سامبا ناديه ٤٩

سامبا يحيى فال ١٠٧

سامورى ٢٩ - ٣٦ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ -

٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ -

١١٢ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٣٠ - ١٣٦ -

١٣٨ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٤ -

١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ -

١٥١ - ١٥٢ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ -

١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ -

١٦٥ - ١٧١ - ١٨٢ - ١٩٥ - ٢١٦ -

٢٢٥ - ٢٢٧

ستانلى ٦٩ - ٧٠

سرير ٢٧ - ٢٨ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٤ -

١١٢

سعد بوه ١٩٧

سنغاي ٣٩

سنومى ٣١ - ٣٣ - ٣٧

سولسبورى ١٥٤

سوننكة ٤٦ - ١٠٠ - ١٠٢

سويو ١١٢ - ١٤١

سيل كرو ٧٤

سيلي حمزة (قبيلة) ١٦٨

سيدنا ١٩٦

سيلو ٤٨ - ١٣٥

سيزيه ٥٣

سيسل رودس ٩٧

سيفين لا بلاس ١٢٨

سيلنست ١١٠

سين كيلى ١٥٦

(ش)

شارل العاشر ٦٠

شاسلوب ٨٩ - ٩٤

الشاوية ٢٠٠ - ٢٠٢

شمس ١٩٣

شوديه ١٥٩ - ٢٠٨

شيلن ١٢٥

(ص)

صنهاجة (قبيلة) ٢٣

صوصو (قبيلة) ٢٨

(ط)

طلب (قبائل) ٢٦ - ٣٣

طوارق (قبائل) ٢٦ - ٥٠ - ٩٨ - ١٦٥ -

١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ -

١٧٢ - ١٧٤ - ١٧٦ - ٢٠١

(ع)

عبد الحفيظ ١٩٩ - ٢٠٠

فرمك ١٢٣	عبد العزيز ١٩٩
فرى ١١١ - ١١٢ - ١٤٩ - ١٥٠	عبد القادر الجيلاني ٣١
فستنج ١٥٣ - ١٥٥	عبد الله بوبكر ١٠٤
فضلية ٣٣	عثمان بن عبد الله ٣٥
فلاتيه ١٦٩	عثمان دان فوديو ٢٧ - ٣١ - ٣٢ - ٣٤
فليكس ديو ١٢٨ - ١٧٤	٣٥ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢
فليكس فور ٢١٢ - ٢٢٧	٤٣ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٥٠
فنسان ٨٨	٥١ - ٥٦
فورتن ١١٣	عثمان كبي ٤٣
فورتى ١٤١	على بوري ١٠٨
فولاني قبائل ٢٧ - ٢٨ - ٣٤ - ٣٩ - ٤٠	على كورى-١٨٧
٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧	عمر باننا ١١٢ - ١٢٩ - ١٣٠
٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨	الحاج عمر تل ٢٨ - ٢٩ - ٣١ - ٣٢
٨٩ - ٩٠ - ٩٢ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ١٦٧	٣٩ - ٤٠ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠
فوليه ١٨١	٥١ - ٥٢ - ٥٤ - ٥٨ - ٨٧ - ٨٩
فون قبائل ٣٠ - ٤٠	٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦
فيد هرب ٣٨ - ٥٠ - ٥١ - ٨٣ - ٨٤	١٠٠ - ١٠٩ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣
٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٩١ - ٩٤	١٣٤ - ١٤٨ - ٢٢٧
٩٥ - ٩٧ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٥	عمر بادتمبا ١٢٩ - ١٣٠
١٠٦ - ١١٤ - ١٢٠ - ١٣٣ - ١٩١	عمر بوري ١٨٨
٢١١ - ٢٢٥ - ٢٢٧	
فهرن ١٧٤ - ١٧٥	

(ف)

(ق)	فاير ١٩٢
قادرية ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٧ - ٤٢	فابو ١٤٨ - ١٥٠
٤٧ - ٥٠ - ٥١ - ١٩٦ - ٢٠٠ - ٢٢٨	فارون ٩٣
	فالون ١٣٨
(ك)	فالمير ١٠٢ - ١٠٤ - ١٠٦ - ١٣٣
كاتسينا (اماره) ٤٢	فانتى قبائل ٢٩
كارون ٨٩	فرانو ١٦٩
كالى ١٥٨	فرانديز ١٨٦
	فرديه ٦٣

لا فياتوري ٥٣
 لا فيجيري ٧٧
 لا مبيتر ٨٩ - ١٢٠
 لاندر ٢٢
 لا نلومون (قبائل) ١١٨ - ١١٩
 لاوي ١٧٥
 لوثرروب ستودارد ٢٢
 لو زرن ١٧٤
 لوفل ١٤٩
 لويس الرابع عشر ٦١ - ١٨٧
 ليزد ٢٢
 ليفاسير ١٢٤
 ليو العاشر ٢١
 ليو بولد الثاني ٦٦ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٢
 ٧٤ - ٧٦

(م)

ماء العينين ٣٣ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢
 ماها ٨٥ - ٨٧ - ١٠١ - ١٠٢
 ماج ٩٤ - ٩٥ - ١٣٣
 ما داني ١٤٢
 ما ديودو ١٠٦
 مارشان ١٤٤ - ١٤٥ - ١٥٩
 ما كودو ١٠٥ - ١٠٦
 ما لافو ١١٨
 مالنكا موري ١٥٠ - ١٦٧
 ماليجي ١٢٠ - ١٢١
 مانجو باريك ٢٢
 ماندنجو (قبائل) ٢٩ - ٣٩ - ٤٠ - ٥٢
 ٥٣ - ٥٦ - ٥٧ - ١١٢ - ١٤٦ - ١٤٨
 ١٦٢ - ٢٢٥

كاميل دول ١٩٢
 كمشنر ١٠٤
 كراماكو ١٥٨
 كرو (قبائل) ٣٠
 كروثر ٢٢
 كروماجو ١٧٩ - ١٨١
 كروزا ١٥٦
 كلابرتون ٢٢
 كلارنلون ١٦٧
 كلمنت توما ١٤٤
 كلمنصر ٦٤
 كلوزيل ١٧٤ - ١٧٥
 كنار ٨٦ - ١٣٨
 كوبر ١٣٤
 كربولاني ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧
 ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠
 كورنيه ١٧٥
 كولير ١٨٧
 كومب ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٩ - ١٥٩
 كونتا (قبائل) ١٧٣
 كونتان ٩٤ - ١٣٣
 كيكنلون ١٤٣ - ١٤٤ - ١٥٦ - ٢١٦

(ل)

لا برين ١٧٣ - ١٧٥
 لا بلي ٦٣ - ١٩٧
 لات ديور ١٠٢ - ١٠٥ - ١٠٧ - ١٠٨
 ١١٤ - ٢٢٨
 لاني ١١١
 لا فردور ١٧٥
 لافون دي لا ديه ١١٩ - ١٢١

مترنيج ٦٠

محمد أحمد ١٠٤ - ١٧٤

محمد بللو ٤٣ - ٤٦ - ٤٨

محمد بن عبد الوهاب ٣٤

محمد التلمساني ٣٢

محمد الجيب ٥٨ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ١٠٥

محمد الصغير ٣٢

محمد عمار ١٨٩

محمد الغالي ٤٨

محمد الفاضل ٢٠٠

محمد الكائني ٤٤ - ٤٦

محمد الكبير ٣٢

محمبو لامين ٥٧ - ١٠٥ - ١٠٨ - ١٠٩ -

١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٤ - ١٤٠ -

١٤١ - ١٤٣ - ١٥٠ - ١٥١ - ٢٢٧ -

٢٢٨

محمود ١٦٥

مختار (قبائل) ٢٦

مختار ديوب ١٩٠

ملتوس قبائل ١٧٧

موراي لاست ٣٥

موسيه ١٢٣

موسى (اميرطورية) ٢٩ - ٤٠ - ٤١ -

١٦٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٨ - ٢٢٩ -

مولر ١٢٩

موليان ١١٨

موليه ٢٢٦

مونتانيه دى بوسك ١٩٨ - ١٩٩ -

منتجا ١٣١ - ١٣٨

مونتى ١٤٠ - ١٥٩ - ١٧٨

مونجان ٢٠٢

مونرو ٦٠

مونيه ٢٠٢

ميشار ١٩٩

ميلوت ١٢٧

مالى ١٦٠

(ن)

نابليون الثالث ٦١ - ٦٢ - ٨٤ - ٩٨ - ١٥٠ -

نابليون بوناپرت ٥٩ - ٦١ - ٦٧ - ١٨٧ -

نفاثه ٤٣

نوارو ١٣٠

نياجسا ١٩٠

(هـ)

ها فلوك ١٢٣

هاى ١٥٤

هرمن ١٦٧

هميا ١٧٠

هغرى فيشر ٣٥

هنرى دوفريه ١٦٨

هوارد ١٦٠

هوتن ٢٢

هوجيني ١٥٨

هوسا (قبائل) ٢١ - ٢٣ - ٢٧ - ٣٢ -

٣٦ - ٣٨ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٦ -

٤٧ - ١٦٦

هورغن ٢٢

الهية ٢٠٢

هيرودوت ٢١

هيس ١٩٠

هيكار ١١٨

	(و)
ولیم بوئتی ۲۲۲	واد نجتون ۱۵۴
(ی)	ولاته (قبائل) ۲۶
یارا کومبا ۲۲۷	وولفل ۱۶۱
یایا ۱۷۰	ولنجتون ۶۰
ید. الاغدف ۲۰۲	ولوف (قبائل) ۲۷ - ۲۸ - ۵۷ - ۸۳ -
یوروبا ۳۰	۱۰۰ - ۱۰۱ - ۱۰۲ - ۱۰۷ - ۱۰۸
یونفا ۴۳	

كشاف الأماكن

٧٤ - ٧٥ - ٧٧ - ٧٨ - ٨٣ - ٨٤	(أ)
٨٥ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١٠٨ - ١٠٩	ابرون ١٥٩ - ١٦٠
١١٤ - ١١٥ - ١٢٥ - ١٢٨ - ١٤٣	ايبدا جان ٢٩
١٤٧ - ١٥٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٧٧	اجادس ٤٥ - ٦٧ - ١٦٨ - ١٧٣
١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٦ - ١٩٥ - ١٩٧	ادرار ٢٣ - ٥٧ - ٥٨ - ٨٨ - ١٨٦
٢٠١ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤	١٩٤ - ١٩٧ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١
٢٢١ ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٩	ادماوة ٢٧
افريقيا الاستوائية ٥٩ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٤	ارجوين ١٨٧
١٧٧ - ٢٠٧ - ٢١٤	ارجيوم ١٦٦ - ١٨٦ - ١٨٧
افريقيا الغربية الفرنسية ١٦ - ٢١ - ٣٠	اروانلو ١١٢ - ١١٣
٥٩ - ١٦٣ - ١٧٧ - ١٨٠ - ١٩٦	اسان ١٠١
٢٠٥ - ٢٠٧ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١٣	اسبانيا ٧٦ - ١٩٥ - ٢٠٣
٢١٨ - ٢٢١ - ٢٢٢	استراليا ٩٥
الانزاس واللورين ٦٤ - ٦٥ - ٢٢٩	امسكاريا ١١٩
المانيا ٦٤ - ٦٨ - ٧١ - ٧٦ - ١٢٤	اسيني ١٠٣ - ١٦٢
١٢٥ - ١٦٩ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥	اغادير ٢٠٢
١٩٥ - ٢٠٠ - ٢٢٩	افريقيا ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٩ - ٢٠
الوار ٤٨	٢١ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ - ٣٠
امريكا ٥٩ - ١٦٨	٣١ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧
انتيل (جزر) ٦٥	٣٨ - ٤٨ - ٥٠ - ٥١ - ٥٩ - ٦٠
انجلترا (بريطانيا) ٢٢ - ٢٤ - ٣٠ - ٦٣	٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦
٧١ - ٧٢ - ٧٦ - ٨٨ - ٩٥ - ١٠١	٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٣
١٢٠ - ١٢٤ - ١٢٧ - ١٣٤ - ١٥٢	

۱۳۵ - ۱۳۷ - ۱۳۸ - ۱۴۱ - ۱۴۳ -
۱۴۴ - ۱۴۵

باقل ۲۲ - ۴۸ - ۸۵ - ۸۶ - ۹۲ - ۹۵ -
۹۶ - ۹۷ - ۱۰۴ - ۱۱۰ - ۱۱۱ -
۱۴۱ - ۱۸۹ - ۱۹۵

باماکو ۲۰ - ۵۳ - ۹۵ - ۱۰۴ - ۱۲۳ -
۱۳۷ - ۱۳۸ - ۱۴۲ - ۱۴۸ - ۱۴۹ -
۱۵۱ - ۱۶۶ - ۲۰۸

بامبوك ۴۱ - ۹۱ - ۹۵ - ۱۰۹ - ۱۱۲ -
۱۱۳
بانناما ۲۴

باند ياجارا ۱۴۲ - ۱۴۶ -
بانميا ۱۳۶

بانى (نهر) ۴۶ - ۱۳۱
بتهورست ۹۱

برتقال ۷۰ - ۷۱ - ۷۲ - ۷۶ - ۱۲۴ -
۱۲۶

برلين ۶۹ - ۷۱ - ۷۲ - ۷۳ - ۷۵ - ۷۹ -
۸۳ - ۱۰۵ - ۱۰۹ - ۱۳۹ - ۲۲۹
برمايا ۱۲۵

بروكسل ۷۰
بلجيكا ۶۶ - ۹۶ - ۷۰ - ۷۱ - ۷۶ -
بليوحو ۱۳۲ - ۱۳۹

بنتى ۱۰۰ - ۱۲۰ - ۱۲۷
بنى بوبو ۱۲۵

بند يا حارا ۱۴۲ - ۱۴۶

بنوى (نهر) ۲۰ - ۲۲ - ۲۳ - ۳۳ - ۴۳
بوب نكيور ۸۶

بونودولاسو ۲۰۹

بوجونا ۲۰۹

بودور ۴۸ - ۸۳ - ۸۵ - ۸۶ - ۹۲ - ۹۶

۱۵۳ - ۱۶۰ - ۱۶۸ - ۱۶۹ - ۱۸۴ -
۱۸۵ - ۱۸۷ - ۱۹۴ - ۱۹۵ - ۱۹۶ -

۲۱۰ - ۲۲۴ - ۲۲۹

انجولا ۷۶

أنجلس ۲۱

أنهار الزيت ۲۰

أنهار الجنوب ۲۰ - ۶۱ - ۶۳ - ۸۹ - ۹۰ -
۱۰۰ - ۱۰۲ - ۱۱۱ - ۱۱۸ - ۱۱۹ -

۱۲۰ - ۱۲۱ - ۱۲۲ - ۱۲۵ - ۱۲۶ -
۱۲۹ - ۱۵۳ - ۱۶۰

اواد ۱۹۵

اوالو ۸۴ - ۸۷ - ۹۳ - ۹۷ - ۱۸۸ -
۱۹۰ - ۱۹۱

أوبوك ۶۷

أوجويه ۱۶۱ - ۲۲۸

ايرى ۱۶۶

ايطاليا ۷۶

ايولايه ۱۰۴

(ب)

بئول ۸۴ - ۹۶ - ۱۱۰ - ۱۳۱ - ۱۳۲ -
۱۴۱ - ۱۵۹

باجرمى ۲۳ - ۳۳ - ۴۶

باخوى ۱۳۱ - ۱۳۲ - ۱۳۹ - ۱۴۰ -
۱۴۱ - ۱۴۲ - ۱۴۸ - ۱۵۰

باديه ۱۴۱ - ۱۴۴

بارواة ۱۹۴

ناريس ۷۲ - ۸۸ - ۱۲۹ - ۱۴۰ - ۱۶۰ -
۱۶۹ - ۲۱۲ - ۲۱۸ - ۲۲۰

بافنج ۹۳ - ۱۴۲ - ۱۴۵

بافولانى ۲۹ - ۹۳ - ۱۰۴ - ۱۳۳ -

تليري ۱۷۳
 تمبو ۳۲ - ۳۸ - ۵۰ - ۱۱۷ - ۱۲۲ -
 ۱۲۳ - ۱۲۷
 تمبکو ۲۱ - ۲۲ - ۲۳ - ۲۶ - ۲۹ -
 ۳۱ - ۳۷ - ۳۹ - ۴۹ - ۱۳۶ - ۱۴۶ -
 ۱۶۵ - ۱۶۶ - ۱۶۷ - ۱۶۸ - ۱۶۹ -
 ۱۷۰ - ۱۷۱ - ۱۷۲ - ۱۷۳ - ۱۸۶ -
 ۱۸۹ - ۱۹۱ - ۲۰۹
 تمیکو ۱۲۳
 تنلوف ۲۰۳
 تنکيسو ۱۵۰ - ۱۵۱ - ۱۵۵
 تنيس ۹۷
 توات ۳۱ - ۳۳ - ۹۸ - ۱۶۷ - ۱۶۸ -
 توبا ۱۳۱ - ۲۰۹
 توجو ۴۱ - ۷۶
 تورو ۸۴ - ۹۰ - ۹۳
 توکولو ۱۳۷
 تونس ۵۹ - ۶۶ - ۱۶۶ - ۲۱۳ - ۲۱۴
 تينو ۱۶۱
 تيجيقية ۱۹۸ - ۱۹۹
 تيوخ ۸۹

(ج)

جابون ۵۹
 جات ۳۳ - ۸۶ - ۹۷ - ۹۸ - ۱۰۶
 حلام ۱۸۷
 جاليه ۱۵۰
 حاو ۱۷۳ - ۱۷۴
 جايه ۸۴
 حيليه ۲۴ - ۱۰۸
 حراک سام ۶۲ - ۱۰۳ - ۱۵۹

بورا ۲۰۹
 بورتندال ۸۹
 بور تندیك ۸۸ - ۱۸۷ - ۱۸۹ - ۱۹۱
 بورتو سيجيرو ۱۲۵
 بورتو نوفو ۲۲۸
 بورجو ۳۳
 برونو ۲۲ - ۲۷ - ۴۶ - ۱۶۶
 بوریه ۴۹ - ۵۴ - ۱۳۶ - ۱۳۷ - ۱۴۷ -
 ۱۵۸
 بوسا ۲۲ - ۲۳
 بوفا ۱۰۰ - ۱۲۲
 بوکی ۸۴ - ۱۰۰ - ۱۱۹ - ۱۲۰
 بوئجو ۸۹ - ۹۰ - ۱۰۰ - ۱۱۹ - ۱۲۰ -
 ۱۲۲ - ۱۲۳ - ۱۲۵
 بوندوگو ۱۵۹ - ۱۶۰
 بوندو ۲۲ - ۱۲۹ - ۱۱۰ - ۱۱۳
 بیساندوگو ۵۳ - ۵۴ - ۵۵ - ۵۶ - ۱۵۷ -
 ۱۵۸ - ۱۶۵
 بیساو ۱۱۸
 بیلا ۱۲۹ - ۱۳۰ - ۲۰۹
 بیلما ۱۷۳

(ت)

تجانت ۵۷ - ۵۸ - ۸۸ - ۱۹۷ - ۱۹۸ -
 ۱۹۹
 تحيیری ۱۵۱ - ۱۵۹ - ۱۶۰
 تشاد ۲۱ - ۳۳ - ۳۶ - ۵۹ - ۶۷ - ۷۹ -
 ۱۳۳ - ۱۷۶ - ۱۷۷ - ۱۸۴ - ۱۸۵ -
 ۱۹۴ - ۲۱۳ - ۲۱۴ - ۲۲۶
 تغازة ۲۱ - ۱۶۶
 تکوباو ۱۷۱ - ۱۷۵

(خ)

خاسو ٨٧ - ٩٢

(د)

داجنا ٨٤ - ٥٥ - ٨٦ - ٩٦ - ١٨٩ - ١٩١

دارفور ٣٦

داكار ٩٦ - ٩٧ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ٢١٨ - ٢١٤ - ٢١١ - ٢٠٩ - ٢١٩

دالا ١٤٦

داجا ١١٨ - ١٤٦

دانوب ٢١ - ٧٢

داهوى ١٢ - ٢٠ - ٢١ - ٣٠ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٥٩ - ٧٩ - ١٠٨ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢٢٦ - ٢٢٨

دجالا ١٥١

دجل ٤٣

دجلوف ١٠٨

دمبورا ٤٨ - ١١٨

دن ١٦١

دياجليه ١٠٧

ديا جوكو ٤٨ - ٤٩

ديافونو ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢

ديالا ١٣٣

ديامو ١١٢

ديانا ١١٢ - ١١٣ - ١٤٦

ديمار ٨٤ - ٨٦ - ٩٠ - ٩٤

ديمرنج ١١٨

دينجو يري ٢٢ - ٤٩ - ١١٣ - ١٣٢

١٣٥ - ١٤١ - ١٤٣ - ٢٠٩

جربة ٢١

الجزائر ١٥ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٥

٦٧ - ٦٨ - ٨٣ - ٨٤ - ٩٨ - ١٦٨

١٦٩ - ١٧١ - ١٧٤ - ١٨١ - ١٨٢

١٩٢ - ١٩٧ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢١٣

٢٢٤ - ٢٢٦

جقبوب (واحة) ٣٣

جليمو ١٦١

جنى ٢١ - ٤٦ - ١٤٦ - ٢٠٨

جوال ٨٩

جواندان ١٧٢ - ١٧١

جوبانجو ١٣٧

جويز ٤٢ - ٤٣

جوتبول ١١٠

جودو ٤٣

جوديول ٨٧

جورى ١١٠ - ١١٢

جوريه ٨٤ - ٩٦ - ١١٨ - ١٢٢ - ١٩٠

٢١٩

جومبو ٢٠٨

جوندجا ١٦٠

جونديورو ١٠٩ - ١١١

جوهنيرج ٦٧

جوى ١٠٩

جويديكة ١٠٩ - ١١١ - ١١٢

جيمو ٩٣

(ح)

الحبشة ٧٦ - ١٠٤

الحجاز ٣٣ - ٣٤ - ٣٥

حمد الله ٣٧ - ٤٦ - ٥٠ - ١٦٦

الحوض ٥٧

٢٦٤

(س)

ساحل الذهب ۲۹ - ۳۰ - ۳۲ - ۳۹ -
 ۴۱ - ۵۴ - ۵۵ - ۵۶ - ۶۶ - ۹۵ -
 ۱۲۶ - ۱۳۲ - ۱۴۷ - ۱۴۹ - ۱۵۰ -
 ۱۶۶ - ۱۸۶ -
 ساحل العاج ۱۵ - ۱۶ - ۲۱ - ۲۴ - ۲۵ -
 ۳۰ - ۳۹ - ۵۶ - ۵۹ - ۶۲ - ۶۳ -
 ۶۹ - ۷۹ - ۱۱۷ - ۱۲۸ - ۱۳۰ -
 ۱۵۳ - ۱۵۹ - ۱۶۰ - ۱۶۵ - ۲۰۸ -
 ۲۰۹ - ۲۱۰ - ۲۱۶ -

ساحل العبيد ۶۲ - ۶۳ -

ساحل غينيا ۲۵ - ۲۹ - ۳۹ - ۶۲ - ۶۳ -
 ۶۵ - ۷۹ - ۱۰۳ - ۱۲۳ -
 الساقية الحمراء ۱۶۹ - ۲۰۰ -
 سالوم (نهر) ۲۴ - ۲۸ - ۸۴ - ۸۵ -
 ۸۹ - ۱۰۰ - ۱۰۱ - ۱۰۲ - ۱۰۳ -
 ۱۰۴ - ۱۰۶ -
 سامو ۱۵۴ -

سانت لويس ۲۷ - ۲۸ - ۲۹ - ۴۱ - ۴۹ -
 ۵۱ - ۸۴ - ۸۵ - ۸۶ - ۸۸ - ۹۲ -
 ۹۶ - ۹۷ - ۱۰۳ - ۱۰۴ - ۱۰۵ -
 ۱۰۶ - ۱۰۷ - ۱۱۱ - ۱۱۸ - ۱۳۳ -
 ۱۳۷ - ۱۷۰ - ۱۷۸ - ۱۸۸ - ۲۰۸ -
 ۲۰۹ - ۲۱۲ - ۲۱۸ - ۲۱۹ - ۲۲۰ -
 ۲۲۷ -

سانسندج ۲۹ - ۵۴ - ۱۶۶ -

سان فرانسيسكو ۶۶ - ۱۶۸ -

سانتکورو ۵۳ - ۱۶۱ -

سانيه ۱۵۸ -

سای ۱۴۶ - ۱۷۲ - ۱۹۴ -

سجلماصة ۲۱ -

ديوجنيه ۱۱۸ -

ديولا بوجو ۱۵۶ -

ديولودو ۸۵ -

دوبريكا ۱۲۳ - ۱۲۵ -

دوجندتش ۱۰۸ -

دورا ۴۳ -

دوری ۲۹ -

دوميجا ۱۲۰ -

دونه ۸۴ -

(ر)

الرأس الأبيض ۱۵۳ - ۱۸۶ - ۲۰۳ -

الرأس الأخضر ۲۸ - ۸۹ - ۱۸۹ -

رأس النخيل ۳۰ -

رباط ۲۰۲ -

ريب ۱۰۱ -

رينون ۶۵ -

ريوجراند ۱۱۸ -

ريو دي اورو ۲۰۱ - ۲۰۲ -

ريو كاسيني ۱۸۹ -

ريونونيه ۱۱۸ - ۱۱۹ - ۱۲۰ - ۱۲۳ -

۱۲۵ -

روفسك ۸۹ - ۹۷ - ۲۱۹ -

(ز)

زمفارة ۴۲ - ۴۳ -

زنجيشور ۱۱۸ -

زنجولول ۱۰۶ -

زنلر ۳۳ - ۱۷۳ - ۱۷۵ - ۱۷۷ - ۱۷۹ -

۱۸۱ -

سيجو ٢٨ - ٣٩ - ٤٧ - ٤٩ - ٥٠ -
٦٦ - ٩٤ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ -
١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٨ - ١٤٢ - ١٤٦ -
١٦٨ - ٢٠٨

سيجيري ١٢٧ - ١٣٠ - ١٤١ - ١٤٢ -
١٤٧ - ١٤٩ - ١٥١ - ١٥٦ - ١٥٨ -
٢٠٩

سيلهو ١١٨
سيراليون ٤١ - ٤٩ - ٥٣ - ١١٧ - ١٢٠ -
١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ -
١٢٧ - ١٤٩ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ -
١٥٥ - ١٥٩ - ١٣٤ - ٢٢٨

سيكاسو ١٥٢ - ١٥٩ - ١٦١ - ١٧٤ -
٢٠٨

سين ٨٤ - ٨٥ - ٨٩ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ -
١٠١ - ١٠٤ - ١٠٦

سينوفو ١٥٩
سور ٩٧

موكوتو ٢٢ - ٢٣ - ٣٦ - ٤٢ - ٤٣ -
٤٨ - ١٠٨ - ١٤٦ - ١٦٥ - ٢٢٨

موكولو ١٧٣ - ١٩٨
سومب ١٠٢
سومي ١٧٣

(ش)

شاري (نهر) ٢١ - ١٧٧ - ١٨٣
شنقيط انظر موريتانيا

(ص)

صحراء أسبانيا ٣٣
الصحراء الكبرى ١٩ - ٢٦ - ٤٠ - ٤١
الصومال ٣٣ - ٥٩

سرونديان ١١٣
سكر سيس (نهر) ١٥ - ١٢٣ - ١٢٨
سلديه ٩٧ - ١٠٤ - ١٩٣
سمارة ٢٠٢

سنلوجو ١١٣
السنغال ١٥ - ١٦ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ -
٢٢ - ٢٤ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٢ -

٣٨ - ٤١ - ٤٨ - ٥٩ - ٦١ - ٦٣ -
٧٩ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ -
٨٨ - ٨٩ - ٩٣ - ٩٥ - ٩٧ - ٩٨ -
١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ -
١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١١٠ - ١١١ -

١١٢ - ١١٤ - ١١٧ - ١٣٧ - ١٣٨ -
١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٥ - ١٤٧ -

١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٨ - ١٧٣ - ١٧٧ -
١٧٨ - ١٨٩ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٦ -

١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ -
١٩٣ - ١٩٥ - ٢٠٠ - ٢٠٨ - ٢٠٩ -

٢١٠ - ٢١٣ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٨ -
٢٢٩

سنغمبيا ٣٣ - ٥٧ - ٩١ - ٩٩ - ١٠٠ -
١٠٩ - ١١٢ - ١٥٠ - ١٥٣ - ٢٠٩

سنكران ١٣٦ - ١٣٧
سودان ١٦ - ١٩ - ٢١ - ٢٤ - ٢٦ -

٢٧ - ٢٨ - ٣٢ - ٣٤ - ٣٦ - ٣٧ -
٣٩ - ٤٨ - ٥٩ - ٦٦ - ٩٤ - ١١٧ -

١١٨ - ١٢٩ - ١١٠ - ١٣١ - ١٣٧ -
١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٥٠ -

١٥١ - ١٥٢ - ١٥٤ - ١٥٨ - ١٥٩ -
١٦٠ - ١٦١ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ -

١٧٠ - ١٧١ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٨٦ -
٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢٢٦

فاليبي ٩٣ - ١١٠ - ١١٢ - ١١٨ - ١٨٧

فرانكفورت ٦٢

فردو ١١٣

فرلو ١١٨

فرنسا ١٥ - ١٦ - ٢٥ - ٣٠ - ٥٢ -

٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ -

٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ -

٧١ - ٧٢ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٩ - ٨٣ -

٨٤ - ٨٦ - ٨٨ - ٨٩ - ١٠٢ - ١٠٣ -

١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٩ - ١١٤ - ١١٧ -

١١٨ - ١١٩ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ -

١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ -

١٢٩ - ١٣٢ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ -

١٤٢ - ١٤٧ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٣ -

١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦٠ -

١٦٢ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ -

١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٨٢ -

١٨٣ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ -

١٨٩ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ -

١٩٥ - ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٠٠ - ٢٠١ -

٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢١٠ - ٢١٢ - ٢١٣ -

٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٧ - ٢٢٠ - ٢٢٢ -

٢٢٣ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ -

فريتاون ١٢ - ١٢١ - ١٤٩ - ١٥٢ -

١٥٤ - ٢١٠ -

فزان ٤٦ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٧٤ -

فلورنسا ١٦٦

فوتا ٢٨ - ٤٨ - ٤٩ - ٨٤ - ٩٠ - ٩٣ -

١٠٤ - ١٠٩ - ١١٠ - ١٣٣ - ١٩١ -

فوتا جالون ٢٠ - ٢٤ - ٢٨ - ٣٢ - ٣٨ -

٤٨ - ٤٩ - ٥٧ - ٦١ - ٨٩ - ١١٠ -

١١١ - ١٢٠ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ -

(ط)

طرابلس ٢٢ - ١٦٦ - ١٦٧ -

(ع)

عين اوزل ١٧٤

عين صلاح ١٧٥

عين ماضي ٣٢

العينة ٣٤

(غ)

غانا انظر ساحل الذهب

غدامس ١٦٦ - ١٦٧ -

غمبيا ٢١ - ٣٢ - ٤٩ - ٩١ - ١٠١ -

١٠٣ - ١٠٦ - ١١٢ - ١١٣ - ١٢٠ -

١٢١ - ١٢٢ - ١٣٤ - ١٦٦ -

غينيا خليج ٦٣ - ١٥٢ - ٢١٤ -

غينيا البرتغالية ١١٧ - ١٢٦ -

غينيا الفرنسية ١٦ - ٣٢ - ٢٥ - ٢٨ -

٣٢ - ٥٩ - ٦١ - ٦٣ - ١١٦ - ١١٧ -

١١٨ - ١٢٠ - ١٢٩ - ١٩٦ - ٢٠٨ -

٢٠٩ - ٢٢٠ - ٢٢٩ -

(ف)

فاتيك ٨٩

فاتي ١٧٢

فاس ٢١ - ٣٢ - ٣٣ - ١٦٦ - ٢٠١ -

٢٠٢

فاشودة ١٠٤

فاليبي ١٢٢

۱۱۸ کانت
 ۴۶ - ۳۶ کام
 ۴۳ - ۴۲ - ۲۲ کانو
 ۱۳۹ - ۱۱۳ - ۱۱۱ - ۱۰۴ کایس
 ۱۵۷ - ۱۴۵ - ۱۴۲
 ۹۶ - ۸۷ - ۵۶ - ۸۴ - ۵۷ کایور
 ۱۰۷ - ۱۰۶ - ۱۰۵ - ۱۰۳ - ۱۰۲
 ۱۱۴ - ۱۰۸
 ۴۳ کبی
 ۱۲۶ کبیتای
 ۳۹ کردفان
 ۱۵۷ کرکورو
 ۴۳ کلوة
 ۵۴ کمبای
 ۶۶ کمبرلی
 ۲۵ کناریا
 ۵۹ کندا
 ۱۵۸ - ۱۵۷ - ۱۳۰ - ۵۳ - ۳۲ کنکان
 ۲۰۹ - ۱۶۵
 ۲۰۹ - ۱۵۶ - ۱۴۶ - ۵۳ کنیلوجو
 ۲۲۸
 ۱۵۷ کوالیکورو
 ۱۲۶ کوبا
 ۲۲۸ کوتونو
 ۱۷۲ - ۵۵ کورا
 ۲۰۹ - ۱۳۰ - ۵۹ کوروسا
 ۱۷۲ کورویومیه
 ۲۰۹ کورا
 ۱۲۹ - ۱۲۸ - ۱۲۶ کوریرا
 ۴۶ کوکة
 ۱۵۹ کولونی
 ۴۶ کامبیا

۱۲۵ - ۱۲۶ - ۱۲۷ - ۱۲۸ - ۱۲۹
 ۱۵۳ - ۱۳۲ - ۱۳۰
 ۲۲۹ - ۲۲۳ - ۱۲۱ - ۱۶۲ فوربا
 ۱۲۳ - ۱۲۱ - ۱۰۰ فوریکاریا
 ۴۶ - ۴۱ - ۲۹ - ۲۵ - ۲۴ - ۲۰ فولتا
 ۴۹
 ۱۲۷ فوکومبا
 ۱۳۵ فونجلا

(ق)

۹۷ - ۸۳ - ۴۸ - ۲۲ القاهرة
 القسطنطينية ۲۱ .

(ك)

۹۷ كاب
 ۱۷۲ - ۱۷۵ کابارا
 ۴۳ کاتسینا
 ۶۶ کاتنجا
 ۱۳۱ کاجورا
 ۱۱۸ کارابن
 ۵۰ - ۴۹ - ۳۹ - ۲۹ - ۲۲ کارته
 ۱۴۵ - ۱۴۲ - ۱۱۰ - ۱۰۹
 ۸۹ کاردن
 ۵۹ کارینی
 ۱۸۹ - ۲۸ - ۲۴ کازامانس
 ۲۴ کاساما
 ۲۴ کافالی
 ۴۶ کالا
 ۱۲۶ - ۱۲۵ کالوم
 ۹۵ کالیفورنیا
 ۱۵۰ - ۱۸۴ - ۱۸۳ - ۷۶ - ۲۷ کامرون

ماراته ٤٢
 ماسينا ٢٧ - ٢٩ - ٤٦ - ٤٨ - ٥٠ -
 ٩٤ - ١٤٦ - ١٨٠
 مالي ٢١ - ٢٩ - ٣٩ - ٤٢ - ١٧٧
 مان ١٦١
 مانهاقا ١٧٨
 ما هو غير ١٨٩
 مبور ١٠٥
 مبيد جيم ١٠٥
 مدعشقر ٥٩ - ١٠٤
 مراکش ٢١ - ٣٣ - ٥٩ - ١٦٨ - ١٩١ -
 ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠٢ -
 ٢٠٣
 مرزوق ١٦٧
 مصر ٢٣ - ٣٣ - ٣٦ - ٣٧ - ٦٦ - ٦٨
 مکناس ٢٠٢
 مکه ٣٢ - ٤٨ - ٥١ - ٥٢ - ٢٢٨
 موبتي ١٤٦ - ١٧٠
 موريتانيا (شنقيط) ٢٦ - ٣٣ - ٥٧ -
 ٥٩ - ١٨٢ - ١٩٢ - ١٩٤ - ١٩٥ -
 ١٩٦ - ١٩٨ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٣ -
 ٢٠٤ - ٢١٠ - ٢١٢ - ٢٢٠
 موريشيوس (ايل ذى فرانس) ٥٩
 موزمبيق ٧٦
 مورفيا ١٥٩
 ميدين ٢٩ - ٥٠ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٦ -
 ١٠٤ - ١١٠ - ١١١ - ١٣٤ - ١٣٧ -
 ١٣٨ - ١٤٢
 ميلاکوری (نهر) ٩٠ - ١١٩ - ١٢٠ -
 ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٨ - ١٥٨
 ميلو نهر ٥٣

کومويه ٢٤ - ١٥٩
 کوناکری ١٢٣ - ١٢٨
 کونج ١٥٩ - ١٦٠ - ٢٠٩
 کونفو ٥٩ - ٦١ - ٦٦ - ٦٩ - ٧٠ -
 ٧١ - ٧٢ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ -
 ١٠٤ - ٢١٣ - ٢١٤
 کونيا ١٥٩ - ٢٠٩
 کونيا کاری ٣١ - ٣٨ - ١٤٩
 کيتا ٢٨ - ١٣٥ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٤٢ -
 ١٤٧ - ١٤٨
 کيف ١٧٣
 کيف ٧٥
 کينيا کورا ٥٥ - ٩٥ - ١٤٧ - ١٤٨ -
 ١٥٠

(ل)

لا مبول ١٠٥
 لانج سون ٦٨
 لاو ١٠٤
 لندن ١٥٤ - ١٦٧
 ليبيا ٣٤
 ليبريا ٣٠ - ٣٢ - ٥٣ - ١١٧ - ١٥٣ -
 ١٦١
 ليو بولد فيل ٧٠
 لوجو ١٣٤
 لوکوجا ٢٣

(م)

ماتاکونج ١٢٣
 ماتام ٩٣ - ٩٦ - ١١١ - ١٩٣

(ن)

۱۷۰ - ۱۷۲ - ۱۷۳ - ۱۷۶ - ۱۷۷ -
۱۷۹ - ۱۸۲ - ۱۸۵ - ۱۹۳ - ۱۹۴ -
۲۰۹ - ۲۱۲ - ۲۱۸

نیجیجی ۱۰۶

نیجیریا ۱۶ - ۱۹ - ۲۰ - ۲۱ - ۲۲ -
۲۳ - ۲۴ - ۲۵ - ۲۶ - ۲۷ - ۲۸ -
۲۹ - ۳۰ - ۳۲ - ۳۸ - ۳۹ - ۴۶ -
۴۷ - ۴۸ - ۴۹ - ۵۰ - ۵۱ - ۵۲ -
۵۳ - ۵۴ - ۵۸ - ۵۹ - ۶۸ - ۷۱ -
۷۲ - ۷۳ - ۷۸ - ۷۹ - ۹۳ - ۹۴ -
۹۵ - ۱۰۴ - ۱۱۲ - ۱۱۳ - ۱۱۷ -
۱۱۸ - ۱۲۳ - ۱۲۴ - ۱۲۷ - ۱۲۸ -
۱۲۹ - ۱۳۰ - ۱۳۱ - ۱۳۲ - ۱۳۳ -
۱۳۵ - ۱۳۶ - ۱۳۷ - ۱۳۸ - ۱۴۱ -
۱۴۲ - ۱۴۵ - ۱۴۶ - ۱۴۷ - ۱۴۸ -
۱۵۱ - ۱۵۲ - ۱۵۳ - ۱۵۵ - ۱۵۶ -
۱۵۷ - ۱۶۲ - ۱۶۶ - ۱۶۹ -
۱۷۰ - ۱۷۲ - ۱۷۳ - ۱۷۶ - ۱۷۷ -
۱۷۹ - ۱۸۲ - ۱۸۵ - ۱۹۳ - ۱۹۴ -
۲۰۹ - ۲۱۲ - ۲۲۸

نیل نهر ۱۹ - ۲ - ۲۸

نیملان ۱۹۹

نیورد ۲۲ - ۲۸ - ۴۹ - ۱۳۱ - ۱۳۲ -
۱۳۳ - ۱۳۹ - ۱۴۲ - ۱۴۴ - ۱۴۵ -
۱۶۹ - ۱۷۳ - ۱۹۵ - ۲۸۰

نیومی ۱۰۱

نیویورك ۶۶ - ۱۶۸

نیری ۱۱۳

(ه)

همبوری ۱۴۶

هند ۵۹

نانجو ۱۳۵ - ۱۳۶

نجومار ۱۰۴

نجیجی ۱۰۶

نجیریر ۸۴

نجیمی ۱۸۲

ند وریدیان ۱۹۳

نزو ۱۶۱

نفادیه ۱۴۹ - ۱۵۷

نواذیو ۱۹۷

نواکشوط ۲۱

نوبه ۲۷ - ۳۶

نوب ۴۴

نورا ۵۴

نونیه ۹۰ - ۱۱۹ - ۱۲۰

نیاجاسولا ۱۴۹ - ۱۵۰

نیامینا ۱۳۱ - ۱۳۹ - ۱۴۱ - ۱۵۰ - ۱۵۱

نیامی ۱۷۳ - ۱۷۵ - ۱۷۶ - ۱۷۷

نیانی ۱۱۳

نیجر ۱۶ - ۱۹ - ۲۰ - ۲۱ - ۲۲ - ۲۳ -

۲۴ - ۲۵ - ۲۶ - ۲۷ - ۲۸ - ۲۹ -

۳۰ - ۳۲ - ۳۸ - ۴۶ - ۴۷ - ۴۸ -

۴۹ - ۵۰ - ۵۱ - ۵۲ - ۵۳ - ۵۴ -

۵۸ - ۵۹ - ۶۸ - ۷۱ - ۷۲ - ۷۳ -

۷۸ - ۷۹ - ۹۳ - ۹۴ - ۹۵ - ۱۰۴ -

۱۱۲ - ۱۱۳ - ۱۱۷ - ۱۱۸ - ۱۲۳ -

۱۲۴ - ۱۲۷ - ۱۲۸ - ۱۲۹ - ۱۳۰ -

۱۳۱ - ۱۳۲ - ۱۳۵ - ۱۳۶ - ۱۳۷ -

۱۴۱ - ۱۴۲ - ۱۴۵ - ۱۴۶ - ۱۴۷ -

۱۴۸ - ۱۵۱ - ۱۵۲ - ۱۵۵ - ۱۵۶ -

۱۵۷ - ۱۶۲ - ۱۶۵ - ۱۶۶ - ۱۶۹ -

وجلة ۲۰۰	(و)
ولایت ۲۶ - ۳۱ - ۱۹۸ - ۲۰۰	۱۸۶ وادان
(ی)	۱۸۵ وادی ۳۳ - ۴۶ - ۵۸ - ۶۷ - ۱۷۸ -
مالج مالج ۱۰۸	۱۳۶ - ۵۶ واسولو